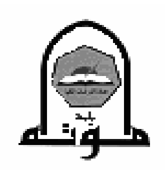


جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

ولاية بيروت في العهد المملوكي

إعداد الطالب

ممدوح منوخ ذياب النيف

إشراف

الأستاذ الدكتور طه ثلجي الطراونه

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة

الدكتوراه في التاريخ قسم التاريخ

جامعة مؤتة، 2013

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة



MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب ممدوح متوخ النيف الموسومة بـــ:

ولاية بيروت في العهد المملوكي

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في **التاريخ.**

القسم: التاريخ.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. طه تلجي الطراونة		2013/12/29	مشرفاً ورئيسا
د. عيسى سليمان ابو سليم		2013/12/29	عضواً
د. هايل مفضي البري		2013/12/29	عضواً
أ.د. فوزي احمد تيم		2013/12/29	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. علي الضمور



MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :99-03/2372380
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

اهدي هذا الجهد المتواضع إلى والدي الذي لم يتوانَ لحظة عن تقديم يد العون والمساعدة لي .

إلى رمز الحنان والدتي الحبيبة التي طالما أنارت لي الظلمات .

إلى إخوتي وأخواتي .

إلى كل من وقف معي وساندني طيلة فترة دراستي .

إلى الغائب الذي كان متواجداً ومسانداً لي في بداية دراستي وتمنيت لو كان متواجداً معنا الآن .

أهدي هذا الجهد .

ممدوح منوخ النيف

الشكر والتقدير

قال تعالى : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮﭯ ﭼ[إبراهيم، آية : 7] .

الحمد والشكر لله الذي وفقني وأعانني على إتمام هذا العمل .

من الواجب الذي يمليه عليّ ضميري أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور طه ثلجي الطراونه الذي لم يبخل علي بالتوجيه والإرشاد ومدّ يد العون، وأتقدم شاكراً للجنة التي تكرّمت بمناقشة هذه الدراسة، كما وأتقدم بالشكر إلى أساتذتي الكرام في قسم التاريخ في جامعة مؤتة هذا الصرح الذي احتضنني طيلة اثنتي عشر سنة، والشكر الموصول إلى إخوتي وأصدقائي وزملائي في الدراسة .

ممدوح منوخ النيف

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

قائمة الملاحق

الملخص

ولاية بيروت في العهد المملوكي

ممدوح منوخ النيف

جامعة مؤتة، 2013

تعتبر ولاية بيروت إحدى المناطق التابعة لنيابة دمشق وتحديدا للصفقة الشمالية منها، وكانت بيروت في بداية العهد المملوكي تخضع للحكم الصليبي حتى استردها المماليك في عهد السلطان الاشرف خليل عقب فتح عكا سنة 690هـ/1290 م وتبعت إداريا لنيابة دمشق وكان يتم تعيين والي بيروت عن طريق نائب دمشق .

تكمن أهمية بيروت في تلك الفترة كونها ميناء ومنفذ بحري لدمشق وبلاد الشام على البحر المتوسط وملتقى للتجار المسلمين والأوروبيين، يضاف إلى ذلك أنها كانت رباطا للمسلمين فقد كانت منذ أن استعادها المسلمون مقصدا للصليبيين بهدف السيطرة عليها واستعادتها وتعرضت لعدة غارات صليبية فشلت في أهدافها ، كما عمل المماليك على تحصينها، وفي نفس الوقت كانت بيروت تشارك في الحملات التي قام بها المماليك في حوض البحر المتوسط.

وقد قُسمّت الدراسة إلى خمسة فصول، تناول الفصل الأول ولاية بيروت وجغرافيتها، أمّا الفصل الثاني فقد تحدّث عن الإدارة والوظائف في الولاية، وتناول الفصل الثالث دور ولاية بيروت ومكانتها في الأحداث العامة، بينما تحدّث الفصل الرابع عن الوضع السكاني والحياة الاجتماعية والثقافية في الولاية، وجاء الفصل الخامس والأخير ليتناول الحياة الاقتصادية في ولاية بيروت.

وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة مختلفة من المصادر الأساسية التي تشكّل مادتها العصب الرئيسي لأية دراسة في عهد المماليك .

Abstract

The District of Beirut in the Mamluks Era

Mamdouh Mnaok Al-Naif

Mutah University, 2013

The District of Beriut was a part of the northern *Safqa*, a sub division, of the Province of Damascus during the mamluk Era. It was retained by the mamluks in 690 A. H/1291 A.d, after clearing the Syrian Coast from the remnants of the Crusades.

The importance of Beriut at that time laid in its status as a seaport of Damascus an Mediterranean, and a concourse for Muslim and European traders. Moreover, beriut was a target for the European corsairs. Therefore the mamluks tended to fortify the city, and all of these attacks failed. Also, Beriut participated in most of the mamluk expedients against Cyprus in the $9^{th}/15^{th}$ century.

The study hilights the historical geography of the District of Beriut, its administration, ant its role in the regional events.

In addition, demographic, cultural, social and economic sitranans of the District of Beriut were taken into high consideration.

المقدمة

الحمد لله وحدة والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آلـــه وصـــحبة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعدة.

تمكن المماليك من تحرير بلاد الشام من أيدي الـصليبين سـنة 690 هـــ/ 1290م، وبتحريرهم مدينة عكا تهاوت بقية المعاقل الصليبية في أيديهم بمـا فيهـا مدينة بيروت التي أُلحقت بمملكة دمشق وشكلت إحـدى ولايـات الـصفقة الثالثـة (الشمالية) من صفقات مملكة دمشق الأربع .

ويعود اختياري لهذا الموضوع إلى عدم وجود دراسة مختصة بتاريخ ولايـة بيروت في العهد المملوكي، ونظراً لأهمية مدينة بيروت لكل من دولة المماليك مـن جهة، والدول الأوروبية من جهة أخرى، التي لم تقبل أنهيار المـشروع الـصليبي بسهولة، فقد وجدت أن من المهم أن أدرس هذه المدينة وناحيتها في هـذه الحقبـة، لأنها كانت نقطة ملتهبة في فترة شهدت تحولات تاريخية على جـانبي المتوسـط؛ فدولة المماليك التي وحدت مصر والشام في كيان واحد، ونجحت في صد المغـول، واخراج الصليبيين من بلاد الشام، وصلت الأوج في ذلك، ثم أنحدرت إلى الـضعف والانحلال حتى انهارت، أما أوروبا فكانت على أبواب ثورات تجارية وعلمية مهدت لعصر النهضة، الذي خرجت منه قوة عظمى استعمارية.

ولتغطية الدراسة من جميع النواحي فقد قسمها الباحث إلى خمسة فصول. بيّن في الفصل الأول موقع الولاية، وحدودها والقوى التي سيطرت عليها، موضحاً أيضاً مرافق المدينة والقرى التي اشتملت عليها الولاية في تلك الحقبة، ثم بـيّن الباحـث الطبيعة الجغرافية للولاية ولمحة عن مناخها .

أما الفصل الثاني فقد تناول الناحية الإدارية لولاية بيروت وتبعيتهـا لمملكـة دمشق، وعن الوظائف الموجودة فيها بتفرعاتها السائدة حينئذ؛ وظـائف عـسكرية (أرباب السيوف)، وظائف ديوانية (أرباب الأقلام) ووظائف دينية .

وبيّن الباحث في الفصل الثالث الدور الذي لعبته ولاية بيروت فـي الأحـداث العامة (الخارجية والداخلية). فيما تحدّث في الفصل الرابع عن الوضع الـسكاني والحياة الاجتماعية والثقافية في الولاية وتناول السكان من النواحي العرقية والدينيـة

ومن حيث نمط المعيشة والزعامات المحلية، كذلك تناول الحياة الثقافية فـــي ولايـــة بيروت مبيناً دور العلم الموجودة آنذاك، ووضع النشاط العلمي في الولاية .

وخصّص الباحث الفصل الخامس للحديث عن الحياة الاقتصادية فـــي ولايـــة بيروت مبيناً مواردها الاقتصادية من زراعة، وصناعة، وتجارة داخلية وخارجيـــة، والعلاقات التجارية التي تربط الولاية بمدن أوروبا وجزر البحر الأبيض المتوســـط، كما تحدث عن الضرائب التي كانت مطبقة في ولاية بيروت، وعن النقود والأوزان والمكاييل المستخدمة فيها، وزوّد الباحث الدراسة بثلاث خرائط تبيّن موقـــع ولايـــة بيروت بالنسبة للنيابات الشامية، وحدود ولاية بيروت ، وأسماء ومواقع القرى التي اشتملت عليها .

ويعتبر كتاب تاريخ بيروت لمؤلفه صالح بن يحيى من أهم مصادر الدراســـة لأنه جاء معاصراً لفترة الدراسة زمانياً ومكانياً، وصالح بن يحيى ينتمـــي لأمـــراء الغرب البحتريين الذين تصدروا زعامة العائلات البيروتية في الفترة المملوكية، ومن خلال تغطيته لنسب هذا البيت فقد تناول جوانباً مهمةً من تـــاريخ الولايـــة إداريـــاً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً واعتمدت عليه الدراسة في جميع فصولها .

وهناك مصادر أخرى تم التعويل عليها مثل: كتاب صدق الأخبار المعـــروف بتاريخ ابن سباط الذي ينتمي إلى قرية عاليه من قرى أُمراء الغـــرب فـــي ولايـــة بيروت؛ وجاء كتاب ابن سباط مؤكداً لما أورده صالح بن يحيى في كتابه ومتمماً له بعد سنه 840هـــ/1436 م، ومن المصادر أيضاً كتاب مفاكهة الخلان في حـــوادث الزمان لابن طولون الذي تناول بعض مجريات الأمور والحوادث المتعلقـــة بولايـــة بيروت وكتابه الآخر إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى.

كذلك تم الاعتماد على دراسات حديثة شملت التاريخ العام والتاريخ الإســـلامي لمدينه بيروت منها: كتاب طه الوالي بيروت في التـــاريخ والحـــضارة والعمـــران، وكتاب عصام شبارو تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، وكتـــاب حنان قرقوتي بيروت ودورها الجهادي منذ الفتح الإســـلامي حتـــى نهايـــة العهـــد العثماني. وكذلك تم الرجوع إلى دراسات اختصت بالعلاقات التجارية التـــي تـــربط الدولة المملوكية مع أوروبا : مثل كتاب طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق

والغرب أواخر العصور الوسطى لنعيم فهمي، وكتاب الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الايطالية وشرقي البحر المتوسط أواخر العصور الوسطى لمؤلفة سمير الخادم.

ووجد عدد لا بأس به من الدراسات الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية، مما سهل على الباحث عملية الوصول إليها والاستفادة منها في دراسته، ومن هذه الدراسات: (لابيدوس، مدن الشام في العصر الملوكي). و (فيليب حتى، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر). و(هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى).

الفصل الأول

ولاية بيروت وجغرافيتها

1.1 الموقع والحدود :

1.1.1 الموقع الجغرافي:

أشارت المصادر الإسلامية التاريخية والجغرافية إلى موقع بيروت بشكل مقتضب، واكتفت بذكر أنها " تقع على شاطئ البحر الملح" كما أوردها الإدريسي[1]، أو "ساحل بحر الشام" كما أوردها ياقوت الحموي [2]، أو "بحر الروم" كما ورد عن الاصطخري وابن حوقل [3]. وذكر الحميري "أنها مدينة على شاطئ البحر"[4]، وحددتها مصادر أخرى بأنّها مدينة على البحر من ساحل دمشق[5].

وبما أن الجغرافيا لا تتغير، كما أن المسميات بقيت على ما هي عليه، فبيروت في عهد المماليك بموقعها جغرافياً وفلكياً هي نفسها بيروت الحالية. وتستند مدينة بيروت من الجهة الشرقية إلى سلسلة جبال لبنان الغربية، و تمتد من الجنوب إلى

---

(1) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، 1989، ط1، مج1، ص371، (وسيشار إليه تالياً الإدريسي، نزهة المشتاق).

(2)الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت، ج1، ص525، (وسيشار إليه تالياً الحموي، معجم البلدان).

(3) ابن حوقل، أبو القاسم، **صورة الأرض**، مطبعة بريل، مدينة ليدن 1938 م، ط2، ق1، ص165، 175، 186، (وسيشار إليه تالياً : ابن حوقل، صورة الأرض) ؛ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد الحسيني، دار القلم، القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة، 1961 م، ص48، (وسيشار إليه تالياً: الاصطخراي، المسالك).

(4) الحميري، محمد بن عبد المنعم ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984، ط2، ص123، (وسيشار إليه تالياً : الحميري، الروض المعطار).

(5) أبوالفداء، عماد الدين إسماعيل، **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، ص247، (وسيشار إليه تالياً : أبو الفداء، تقويم البلدان).

الشمال على طول الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، فتكون بيــروت بكافــة أعمالها وقراها جزء من القاعدة الغربية لهذه السلسلة [1]. أمّا فــي شــمال ولايــة بيروت وجنوبها فنجد أنّ شكل التضاريس ساعد في وضع حدود طبيعيــة لولايــة بيروت المملوكية لوقوعها بين نهر الكلب في الشمال، ونهر الدامور في الجنــوب. وهذا ما سنتطرّق للحديث عنه في ذكر حدود بيروت، وكذلك الأنهار الموجودة فيها.

2.1.1 الموقع الفلكي :

أشارت بطليموس (القرن الثاني للميلاد) إلى الموقع الفلكي لمدينــة بيــروت، وذكر أن طولها تسع وخمسون درجة ونصف وعرضها أربع وثلاثون درجة وهــي في الإقليم الرابع[2]، وقال البتاني(ت 317هــ/ 929م) : بيــروت طولهــا تــسع وستون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعــشرون دقيقــة[3]، بينما ورد عند أبي الفداء (ت 732هــ/ 1331م) أنها في الإقليم الثالث، وقد ذكر في تقويم البلدان وجهين عن طول بيروت ووجهين عن عرضها[4]، وأضاف صالح بن يحيى (ت 840هــ/ 1436م) وجهاً ثالثاً لطول بيروت وعرضها[5]، والجدول التالي يبيّن ذلك :

---

(1) البستاني، فؤاد، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية 18، بيروت، 1969، ج1، ص8، (وسيشار إليه تالياً :البستاني، لبنان مباحــث علمية واجتماعية).

(2) بطليموس القلوذي، **كتاب صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائــر والأنهــار**، استخرجه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، نسخ وتصحيح هانس فون مزيك، مطبعة آدولف هولز هوزن، فينا، 1926م، ص19.

(3) البتاني، أبو عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحراني ، **كتاب الزيج الصابئ**، طبعه وصححه الدكتور كرلو نالينو، روما، 1899م، ص240.

(4) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص256 .

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، تحقيق : فرنسيس اليسوعي وكمال الصليبي، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986، ص11، (وسيشار إليه تالياً : صالح بن يحيى، تاريخ بيروت).

	الطول		العرض	
	درجة	دقيقة	درجة	دقيقة
الوجه الأول	59	55	33	20
الوجه الثاني	59	30	34	5
الوجه الثالث	58	40	33	20

وذكر المغربي (ت 685هـ/ 1286م) في كتابه الجغرافيا أن بيروت تقع بين الطول تسع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة والعرض أربع وثلاثون درجة [1]، وهو بذلك يوافق ما ذكره أبو الفداء في الوجه الثاني عن موقع بيروت. ووفقاً للدراسات الحديثة فإنّ مدينة بيروت تقع على دائرة عرض 33.54 شمال خط الاستواء، وخط طول 35.28 شرقي خط غرينتش، وهي تمتد أولاً على الوجه الشمالي لرأس جبلي يطل على البحر[2].

3.1.1 حدود ولاية بيروت :

لاحظنا خلال ذكرنا للموقع الجغرافي لمدينة بيروت الميزة الفريدة التي تمتع بها هذا الموقع، حيث أنه كان عاملاً أساسياً في تحديد الجهات الأربع لولاية بيروت، فلعل هذه التضاريس جعلت حدود بيروت ثابتة نوعاً ما رغم تعاقب الجهات المسيطرة عليها. ويبدو أن هذه الحدود الطبيعية لولاية بيروت تعود إلى عهود تاريخية مبكِّرة، فقد كان نهر الكلب على عهد الفينيقيين حداً لأملاك بيروت من الشمال، كما كان نهر الدامور في الجنوب يفصل أملاك بيروت عن أملاك صيدا[3]. كما أن حدود بيروت في فترة الدراسة هي نفسها حدود بيروت في عهد

---

(1) المغربي، أبو الحسن علي بن موسى ، **الجغرافيا**، تحقيق : إسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970 م، ص150 .

(2) N. Elisseeff, **Bayrut**, The Encyclopaedia Of Islam, E. J. Brill, Leiden, 1979, Vol. 1, p 1137.

(3) لامنس، هنري، **تسريح الإبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار**، دار نظير عبود، بيروت، 1992، ص316، (وسيشار إليه تالياً : لامنس، تسريح الأبصار).

السيطرة الصليبية، وحين استرجعها المسلمون من الصليبيين لم يحدث أي تبدّل في حدودها الشماليّة والجنوبية ومن الشرق تم ضمها إلى مملكة دمشق.

كان يحد بيروت في أيام الصليبيين من جهة الشمال نهر الكلب ومن جهة الجنوب نهر الدامور. أمّا في الشرق فإنّها كانت تتصل بقمم لبنان [(1)]. وقد بينت الهدنة التي وقعت بين السلطان الظاهر بيبرس وبين صاحبة بيروت الصليبية في سنة 667 هـ/ 1277م، جميع المناطق التابعة لبيروت حينئذ من حد جبيل (شمالاً) إلى حد صيدا (جنوباً) [(2)].

وبعد أن استرجع المماليك بيروت وما حولها من يد الصليبيين سنة 690 هـ/1291م، ضُمت إلى مملكة دمشق. وكانت مملكة دمشق تتألف من أربع صفقات منها الصفقة الثالثة التي تبعت لها ولاية بيروت. ومن خلال الشواهد التاريخية التي تمت دراستها فإنّها تعطينا صورة واضحة عن حدود ولاية بيروت من خلال الأحداث العامة، وإنشاءات الأمراء وغيرها من الاقطاعات والنشاطات التي تبين الرقعة الجغرافية التي كانت تشغلها ولاية بيروت في فترة الدراسة.

---

(1) خوري، رنا يوسف، **بيروت في المصادر العربية**، مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1995، ص230 . (وسيشار إليه تالياً : خوري، بيروت في المصادر العربية).

(2) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية؛ دار الفكر، بيروت، 1987- 1989م ، ط1، ج14، ص44، (وسيشار إليه تالياً: القلقشندي: صبح الأعشى). الظاهر بيبرس: ركن الدين أبو الفتوح الصالحي، ولد بأرض القبجاق سنة 625هـ تقريباً/ 1231م، تولى حكم السلطنة المملوكية في 17 ذي القعدة 658هـ / 24 تشرين أول 1260م، وأستمر في الحكم إلى أن توفي في 28 محرم 676هـ / 1 تموز 1277م. أنظر: الكتبي، محمد بن شاكر، **فوات الوفيات**، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط1، ج1، ص251- 256،(وسيشار إليه تالياً: الكتبي، فوات الوفيات)؛ Wiet, **Beybars I**, The Encyclopaedia Of Islam, E. J. Brill, Leiden, 1979, Vol. 1, pp 1124- 1126.

وعلى هذا الأساس يتضح أن حدود ولاية بيروت هي حدود ساعدت الطبيعة الجغرافية على إيجادها وتبدو كما يلي :

من الغرب : البحر الأبيض المتوسط .

من الشمال : نهر الكلب الفاصل بينها وبين نيابة طرابلس .

من الجنوب : نهر الدامور الفاصل بينها وبين ولاية صيدا التابعة لدمشق.

من الشرق : كانت تتصل بقمم سلسلة جبال لبنان الغربية، من منبع نهر الكلب شمالاً إلى منبع نهر الدامور جنوباً. وقد تعذر علينا ضبط حد دقيق في هذه الجهة بسبب طبيعة التضاريس الحادة والمتعرجة للمنطقة، ومما يلي هذا الحد بقية أجزاء نيابة دمشق.

وقد بيّنت المصادر المسافة بين بيروت وبعض المناطق المجاورة لها، والجدول التالي يوضحها :

المدينة أو المنطقة	المسافة بينها وبين بيروت	موقعها بالنسبة لبيروت
دمشق	يومان إلى ثلاثة أيام [1]،96 كم [2]	شرق
حصن الناعمة	24 ميل [3]،21كم [4]	جنوب [1]

(1) ذكر الإدريسي في **نزهة المشتاق،** مج1، ص370، أن المسافة من مدينة دمشق إلى بيروت يومان كبيران، بينما ذكر ياقوت الحموي في **معجم البلدان،** ج2، ص469، المسافة من دمشق إلى بيروت ثلاثة أيام؛ وبحسب مقاييس ذلك الزمان، حيث كانت تقاس المسافة بين منطقتين بعدد الأيام اللازمة لقطع المسافة بينهما، وبحسب وسائل التنقل في ذلك الزمان، فإنه يجب مراعاة اختلاف طول اليوم بين الصيف والشتاء، فأيام الشتاء أقصر من أيام الصيف، فإذا كان التنقل في فصل الشتاء فستزداد المسافة وفق هذا المقياس، عدا عن صعوبة التنقل في فصل الشتاء بسبب الظروف الجوية، ويراعى أيضاً وعورة التضاريس.

(2) صالح، سعيد، **التجارة الداخلية في دولة المماليك الثانية (784- 922هـ/ 1382-1516م)**، رسالة جامعية غير منشورة، الجامعة الاردنية، 1992م، ص102-103، (سيشار إليه تالياً: صالح، التجارة الداخلية).

(3) الإدريسي، **نزهة المشتاق،** مج1، ص371.

(4) **موسوعة لبنان- دليل المدن والقرى وعائلاتها**، الناشر: EDITO CREPS INTERNATIONAL، بيروت، 1998، ج15، ص184، (سيشار إليه لاحقاً: موسوعة لبنان).

حصن المرداسية	8 أميال [2]، 16كم[3]	شمال
صيدا	3 فراسخ [4]، يومان[5]، 43كم[6]	جنوب
جبيل	8 فراسخ [7]، 18 ميل [8]، 37كم[9]	شمال
بعلبك	36 ميل [10]، 85كم[11]	شمال شرق
عرجموس	24 ميل [12]، 48كم[13]	شمال شرق
طرابلس	يومان [14]، 85كم[15]	شمال
مصب نهر الكلب	26 كم [16]	شمال

---

(1) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ق1، ص165-167.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج1، ص371.

(3) هنتس، فالتر، **المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها بالنظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، 1970م، ص95 (وسيشار اليه تالياً: هنتس، المكاييل والاوزان).

(4) الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص525؛ البغدادي، صفي الدين مؤمن بن عبد الحق، **مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م، ط1، ج1، ص240،(سيشار إليه لاحقاً: البغدادي، مراصد الاطلاع).

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ق1، ص187 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص373.

(6) مرهج، عفيف بطرس، **اعرف لبنان- موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، المطابع الأهلية اللبنانية، بيروت، 1971-1972م، ج6، ص389، (سيشار إليه لاحقاً: مرهج، أعرف لبنان).

(7) الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص109.

(8) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص246.

(9) **موسوعة لبنان**، ص66.

(10) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص246.

(11) **موسوعة لبنان**، ص48.

(12) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص246.

(13) هنتس، **المكاييل والاوزان**، ص95.

(14) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ق1، ص178.

(15) **موسوعة لبنان، ص123.**

(16) البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص17.

4.1.1 تسمية المدينة والقوى التي سيطرت عليها:

بيروت كلمة فينيقية تعني شجرة الصنوبر، ويرجّح أنّها أخــذت هــذا الاســم لوجودها بجوار غابة الصنوبر الموجودة منذ تأسيس المدينـــة، بناهـــا أهـــل جبيـــل (بيبلوس) منذ أربعة الاف سنة [1]، وتعاقبت على حكمها ممالـــك عديـــدة، وكانـــت عُرضة للدمار والخراب أكثر من مرة سواء بسبب الكوارث الطبيعيـــة أو الوقـــائع الحربيّة، ولكن بيروت عرفت أزهى أيامها أثناء العهد الروماني، واشتهرت بمدرسة الحقوق التي أقاموها فيها، وفي أواسط القرن السادس الميلادي ضربتها سلسلة مـــن الزلازل ودمّرتها[2].

في سنة (13 هـــ /635 م) فتحها المسلمون بقيادة معاوية بن أبي سفيان، وتم ترميمها وتحصينها لحمايتها من هجمات الروم[3]، وطيلة العصر الراشدي والأموي

---

(1) الوالي، طه، "**بيروت القديمة تاريخها وتطورها**"، مجلـــة الفكـــر الإســـلامي، ع1، الـــسنة العاشرة، كانون الثاني 1981، ص98، (وسيشار إليه تالياً: الوالي، بيـــروت القديمـــة)؛ الوالي، **بيروت**، ص22؛ (تعددت الآراء حول أصل كلمة بيروت ومعناها، وحول الفترة التي بنيت فيها، للمزيد انظر: البستاني، بطرس، "**بيروت**"، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، ص744؛ (وسيشار إليه لاحقاً : البستاني، بيروت)، لامـــنس، هنـــري، "**غابـــة الصنوبر في بيروت**"، مجلة المشرق، ع20، السنة الأولـــى، 15 تـــشرين أول 1898 م، ص914-939.

(2) الشدياق، طنوس بن يوسف ، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، تحقيق : مارون رعـــد، دار نظير عبود، 1995 م، ج1، ص10-11،(وسيشار إليه تالياً : الشدياق، أخبار الأعيان)؛ الوالي، **بيروت**، ص22-23؛ البستاني، **بيروت**، ص744-746.

(3) الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر، **فتوح الشام**، منشورات مـــصطفى البـــابي الحلبـــي، القاهرة، 1954، ط3، ج2، ص36؛ البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله وعمر الطباع، دار النشر للجامعيين، 1957 م، ص173؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: خليل شـــيحا، دار المعرفـــة، بيـــروت، 2002 م، ط1، ج2، ص399، (وسيشار إليه تالياً: (ابن الأثير، الكامـــل)؛ صـــالح بـــن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص12.

ثم العباسي، كانت بيروت تابعة لدمشق [1]. وفي سنة 364 هـ /974 م، استولى عليها الروم ولبثوا فيها قرابة سنة، ثم أخرجتهم منها القوات الفاطمية، وأثناء خضوعها للحكم الفاطمي كانت بيروت تابعة لدمشق [2]. وفي سنة 495 هـ /1102 م هاجمتها جيوش الصليبيين لكنّها امتنعت عليهم وصدّتهم [3]، فلمّا كانت سنة 503هـ /1110م، أعادت هذه الجيوش الكرّة عليها، وتمكّنت من احتلالها، وأُلحقت بيروت بمملكة بيت المقدس اللاتينية [4]. وفي سنة 583 هـ /1187م استعادها السلطان صلاح الدين الأيوبي[5]، ولكنّ الصليبيون عادوا إليها بعد حوالي عشر سنوات وانتزعوها وبقيت في أيديهم حتّى استرجعها المماليك [6].

5.1.1 مرافق مدينة بيروت:

غلب على مدينة بيروت الطابع التجاري بفضل مينائها، وتصدره للموانئ الشامية، فكان هذا عاملاً في إثراء المدينة بالمرافق التجارية والدينية والعسكرية يضاف إلى ذلك الجوانب المدنية ومنشآت الدولة وفروعها .

1. **ميناء بيروت:** كسبت بيروت أهميتها من مينائها، فكان المنفذ الرئيسي لنيابة دمشق على البحر الأبيض المتوسط، وحلقة الوصل بين التجار المسلمين والأجانب وكذلك بين مصر وبلاد الشام، وأصبحت ملتقى التجار والبضائع في آن واحد، مما انعكس على النشاطات البشرية فيها .

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص14؛ الوالي، **بيروت**، ص22-23 .

(2) خوري، **بيروت في المصادر العربية**، ص7.

(3) ابن الأثير، **الكامل**، ج8، ص447؛ الوالي، **بيروت**، ص23.

(4) ابن الأثير، **الكامل**، ج8، ص534؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص16.

(5) ابن الأثير، **الكامل**، ج9، ص391؛ أبو الفداء، المؤيد إسماعيل بن علي، **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مج2، ص96، (وسيشار إليه تالياً: أبو الفداء، المختصر)؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص19-20 .

(6) ابن الأثير، **الكامل**، ج9، ص900؛ أبو الفداء، **المختصر**، مج2، ص122، صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص21-22.

وميناء بيروت ميناء حسن جيد وصفه معظم الرحّالة الذين مرّوا بالمدينة [1]، ويعد أهم الموانئ الشامية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، فبرز على ميناء صيدا التابع لنيابة دمشق [2]. وتجاوزت أهمية ميناء مدينة طرابلس والتي تمثّل مركزاً لأحدى النيابات الشامية [3]، واهتم به المماليك بوضع حامية عسكرية في مدينة بيروت ترابط فيها بصورة مستمرة لحمايته والحفاظ على استقراره [4]، ومع ذلك فقد تعرّض الميناء للردم بين فترة وأخرى في أيام المماليك لمنع سفن الأعداء من دخوله، ويبدو أنّ ذلك يعود لضرورات حربية تحتّمها الظروف الأمنية[5].

وكان هذا الميناء يمتاز بالعمق والهدوء مما جعله صالحاً للتجارة، وتلجأ السفن

---

(1) زيادة، نقولا، **مدن عربية**، منشورات دار الطليعة، ط1، بيروت، 1965 م، ص169-170، (وسيشار إليه تالياً: زيادة، مدن عربية)؛ الوالي، **بيروت**، ص46؛ عباس، إحسان، **تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك 648-923 هـ / 1250-1517 م**، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 1998 م، ص108، (وسيشار إليه تالياً: عباس، تاريخ بلاد الشام)؛ العابدي، محمود، **أجانب في ديارنا**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1974، ص31، (وسيشار إليه تالياً: العابدي، أجانب في ديارنا)؛ الخادم، سمير علي، **الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الايطالية وشرقي البحر المتوسط، 1450-1517**، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ط1، 1989، ص105، (وسيشار إليه تالياً: الخادم، الشرق الإسلامي).

(2) سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1986، ص165، (وسيشار إليه تالياً: سالم، صيدا).

(3) كرد علي، محمد، **خطط الشام**، مطبعة الترقي، دمشق، 1926، ج4، ص266، (وسيشار إليه تالياً: كرد علي، خطط الشام)؛ صالح، **التجارة الداخلية**، ص107؛ فهمي، نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص151، (وسيشار إليه تالياً: فهمي، طرق التجارة) .

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص37؛ صالح، **التجارة الداخلية**، ص103 .

(5) قرقوتي، حنان، **بيروت ودورها الجهادي منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، ص175-176، (وسيشار إليه تالياً: قرقوتي، بيروت ودورها الجهادي).

إليه في معظم أوقات السنة[1]، وبلغ ذورة نشاطه التجاري في القرنين الثامن والتاسع الهجريين [2]، وهناك هيئة إدارية تشرف على الميناء ولها دواوين وعامل ونـــاظر ومشرف وشاد، يُعيّنهم نائب دمشق[3]. وكانت المردودات المالية من متحصل الميناء مرتفعة جداً، حتى أنه كان يضمن للأمراء في بعض الأوقات[4].

2. **المرافق العسكرية:** عمل المماليك على هدم أسوار بيـــروت وتحـــصيناتها عندما فتحوها خوفاً من عوده الصليبيين إليها، لكن أهمية هذه المدينة حدت بهم إلى إعادة تحصينها وإعمارها، فوجد بها عدد من المرافق العسكرية .

أ. **سور بيروت:** أورد صالح بن يحيى وصفاً لهذا السور بقوله [5]،: " بيروت مدينة قديمة جداً، يستدل على قدمها من عتق سورها، ومع عتقه فهو محدث عليهـــا، اتخذه الأولون من خرائب كانت متقدمة أقدم بمدد كثيرة، لأننـــا نجـــد فـــي الـــسور المذكور قواعد من الرخام وأعمدة كثيرة من الحجر المانع التي تعب الأولـــون فـــي عملها ونقلها وأنفقوا عليها أموالهم، فدل ذلك على أنها من خرائـــب قديمـــة كانـــت عظيمة البناء جليلة المقدار، فاستهانوا بها الذين جاءوا بعدهم وجعلوها فـــي الـــسور المذكور مكان الحجارة التي لا قيمة لها لاستغنائهم عنها بكثرة أمثالها من الخرائب، ودل على ذلك أن العمائر الأولى كانت أعظم من الثانية، ونجد أيضاً مـــن الأعمـــدة المانع شيئاً كثيراً قد جعلوه تفاريق في البحر الأساس سور يظن عليه أنه من عهـــد الخرائب الأولى المذكورة ، ويقال على السور الذي من جهة البحـــر، أنـــه عُمِّـــرَ وخَرِبَ ثلاث مرات، وقد أكل البحر مكانهم وفاض الماء إلى داخل كل منهم لمرور

---

(1) فهمي، **طرق التجارية**، ص148؛ صالح، **التجارة الداخلية**، ص103؛ بني حمد، فيـــصل، **الأسواق الشامية في العصر المملوكي**، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة اليرمـــوك، 1992م، ص54، (وسيشار إليه تالياً: بني حمد، الأسواق الشامية) .

(2) **المرجع نفسه**، ص54.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35؛ كرد علي، **خطط الـــشام**، ج4، ص265-266؛ نقولا، **مدن عربية**، ص168، صالح، **التجارة الداخلية**، ص104 .

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35، 174.

(5) **المصدر نفسه**، ص8، الوالي، **بيروت**، ص76.

الأزمان وتواتر الدهور " .

وفي سعي المماليك لإعادة تحصين بيروت عمل بيدمر نائب دمشق[1] على تجديد سور بيروت من جهة البحر، الذي يمتد من حارة أمراء الغرب إلى البرج الصغير (برج البعلبكية)، وجعل بين آخر هذا السور وبين البرج الصغير باباً وركَّب عليه سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج، وقرر للسور مخصصات مالية من إيرادات الميناء لغايات الحراسة، استمرت حتى سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية، ونيابة الطنبغا الجوباني بالشام[2].

---

(1) الأمير بيدمر: سيف الدين بيدمر الخوارزمي، تولى نيابة دمشق ست مرات:
الأولى (من شعبان سنة 761هـ/ تموز 1360م- رمضان سنة 762هـ/ تموز 1361م)
الثانية (مدة يسيرة من سنة 770هـ/ 1369م)
الثالثة (775هـ/ 1373م- 778هـ/ 1376م)
الرابعة (779هـ/ 1377م- 780هـ1378م)
الخامسة (781هـ/ 1379م- 782هـ/ 1380م)
السادسة (786هـ/ 1384م- 788هـ/ 1386م)
وبعد ذلك قُبض عليه وصودرت أمواله. أنظر: ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي، **إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق محمد دهمان، دار الفكر، دمشق، 1984م، ط2، ص 50- 53،(وسيشار اليه تالياً: ابن طولون، إعلام الورى).

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35-36، الوالي، طه، **بيروت، التاريخ والحضارة والعمران**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993 م، ص75-76، (وسيشار إليه تالياً : الوالي، بيروت)؛ شبارو، عصام، **تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين**، دار مصباح الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص102 (وسيشار إليه تالياً: شبارو، تاريخ بيروت). الظاهر برقوق: السلطان برقوق بن آنص الشركسي، أول سلاطين الشراكسة، تولى الحكم مرتين: الأولى (784هـ/ 1382م- 791هـ/ 1389م) والثانية (792هـ/ 1390م- 801هـ/ 1399م). أنظر: الشوكاني، محمد بن علي، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1، مج1، ص 110-111، (وسيشار إليه تالياً: الشوكاني، البدر الطالع). الطنبغا الجوباني: الأمير علاء الدين الطنبغا الجوباني اليلبغاوي، تولى ==

وصف الرحالة الذين مرّوا بالمدينة خلال العهد المملوكي سور بيروت فذكر أرنولد فون هارف: أن بيروت ليس لها أسوار سوى من جهة الغرب ومن جهة الشمال عند طرف المدينة [1]، وأكد الرحالة الايطالي بارتيما ذلك بقوله: أن سور بيروت لا يحيط بالمدينة من جميع جهاتها بل من الغرب وعلى شاطئ البحر فقط[2].

وفيما يتعلق بأبواب هذا السور في العصر المملوكي، فإنّه لم يذكر إلاّ بابان: الأول باب السلسلة [3]، السابق ذكره، وسمّي بذلك نسبة للسلسلة التي كانت تربط بين آخر سور بيروت وبين البرج الصغير، والآخر ورد ذكره باسم باب بيروت[4]، ويبدو أنه مدخل المدينة من جهة البر.

يتضح أن سور بيروت لم يكن حصيناً بما فيه الكفاية، ورغم إصلاحات بيدمر إلاّ أنه كان مهملاً في أغلب الأحيان، فهو متآكل من جهة البحر، وهذا دليل على قلة العناية به إضافة إلى أنه لم يكن يحيط بالمدينة من جميع جهاتها .

ب. أبراج بيروت: وجد في بيروت عدد من الأبراج ذات الطابع العسكري وهي:

1. البرج الصغير (برج البعلبكية): سمي بذلك نسبة إلى الجنود الذين كانوا يحملون إليه كل سنة إبدالاً (فرقاً) من بعلبك للدفاع عن الثغور[5]. وقد ذكر الكونت دو بويسون أن سبب تسميته ببرج البعلبكية نسبة إلى مهندسة أبي بكر بن البصيص

== نيابة دمشق مرتين: الأولى من شهر صفر إلى شهر ربيع الأول سنة 789هـ/ آذار إلى نيسان 1387م؛ والثانية سنة 792هـ/ 1390م، وقتل أثناء الصراع مع الأمير منطاش. أنظر: ابن طولون، **إعلام الورى**، ص54، 55.

(1) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص105-106.

(2) **رحلة بارتيما إلى الحجاز واليمن والهند**، مجلة المقتطف، ج6، مج 37، 1 كانون أول 1910م، ص1179؛ الوالي، **بيروت**، ص47؛ العابدي، **أجانب في ديارنا**، ص32.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص36؛ الوالي، **بيروت**، ص63؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص143 .

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص34.

(5) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص158-159.

البعلبكي [1]، وذكر صالح بن يحيى أنه من إنشاءات تنكز نائب الشام، ويتصل هذا البرج مع سور بيروت بسلسلة تمثل مدخل الميناء (باب السلسلة) [2]. وذكر أحد السياح الذين مرّوا ببيروت ويدعى دي لانوا (سنة 825هـ/ 1422م) أن الهدف من البرج الصغير هو مراقبة الميناء ومدخل البحر [3]. ويبدو أن هذا البرج كان موجوداً قبل ذلك وأن عمارة تنكز له كانت مجرد إصلاح وترميم [4].

2. البرج الكبير: يعود تاريخ بنائه إلى عهد السلطان الظاهر برقوق (784-791هـ/1382-1389م) . وقد عمر البرج على قاعدة برج من أبراج القلعة الخربة، وكان مخصصاً للمجاهدين الذين كانوا يأتون إلى بيروت لحمايتها والدفاع

---

(1) دو بويسون، دومنيل، "**استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة**"، مجلة المشرق، ع9، السنة 20، أيلول 1922م، ص756، (وسيشار إليه تالياً: دو بويسون، استحكامات بيروت) .

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص36؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص102؛ الوالي، **بيروت**، ص63؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص158-159. تنكز: الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، ولاه السلطان الناصر محمد نيابة دمشق في ربيع الأول سنة 712هـ/ 1312م وأستمرت نيابته إلى أن تغير عليه السلطان وقبض عليه في 23 ذي الحجة سنة740هـ/ 20 حزيران 1340م وأُرسل إلى مصر، وكانت وفاته في شهر رجب سنة 744هـ/ تشرين الثاني 1343م، أنظر: الكتبي، **فوات الوفيات**، ج1، ص262- 268؛ الطراونه، طه ، "**الناصر محمد بن قلاوون وسيف الدين تنكز من الأنسجام إلى التناقض**"، مجلة مؤته للبحوث والدراسات، مج22، ع5، 2007م، ص241- 264.

(3) دو بويسون، **استحكامات بيروت**، المشرق، ع9، 1922 م، ص756. دي لانوا: الرحالة غلبرت دي لانوا، ولد سنة 788هـ /1386م، وزار المنطقة مرتين: الأولى سنة 803هـ / 1401م؛ والثانية سنة 823هـ / 1420م بعد أن عهد إليه ملكا أنجلترا وفرنسا بزيارة الشرق لدراسة أحواله وتقديم تقرير سياسي مفصل عنه. أنظر: زياده، نقولا، **رواد الشرق العربي في العصور الوسطى**، منشورات مجلة المقتطف، 1943م، ط1، ص113.

(4) حتى، فيليب، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، 1959، ج2، ص276، (وسيشار إليه تالياً: حتى، تاريخ سورية) .

عنها [1].

3. برج الأمير جمال الدين: ينسب هذا البرج إلى أحد أمــراء الغــرب وهــو الأمير جمال الدين حجي بن نجم الدين محمد بن حجي، أحد ولاة بيروت[2].

4. برج الحصن [3].

كما عمل بعض المجاهدين المرابطين في بيروت على بناء الأبراج وتزويــدها بالسلاح .

وفي أواخر العهد المملوكي ذكر ارنولد فون هارف أن مدينة بيروت محميــة بالأسوار والأبراج القوية من جهة الغرب، ومن جهة الشمال عند طــرف المدينــة يوجد أسوار وبرج غير مسكون [4]، كما أن عناية المماليك بترميم الأبراج لم تتوقف فكانوا يتابعون تجديد الأبراج وتخصيص الأوقاف لها، فقد ورد عند ابن طولون في أحداث سنة 907 هـ/1501م " أن تقي الدين ابن قاضي عجلون يصل إلى بيروت لينظر إلى البرج الذي جدد بها ليرسم له السلطان بوقف وعدد " [5].

ج. **قلعة بيروت:** تقع في الجنوب الشرقي من مدخل الميناء [6]، وليس لــدينا تاريخ ثابت لبناء القلعة، غير أن عهدها سابق لعهد السلطان صلاح الدين الأيــوبي، لأن هذا السلطان عندما تسلم مدينة بيروت من الــصليبيين قــام بنــصب الــسنجق

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص37؛ دو بويسون، **استحكامات بيروت**، المشرق، ع9، 1922م، ص756؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص102، قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص161.

(2) **المرجع نفسه**، ص158.

(3) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص160. ولم أقف على أي معلومة تدلنا على موقعه وتاريخ بنائه.

(4) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص105-106.

(5) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1962م، ق1، ص 245-246،(وسيشار إليه تالياً: ابن طولون، مفاكهة).

(6) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص171.

السلطاني على قلعتها سنة 583 هـ / 1187 م [1]، وبعد أن سيطر الصليبيون مرة أخرى على بيروت أعادوا تحصينها، فوصف السائح ولبرند دي اولدنبرغ قلعتها على أنها من أحدى جهاتها يحفظها البحر ومن الجهة الأخرى تحميها خنادق مبلطه[2].

وبعد أن استرجع المماليك مدينة بيروت من الصليبيين سنة 690 هـ /1291م، عملوا على هدم أسوارها وقلعتها خوفاً من عودة الصليبيين إليها، غير أن أمراء بيروت ما لبثوا أن أدركوا مقدار الخطر الذي يهدد المدينة لو بقيت خالية من التحصين [3]. وفي وصف لمجموعة من الحجاج النصارى الذين مرّوا ببيروت سنة 1345 م، ذكروا أن قلعة بيروت قلعة حصينة بما يحيط بها من أسوار عالية، وماء البحر يلطم جدران القلعة [4]، لكن هناك من اتهم المماليك بأن تحصيناتهم لبيروت كانت غير كاملة وقليلة الأهمية، وذلك استناداً لما أورده بغض السياح الذين مروا بها في أواسط القرن الخامس عشر ووصفوها على أنها مدينة غير محصنة[5].

د. مرافق أخرى ذات طابع عسكري :

وجد في بيروت بعض المرافق ذات الطابع العسكري، فكان يوجد فيها سجن منذ أيام الحكم الصليبي [6]، كما أنشئ في بيروت دار لصناعة السفن الحربية لغايات فتح جزيرة قبرص، مع أنها كانت مؤقتة وانتهت بانتهاء الحاجة إليها [7]. وكان هناك بعض الأماكن التي اتخذتها الابدال (الدرك) المخصصة لحماية مدينة بيروت

---

(1) دو بويسون، **استحكامات بيروت**، المشرق، ع9، 1922، ص754؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص171.

(2) دو بويسون، **استحكامات بيروت**، المشرق، ع9، 1922، ص754؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص171.

(3) دو بويسون، **استحكامات بيروت**، المشرق، ع9، 1922، ص755.

(4) العابدي، **أجانب في ديارنا**، ص31.

(5) دو بويسون، **استحكامات بيروت**، المشرق، ع9، 1922، ص755.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص150؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص110.

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص30، الوالي، **بيروت**، ص106، 155 .

مقراً لإقامتها، منها كنيسة افرنسيسك التي اتخذها أمراء غرب بيروت منـزلاً لهم ولابدالهم [1]، ولكنهم بعد ذلك انتقلوا منها ليتخذوا من الحارة المنسوبة إليهم (حارة أمراء الغرب) مقرا لهم ولابدالهم، كما كانت الدار المعروفة بدار صاحب بيروت مقراً لبعض هذه الأبدال [2].

ولأن بيروت مدينة تجارية بالدرجة الأولى، فقد رأى البعض أنها يجب أن تكون حصينة أكثر مما هي عليه، وأنه رغم ازدهار التجارة ووفرتها في مدينة بيروت، لم يكن لها أي تأثير ظاهر على المدينة فلم يكن فيها سوى عدد قليل من المنشآت العسكرية الدفاعية [3].

هـ. المرافق التجارية والصناعية:

أ. **المرافق التجارية:** بيروت مدينة تجارية، لذلك كان من البديهي أن تزخر بالمرافق التجارية، فكان على مينائها شادّية (شادّية ميناء بيروت) ولها دواوين وعامل وناظر ومشرف وشاد يُعيّنهم نائب دمشق [4].

ضمت بيروت أيضاً مرافق لتشجيع التجارة وتحفيز التجار للقدوم إليها[5]، فكان فيها الخانات التي شارك في إنشائها بعض أمراء المماليك كالخان الذي بناه تنكز نائب دمشق[6]، وبعض خانات بيروت مخصصة لتجار الفرنج ومقسمة حسب

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص106.

(2) **المصدر نفسه**، ص107، قرقوتي، **بيروت**، ص155.

(3) لابيدوس، ايرا مارفين، **مدن الشام في العصر المملوكي**، ترجمة سهيل زكار، دار احسان للطباعة والنشر، دمشق 1985 م، ط1، ص61، (وسيشار إليه تالياً: لابيدوس، مدن الشام) .

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35، الشادية :

(5) للمزيد فيما يتعلق بالمؤسسات والهيئات التجارية، انظر: صالح، **التجارة الداخلية**، ص157-165 .

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص114؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ط1،، ج9، ص121، (وسيشار إليه تالياً:==

مدنهم التي قدموا منها كخان الجنوية وخان البنادقة وخان الفـرنتيين [1]، وخـان القبارصة [2]، وكان يستعد منها الحجاج المسيحيون عند نزولهم في بيروت [3].

كما انتشرت الفنادق في مختلف المدن الشامية وبخاصة الساحلية ومنها مدينـة بيروت [4]، وقد ذكر الرحالة الأجانب الذين مروا ببيروت تعدد الجاليات التجاريـة

== ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة)؛ أبن تغري بردي، جمال الـدين أبـو المحاسـن يوسف، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق محمد أمـين واخـرين، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ج4، ص164،(وسيشار إليه تالياً: أبن تغري بـردي، المنهـل الصافي)؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تـصدير فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية، فرانكفورت، المانيـا، 1990م، ج1، ص290، (وسيشار إليه تالياً: الصفدي، أعيان العصر)؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، أعتناء أيمن فؤاد سيد، 1988م، ج10، ص431، (وسيشار إليه تالياً: الصفدي، الوافي)؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص12؛ شبارو، **تاريخ بيـروت**، ص109. والخان كلمة فارسية تعني البيت أو القصر أو المنزل، ومن جهة أخرى تـدل كلمة خان على المخزن أو المستودع، والخان عبارة عن مبنى على هيئة مربع، وبداخلـه فناء مربع تشرف عليه أجنحة الخان من الداخل، ويتكون من طابقين؛ اسـتخدم الطـابق الأرضي لخزن البضائع، والطابق العلوي استخدم كفندق تنزل به القناصل في كثير مـن الأحيان بسبب حصانته. أنظر: العملة، عبد الجبار، **نيابة دمشق الشام في عهـد الأميـر تنكز الحسامي الناصري**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نـابلس، فلسطين، 2000م، ص224. (وسيشار إليه تالياً: العملة، نيابة دمشق).

(1) عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص132؛ الجنوية نسبة لمدينة جنوه، البنادقـة نـسبة لمدينـة البندقية، الفرنتيون نسبة إلى فلورنسا .

(2) كرد علي، **خطط الشام**، ج4، ص265، القبارصة نسبة إلى جزيرة قبرص .

(3) بني حمد، **الأسواق الشامية**، ص134.

(4) بني حمد، **الأسواق الشامية**، ص120. الفندق كلمة لاتينيـة تعنـي تكـدس البـضائع، وأصبحت تدل على مبنى مكون من أكثر من طابق وفيه غرف ومخازن، وبـه صـحن داخلي يستخدم لخزن السلع ونزول الدواب، وأستخدمت الغرف لنزول التجار والمسافرين. أنظر: العملة، **نيابة دمشق**، ص222.

في بيروت، وأن لهم بها فنادق خاصة مقسّمة بحسب المدن التي قدموا منها [1]، وقد جاء الفندق وكأنّه قطعة من الوطن الأم، يتمتع فيه التاجر بكامل حريته، حتى أنه كان يسمح له بشرب الخمر داخله، وكان القنصل يدير شؤون الفندق، ولم تتعدَ صلاحياته الحقل التجاري، أمّا الأمور الأمنية فكانت من اختصاص رجال الأمن المحليين، كالولاة ومساعديهم مثل القاضي [2]. وعلاوة على القنصل كان هناك موظف يشرف على الفندق يسمّى الفندقي[3].

ومن المرافق التي أنشأها المماليك لتنشيط التجارة، القياسر (القيساريات) التي انتشرت في مدينة بيروت [4]، وهناك مخازن ومستودعات للتجار الأجانب [5]، وأماكن معدة لاستقبال السلع من دمشق والمدن المجاورة [6]. ووجدت في بيروت الوكالات التجارية [7]، ووكالة البندقية من أبرز هذه الوكالات حتى القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي، وكان للتجار الأجانب المقيمون بها وكلاء مصرفيين وفروع لمصارفهم وشركاتهم الموجودة في أوروبا، وتخضع لنفس

---

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص148؛ صالح، **التجارة الداخلية**، ص161؛ الوالي، بيروت، ص46 .

(2) شبارو، **تاريخ بيروت**، ص108–109؛ وجد عدد من القناصل الذين مثلوا بلادهم في تجارتها مع المماليك، وكانت إقامتهم في الموانئ المملوكية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، انظر: صالح، **التجارة الداخلية**، ص162.

(3) بني حمد، **الأسواق الشامية**، ص123.

(4) فهمي، **طرق التجارة**، ص148؛ صالح، **التجارة الداخلية**، ص161؛ الوالي، **بيروت**، ص46؛ والقياسر أو القياصر مفردها قيسارية أو قيصارية، وهي كلمة لاتينية يبدو أنها محرفة عن كلمة قيصرة، لتعني البناء الملكي أو الامبراطوري، وهي عبارة عن أبنية مكونة في الغالب من طابقين تضم أسواقاً خاصة ودكاكين، ورواق الطابق العلوي مسقوف بقباب صغيرة. أنظر: العملة، **نيابة دمشق**، ص220.

(5) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص105؛ الوالي، **بيروت**، ص46.

(6) صالح، **التجارة الداخلية**، ص103.

(7) فهمي، **طرق التجارة**، ص148؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص109.

الأنظمة التي تسود الأصول في بلادهم[1].

لم تكن أسواق بيروت منظمة، فقد وصفها الرحّالة دي طرويـا بأنّهـا ضـيّقة وطرقها ملتوية [2]، وانتشرت بها الحوانيت، ويبدو أنها اشتملت على مرافق أخـرى كالأفران والحمامات العامة والمسالخ وغيرها[3]، وورد عند صالح بن يحيى وجـود حانات وخمّارات للقبارصة في بيروت[4]، ولكن المرجّح أنّ هذه الحانات التي تبيـع الخمور كانت موجودة داخل الفنادق المخصصة لأتباع الجاليات الأجنبية .

ب. المرافق الصناعية: باستثناء المصابن المعدّة لصناعة الصابون[5]، فإنّ بقية المرافق الصناعية في بيروت ارتبطت بالصناعات الغذائية، كالطواحين والأفران[6]، ومصانع السكر[7]، ويستدل من وفرة الزيت ودخوله في صـناعة الـصابون إلـى احتمالية وجود معاصر للزيتون في مدينة بيروت .

ويبدو أنّ صناعة الخمور المخصّصة للجاليات الأجنبية ، كانت تتم في مدينـة

---

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص148.

(2) الوالي، **بيروت**، ص47. طرويا: أنطوان دي طرويـا، زار بيـروت سـنة 854هـ/ 1450م، بمهمة من جانب الفاتيكان إلى نصارى الشرق. أنظر: الوالي، **بيروت**، ص46.

(3) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص121؛ ابن تغري بردي، **المنهـل الـصافي**، ج4، ص164؛ الصفدي، **أعيـان العـصر**، ج1، ص290؛ الـصفدي، **الـوافي**، ج10، ص431.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(5) **المصدر نفسه**،ص193؛ ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص292؛ ابن تغري بردي، **النجـوم الزاهرة**، ج9، ص121؛ ابن تغري، **المنهل الصافي**، ج4، ص164؛ الـصفدي، **أعيـان العصر**، ج1، ص290؛ الصفدي، **الوافي**، ج10، ص431.

(6) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهـرة**، ج9، ص121؛ الـصفدي، **أعيـان العـصر**، ج1، ص290؛ الصفدي، **الوافي**، ج10، ص431؛ مكي، محمد علي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني 635-1516 م**، دار النهـار للنـشر، بيـروت، 1979، ص248، (وسيشار إليه تالياً: مكي، **لبنان**) .

(7) حتي، **تاريخ لبنان**، ص414؛ مكي، **لبنان**، ص248؛ بنـي حمـد، **الأسـواق الـشامية**، ص178.

بيروت، لما ذكره بعض الحجّاج النصارى (785 هـ / 1384 م) عن صناعة الزبيب وصناعة الخمور[1].

3. **المرافق الدينية:** شكّلت المرافق الدينية جزءاً من مدينة بيروت والتي عبرت عن التمازج الديني فيها بين المسلمين والنصارى فكان للمسلمين مساجدهم وللنصارى كنائسهم، حتى أولئك التجّار النصارى الذين أقاموا في بيروت بغرض التجارة، وبشكل مؤقت روعيت حقوقهم الدينية بإقامة كنائسهم الخاصة .

عندما استعاد المماليك مدينة بيروت من الصليبيين لم يكن فيها أي مسجد للمسلمين [2]، فعملوا على تحويل الكنيسة التي كانت معروفة بكنيسة مار يوحنا إلى جامع، وأزالوا عن بنائها جميع الآثار الصليبية [3]، وأطلق عليه اسم جامع فتوح الإسلام [4]، وهناك أيضاً مسجد آخر قام ببنائه أُمراء الغرب البحتريون في حارتهم المنسوبة إليهم عند البحر[5]، بالإضافة إلى مسجد (زاوية) آل الحمرا الذي قاموا ببنائه في محلتهم (محلة الحمرا) برأس بيروت [6]، وجامع شمس الدين الذي بناه الشيخ شمس الدين القونوي أحد الصالحين المرابطين في بيروت [7]. وذكر طه الوالي سبعة مساجد بُنيت في بيروت خلال العهد المملوكي وهي[8]: جامع الدباغة وبُني حوالي سنة (743 هـ/ 1342م)، وزاوية المغاربة وتعود إلى سنة (793 هـ/1391م)، وزاوية المجذوب وبُنيت حوالي سنة (745هـ/ 1344م) وزاوية رأس بيروت وهي نفسها زاوية آل الحمرا وبُنيت سنة (810هـ1407م)، وزاوية

---

(1) عبّاس، **تاريخ بلاد الشام**، ص108.

(2) كرد علي، **خطط الشام**، ج6، ص55؛ خوري، **بيروت في المصادر العربية**، ص235.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص34؛ كرد علي، **خطط الشام**، ج6، ص55؛ الوالي، **بيروت**، ص176.

(4) الوالي، **بيروت**، ص176.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص110.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص106؛ الوالي، **بيروت**، ص23.

(7) الوالي، **بيروت**، ص177؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص106-107.

(8) الوالي، **بيروت**، ص178-179.

الراعي .

أما بالنسبة للكنائس فقد وجد منها في بيروت كنيسة المخلص التي ذكرها أغلب من زار المدينة من الرحّالة والحجّاج النصارى[1]، بالإضافة إلى دير للرهبان الفرنسيسكان ذكره الرحّالة طرويا، ويقع بجوار كنيسة المخلص[2]، كما تمتع رعايا الدول الأجنبية في بيروت بإمتيازات كثيرة من ضمنها، إقامة الكنائس [3]، ومثال ذلك أنّ التجّار القبارصة المقيمين في بيروت كان لهم كنيسة خاصّة [4]، وسُميت على اسم شفيع جمهوريتهم القديس مرقس[5].

4. أحياء بيروت:

تكونت مدينة بيروت من عدة حارات ومحلات كان أغلبها مرتبطاً بأسماء العائلات البيروتية، وأماكن إقامة الابدال المخصصة لحماية المدينة، ومن هذه الحارات والمحلات:

1. حارة أُمراء الغرب :

اتخذها الأمير ناصر الدين الحسين سكناً له بمن يضاف إليه من بدله المخصص لحماية بيروت، وقد كان هذا البدل يقيم قبل ذلك في المبنى الذي كان كنيسة تدعى كنيسة أفرنسيسك، وسبب الانتقال من الكنيسة إلى الحارة يعود إلى أن الأمير ناصر الدين كره سكن الكنيسة لبعدها عن البحر واختار أن يكون مجاوراً للبحر، وخاصة بعد إغارة الجنوية على ميناء بيروت[6]. وهكذا نرى أن سبب الانتقال هو سبب عسكري، فمن البديهي أن يكون البدل المخصص لحماية ثغر بيروت قريباً من البحر، لأن الخطر الصليبي يهدد المدينة .

---

(1) الوالي، **بيروت**، ص46؛ العابدي، **أجانب في ديارنا**، ص31.

(2) الوالي، **بيروت**، ص46-47.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص149.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35، كرد علي، **خطط الشام**، ج4، ص265.

(5) البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ص329.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107، شبارو، **تاريخ بيروت**، ص111.

وتقع الحارة على جانب البحر ومنها يبتدئ سور بيروت الذي عمّره الأمير بيدمر[1]. وباب الحارة يفتح على زقاق الخيالة[2]، وقام أُمراء الغرب بعمارتها، فبنى ناصر الدين الحسين اطباقاً على الأقبية وبنى سوراً حولها فجاءت أحسن ما يكون، وخصصت الأطباق لتكون مسجداً [3]، كما عملوا على جلب الماء إلى حارتهم بواسطة القنوات[4]. وأشار الكونت دو بويسون إلى أن هذه الحارة هي نفسها حارة السنبطية أو السنباطية[5].

2. محلة الحمراء: تقع في رأس بيروت، وكانت تعرف قبل ذلك باسم جرن الدب ويسكنها آل تلحوق الدروز، فأخرجهم منها بنو الحمراء البقاعيون، واشتهرت باسم محلة الحمراء بعد أن سكنها بنو الحمراء، وأقاموا فيها جامعهم (زاوية الحمراء)[6].

3. محلة العنابة[7]: يبدو أن اسمها مستمد من أحد الأبدال الثلاثة التي كانت مفروضة على أُمراء الغرب لحماية ثغر بيروت، وهو بدل اليعانبة الذين أقاموا بالدار المعروفة بدار صاحب بيروت[8].

4. المصطبة (المصيطبة): كانت هذه الأرض مرتفعة عن مستوى المدينة وبعيدة عن البحر، وكانت في بدايتها ترسانة بحرية حربية لصناعة السفن

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35؛ الوالي، **بيروت**، ص63.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107.

(3) **المصدر نفسه**، ص107؛ ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر، **صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط** ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، منشورات جروس بروس، طرابلس، 1993م، ج2، ص699،(وسيشار إليه تالياً: ابن سباط، تاريخه).

(4) **المصدر نفسه**، ص193؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص111.

(5) دو بويسون، **استحكامات بيروت**، مجلة المشرق، ع9، 1922 م، ص763.

(6) الوالي، **بيروت**، ص23.

(7) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص167.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107؛ اليعانبة: نسبة إلى قرية عينتاب من قرى الغرب .

الحربية[1]. وكانت المصيطبة منفصلة عن بيروت ومع الزمن بدأت ترتفع فيها أبنية الأمراء المماليك وأعوانهم من قادة الجيش ورجال السلطة، ومعهم الأعيان والوجهاء من أبناء البلد المحليين، وأصبحت خاصة بهم. وتغير اسمها من (مسطبة بيدمر)، لتأخذ اسماً جديداً مستمداً من مستوى القاطنين فيها، وهذا الاسم هو (منزلة السلاطين)[2]، وفيها كان ينزل سلاطين المماليك عند زيارتهم لبيروت أو مرورهم بها[3]، وربما سميت بمنزلة السلاطين بسبب ذلك.

5. **السنبطية:** تقع خارج البلد غربي بيروت[4].

6. **البسطة:** أُنشئ هذا الحي منذ أيام الدولة الأيوبية[5].

7. **الاشرفية:** أحد أحياء بيروت ويقع قبالة المصطبة[6].

وفيما يتعلق بالمساكن وطبيعتها فقد تفاوتت في بيروت بين مساكن العامة وقصور الأمراء [7]. وقد كان التركيز على ذكر انجازات الأمراء وبخاصة أُمراء الغرب وإعمارهم للمدينة. ويتضح أن هذه المباني تكونت من أكثر من طابق وكانت تقام على الأقبية، وأحياناً تدار عليها الأسوار[8]. وبعض هذه المباني يستفاد منها في أمور غير السكن، فعندما اتخذ أُمراء الغرب من كنيسة أفرنسيسك مقراً لهم جعلوا أسفلها إسطبلاً وجعلوا أعلاها أطباقاً[9]، كما أنهم في حارتهم التي على جانب البحر عمّروا أطباقاً على الأقبية وجعلوا من الأطباق مسجداً، وفيها الدار التي بناها الأمير

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص30، الوالي، **بيروت**، ص155.

(2) **المرجع نفسه**، ص155.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص133.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص32؛ الوالي، **بيروت**، ص128.

(5) الوالي، **بيروت**، ص156.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص133؛ الوالي، **بيروت**، ص158.

(7) الشدياق، **أخبار الأعيان**، 18، ص12؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص111.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص106-107؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص12؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص110.

(9) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص106.

ناصر الدين الحسين[1].

ومن الأمثلة على قصور الأمراء في بيروت، القصر المشهور الذي بناه الأمير زين الدين عمر بن عيسى [2]. وكان هناك مرافق للقصور كالإيوان، ومثال عليه الإيوان الذي بناه الأمير سيف الدين يحيى بن زين الدين صالح وقصد ترخيمه وزخرفته إلاّ أنّه لم يكمله [3]، وأكمله بعده ابنه فخر الدين [4]. ويبدو أن بعض الأمراء والأعيان قد توجّهوا في بناء قصورهم إلى خارج بيروت القصبة، وانتقلوا إلى أحيائها وبخاصة المسطبة التي عرفت بمنزلة السلاطين[5].

أمّا عن أزقة بيروت وشوارعها فلم تذكر المصادر سوى زقاقاً واحداً، هو زقاق الخيالة، ويبتدئ من باب حارة أمراء الغرب الذي على جهة القبلة (الجنوب الشرقي)، ويمتد حتى يصل إلى قرب الحمام العتيق، وقد أستملك الأمير ناصر الدين الحسين هذا الزقاق[6].

وأنشئ في بيروت العديد من الحمامات العامة [7]، ومنها الحمام العتيق [8]، والحمام الذي أنشأه تنكز نائب دمشق[9]، كما كان هناك حمامات خاصة بالأجانب

---

(1) صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص107؛ ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص699؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص12؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص110.

(2) ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص805؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص111.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص216؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص111.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص216؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص111.

(5) الوالي، **بيروت**، ص155.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107، الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص36، شبارو، **تاريخ بيروت**، ص110.

(7) مكي، **لبنان**، ص248.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107، الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص36.

(9) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص114، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص121، ابن تغري، **المنهل الصافي**، ج4، ص164؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص290؛ الصفدي، **الوافي**، ج10، ص431؛ حتى، فيليب، **لبنان في التاريخ** ==

كالحمامات التي كانت لرعايا جزيرة قبرص[1].

وفيما يتعلّق بمياه الشرب وكيفية تأمينها فيبدو أنّ لها مصدرين: الأول وهو أن شرب أهلها من الآبار[2]. والثاني وهو أن المياه كانت تجر إلى المدينة عبر القنوات[3]، التي تعود إلى فترات قديمة ترجع إلى القرن الخامس الميلادي وأوائل القرن السادس الميلادي. فقد كانت المياه تُنقل إلى بيروت من نبع العرعار عبر قناة لطيفة[4]. وقد اهتم الأُمراء بهذه القنوات فرمم أُمراء الغرب التنوخيون قنوات الماء في بيروت، كما عملوا على بناء قنوات جديدة [5].

6.1.1 القرى في ولاية بيروت:

لمدينة بيروت إقليم به عدة قرى [6]، ونجد تركيزاً على ذكر القرى الواقعة في الجهة الجنوبية والشرقية من مدينة بيروت. بينما يقل ذكر تلك الواقعة منها في الجهة الشمالية، ويعود ذلك إلى وجود مصدر مهم لتاريخ بيروت في العهد المملوكي، ويغطي بحكم الموضوع الذي كتب من أجله جنوب وشرق بيروت.

== **منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر**، ترجمة أنيس فريحه، دار الثقافة، بيروت، 1959، ص407، 214، (وسيشار إليه تالياً: حتى، لبنان في التاريخ) . حتى، **تاريخ سورية**، ج2، ص276 .

(1) الوالي، **بيروت**، ص46.

(2) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، مج1، ص371؛ حطيط، أحمد، **تاريخ لبنان الوسيط**، منشورات دار البحار، بيروت، 1986، ص99، (وسيشار إليه تالياً: حطيط، تاريخ لبنان).

(3) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص246؛ سترانج، لي، **فلسطين في العهد الإسلامي**، ترجمة محمود عميره؛ منشورات دار الثقافة والإعلام، ط1، 1970، ص330، (وسيشار إليه تالياً: سترانج، فلسطين).

(4) زيادة، **مدن عربية**، ص165.

(5) لابيدوس، **مدن الشام**، ص123؛ عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص111.

(6) ابن شاهين، غرس الدين خليل، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص42، (وسيشار اليه تالياً: ابن شاهين، زبدة كشف الممالك).

فصالح بن يحيى في كتابه تاريخ بيروت وهو أخبار السلف من ذرية بحتر بن علـــي أمير الغرب ببيروت، ركّز على أقاربه من أُمراء الغرب وقــراهم التـــي عمّروهـــا وسكنوها، وذكر أقطاعاتهم في تلك الجهات مما جعله مصدراً غنياً بالقرى اعتمـــدت عليه الدراسات الحديثة. ولكن سلبيته تكمن في أنّه لم يشمل جميـــع أنحـــاء ولايـــة بيروت، وكثيراً ما أشارت الدراسات إلى هذه المنطقة الواقعة جنوب وشرق بيروت، باسم غرب بيروت، وفعلياً أطلق عليها اسم منطقة الغرب وعلى سكانها من آل بحتر التنوخيين أُمراء الغرب لوقوعها على السفح الغربي لسلسلة جبال لبنان الغربية [1]. وتكرر ذكر أغلب قرى الغرب عند طنوس الشدياق في كتابه أخبار الأعيان في جبل لبنان وهو من مؤرخي لبنان في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشرالميلادي، وأنّها مقسّمة على مقاطعات الغرب الأسفل والغرب الأعلى والشحار والجرد التابعة لمعاملة صيدا[2].

ومن قرى ولاية بيروت في العهد المملوكي:

1. أعبيه (عبية): ترتفع عن البحر 750م وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 39 كم. وهي من القرى القديمة في لبنان، بُنيت على الأرجح فـــي أواخـــر القـــرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[3]، وأول من عمّر فيها الأمير جمال الـــدين حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي، ثم تبعه الأمراء التنوخيون[4]، واتخذوها مركـــزاً لهم واستقرّوا فيها[5]. ولهم فيها انجازات معمارية. فعمّر سعد الدين خضر بن محمد

---

(1) عواد، ابراهيم، "**لبنان في عهـــد المماليـــك**"، مجلـــة المـــشرق، ع40، 1942م، ص7، (وسيشار إليه تالياً: عواد، لبنان) .

(2) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص27–29، (هذا وفق تقسيم الدولة العثمانية الإداري لبلاد الشام).

(3) مرهج، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص95.

(4) عواد، **لبنان**، المشرق، ع40، 1942، ص6.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص48، ص107؛ مرهج، **موسوعة المـــدن والقـــرى اللبنانية**، ج7، ص95.

أخو جمال الدين علّيات وبيت [1]. كما ويعتبر الأمير ناصر الدين الحسين بن خضر أكثر أُمراء الغرب انجازات في عبية فقد عمر فيها قاعة (عرفت بالقاعة التحتا) وإيوان وبحرة، وعمّر علّيه وبيت وحمام وشيّد برجاً، وأنشأ لداره حديقة أجرى لها الماء [2]. وبلغ مقدار ما أنفقه على بناء الحمام ما يزيد على عشرة آلاف درهم وأضاف إلى ذلك عدة أبنية تمثّلت بطبقتين عرفتا بالدهشة، والبيت الكبير والإسطبل والمجلس الكبير الجنوبي، كما عمّر مسجداً وقبة. وكانت أخر انجازاته قاعة مضاف إليها مرقد بتخت معلّق تقع عند بوابة حارة أعبية، وسكن هذا المرقد بعد أن فرغ من عمارة القاعة[3]. كما كان يساعد أقاربه في انجاز أبنيتهم ولهم في عبية علّيات وقاعات وأقبية وأسطوانات (أساطين جمع اسطوان). وكانت أعمدة القاعة التحتا مطلية بطلاء رخام سماقي وفستقي [4]. وفي عبية عمّر الأمير سيف الدين يحيى بن زين الدين صالح التنوخي القاعة المعروفة به، ورخمها وزخرفها وأجرى إليها الماء، وأضاف إلى القناة الجارية إلى حارة أعبية زيادة كبيرة تسمى بعين الباردة، ثم جدد إيوان أعبية[5]. ومن أهم آثار التنوخيين في أعبية ضريح السيد عبدالله التنوخي، الذي أصبح مزاراً دينياً للدروز [6].

2. بتاتر (بثاثر أو بتاثر):[7]، ترتفع عن البحر 1050م، وتقع جنوب شرق بيروت وتبعد عنها مسافة 30 كم[8].

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107-108.

(2) **المصدر نفسه**، ص107، الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص ص 34-36.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص108؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص36.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص109-110.

(5) **المصدر نفسه**، ص193.

(6) مرهج، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص95. أنظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51، 73، 165؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص29.

(8) مرهج، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج2، ص36.

3. بحوارا (محواره): [1]، ترتفع عن البحر 700 م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 24 كم[2].

4. البرج (برج البراجنه): [3]، بلدة ساحلية تقع جنوب بيروت على بعد 7كم، وسمي برج البراجنه نسبة إلى قوم يدعون البراجنة نزلوا في المنطقة أواخر القـــرن الخامس عشر، ويبدو أنّ نشاط أهلها آنذاك كان مقتصراً على الأعمال الزراعية[4].

5. برج حمود: بلدة ساحلية تقع شرق بيروت على بعد 4كـــم ،وعنـــدما شـــن المماليك حملتهم على كسروان 705هـــ/ 1305م، اقطعوا المنطقة للتركمان وكلّفوهم بحماية الشواطئ [5].

6. بطلون (بطلّون):[6]، ترتفع عن البحر 1200م، وتقع جنوب شرق بيـــروت على بعد 24 كم[7].

7. بيصور: ترتفع عن البحر 850م، تقع جنوب شرق بيروت على بعـــد 25 كم، ويعود تاريخها إلى عهد التنوخيين[8]، وفيها بنى الأمير عماد الدين إسماعيل بن محمد قاعتين وأبنية أخرى[9].

8. الخريبة: [10]، ترتفع عـــن البحـــر 950، وتقـــع شـــرق بيـــروت علـــى

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص88، 161.

(2) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج2، ص128.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص174، 248.

(4) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج2، ص187.

(5) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج2، ص193.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51، 161.

(7) مرهج، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج2، ص401.

(8) المرجع نفسه، مج3، ص262.

(9) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص40.

(10) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص87-168.

بعد 36 كم[1].

9. دفون:[2]، ترتفع عن البحر 650م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 27 كم [3].

10. ديرقوبل: [4]، ترتفع عن البحر 200م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 15 كم[5].

11. رمطون: تقع جنوب شرق بيروت على بعد 42كم تقريباً، كان أول من سكنها سيف الدين غلاب وأخواه عبد المحسن وكرامة أولاد علم الدين، وكانوا قبل ذلك يسكنون أعبية، وانتقلوا إلى رمطون بسبب خلاف بينهم وبين نجم الدين محمد بن جمال الدين حجي، وسكنوا جنوب شرق رمطون. وبعد ذلك أنشأ علم الدين سليمان بن سيف الدين غلاب العمارة المعروفة به غربي رمطون (عمارة علم الدين)، وكانت عمارته لها مجاراة لعمارة أُمراء الغرب في أعبية، ولعلم الدين اسطوان في رمطون[6].

12. سرحمور (سرحمول): ترتفع عن البحر 500 متر، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 20 كم[7]. وحصن سرحمور هو الذي سكنه أُمراء الغرب من أبناء كرامة بن بحتر خلال استيلاء الصليبيين على بيروت، وقد هدمه الصليبيون وذلك عندما هادنهم واستدرجهم صاحب بيروت، وتمكّن من القضاء عليهم، وعمل على نهب حصنهم وهدمه، ولم ينجُ من أبناء كرامة الأربعة سوى ابنه جمال الدين حجي فقد كان طفلاً صغيراً عند أمه. وتمكّنت أم حجي وولدها الصغير من الهرب من

---

(1) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج4، ص415.
(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51،165.
(3) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج5، ص20.
(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص89؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص28.
(5) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج5، ص158.
(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص167-169.
(7) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص444.

الحصن عندما داهمه الفرنج[1]. وبعد خراب الحصن كان حجي من الذريـــة الـــذين سكنوا طردلا ثم بعدها أعبيه[2].

13. سن الفيل: ترتفع عن البحر 50م، تقع شرقي بيروت على بعد 5 كـــم، وبعد حملة المماليك على كسروان والمتن كان أول من عاد إلى هذه المنطقة أمـــراء آل أبي اللمع(اللمعيون) فأصبحت إقطاعاً لهم[3].

14. شارون:[4]، ترتفع عن البحر 1100م، وتقع جنوب شرق بيروت علـــى بعد 31 كم[5].

15. شملال (شملان):[6]، ترتفع عن البحر 700م، وتقـــع جنـــوب شـــرق بيروت على بعد 25 كم[7].

16. عاليه: [8]، ترتفع عن البحر 850 م، تقع جنوب شرق بيروت على بعد 17 كم. ولد وعاش فيها المؤرخ المعروف بابن سباط العاليهي الذي أكمـــل مؤلـــف صالح بن يحيى في تاريخ بني بحتر من أُمراء الغرب في أواخـــر القـــرن التاســـع وأوائل القرن العاشر الهجري[9].

17. عرامون (عرمـــون): ترتفع عن البحر 450م، تقع جنوب شرق بيروت على بعد 17 كم. يعود تاريخها الى أيام التنوخيين الذين استوطنوها وجعلوها مركز

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص45.
(2) **المصدر نفسه**، ص48.
(3) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج6، ص115 – 116.
(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، 51؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص29.
(5) مرهج، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج6، ص150.
(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51، 215،؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص28.
(7) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج6، ص248.
(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51، 168؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص28.
(9) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص44-45.

حكمهم [1]. ولكن يبدو أنّها كانت مسكونة قبل ذلك، فقد كان فيها قبل أن يعمّرها التنوخيون قرابة عشرين بيتاً حول عين عرامون[2]. وأول عمائرهم فيها الحارة التي عند العين وعمّرها زين الدين صالح بن علي بن بحتر، وكان ذلك قبل فتح بيروت. ثم عمّر القاعة والحمام في البستان. كما عمل زين الدين على بناء قلعة (حصن) في رأس عرامون، لكنه تراجع عن ذلك وحوّلها إلى بيوت للسكن. ونقب لها بئراً في الصخر، ولم يسقف البيوت وسقفها بعده ابنه بدر الدين يوسف، فإنه بعد وفاة زين الدين صالح توفي بعض أبنائه ولم يبقَ منهم سوى شرف الدين علي وبدر الدين يوسف، واقتسما السكن. فانتقل بدر الدين يوسف إلى عمارة الرأس، وبقي شرف الدين علي في حارة العين واستمرت ذرية كل واحد منها على ذلك [3].

وكان سكان عرامون خليطاً من عدة قرى؛ فبالإضافة إلى أُمراء الغرب فقد سكنها بعض أهالي خلدا ومرتغون، وبعض الطوائف مثل: بنو أبي الجيش، وبنو غازي، وبنو نحرير، ومهاجرون شكّلوا طوائف فلاحي عرامون ومنهم جماعة عرفوا ببني عبيدة[4].

18. **عندرافيل (عين درافيل):** [5]، ترتفع عن البحر 700م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 9 كم[6].

19. **عيتات (عيتاث):**[7]، ترتفع 700م عن البحر، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 23 كم[8].

---

(1) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص149.
(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص158.
(3) **المصدر نفسه**، ص76، 197، 198.
(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص198-199.
(5) **المصدر نفسه**، ص46، 168؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص28.
(6) **المرجع نفسه**، مج7، ص353 .
(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51، 88، 215؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، مج1، ص28.
(8) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص252.

20. **عيناب**: ترتفع عن البحر 750م، تقع جنوب شرق بيروت على بعد 28 كم [1]، وعمّر فيها نجم الدين محمد بن جمال الدين حجي عدة أبنية [2].

21. **عين أعنوب (عين عنوب)**:[3]، ترتفع عن البحر 750م، تقع جنوب شرق بيروت على بعد 19 كم، وينسب المؤرخون نشأتها إلى عهد الأمراء التنوخيين[4].

22. **عين دارا (عين داره)**: [5]، ترتفع عن البحر 1250م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 32 كم [6].

23. **عين كسور**:[7]، ترتفع عن البحر 750م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 26 كم[8].

24. **الفسيقين (الفساقين)**: [9]، ترتفع عن البحر 150م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 25 كم [10].

25. **كفر عميه**:[11]، ترتفع عن البحر 750 م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 25 كم. كان لصناعة الحرير شأن يذكر في هذه البلدة أيام كانت دودة القز

---

(1) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص277.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص150.

(3) **المصدر نفسه**، 54؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص28.

(4) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص419.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص148.

(6) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص347.

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص168؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، مج1، ص28.

(8) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص444.

(9) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص221،89؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص28.

(10) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، ج8، ص90.

(11) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51، 165؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، مج1، ص29.

ناشطة في لبنان قبل أن تتقرض[1].

26. **كيفون:** [2]، ترتفع عن البحر 850م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 25 كم [3].

27. **مجد البعنا (مجد لبعنا):**[4]، ترتفع عن البحر 1050م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 28 كم[5].

28. **مجدليا:** [6]، ترتفع عن البحر 500م، وتقع جنوب شرق بيروت على بعد 26 كم [7].

29. **مرتغون:** من اقطاعات أُمراء الغرب وهي قريبة من عرامون [8]. ويبدو أنّها مرتفون المشار إليها في موسوعة المدن والقرى اللبنانية[9].

30. **الناعمة:** ترتفع عن البحر 200م، تقع جنوب بيروت على بعد 21كم[10]، وكانت من بلاد الغرب في ولاية الأمراء التنوخيين [11].

وهناك العديد من القرى التي ذكرها صالح بن يحيى على أنّها من اقطاعات أُمراء الغرب ولكن لم نستطع تحديد موقعها بالنسبة لبيروت وبُعدها عنها، هذه القرى هي:

---

(1) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج9، ص5.
(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص80، 87.
(3) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج9، ص124.
(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص29.
(5) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج9، ص183.
(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص88؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص28.
(7) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج94، ص211.
(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص51، 80، 84، 87.
(9) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج7، ص149.
(10) **المرجع نفسه**، مج9، ص459.
(11) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص28.

طردلا وقرية جبعة والدوير، وقدرون والصباحية، وخلدا وحيرثالا، والعمروسية وشطرا وحير بشالا ومعدلا وشمشوم ، والصبيحية ودرب المغيثة وقرتيه والطعزانية (الطغرانية) والقبي، وعين حجية، وشمليخ، واللباني، ومعيسون وبشعقاب والبويت، ودوير بني منقذ(1).

وقد وردت بعض القرى على أنّها من أعمال بيروت وهي: قرية بوردين التي لم تبقَ عامرة إلى نهاية العهد المملوكي(2)، وقرية كفرا (3)، وقرية المغاربة(4)، وقرية خنتوس (حنتوس) (5)، وقرى الصابونية، وهي مجموعة قرى تقع قرب بيروت، وسُميت بالصابونية لأنها كانت وقفاً لكتّاب يضم عشرة أيتام وشيخاً يعلمهم القرآن في المدرسة الصابونية بدمشق (6)، وقرية انطلياس(7)، وقرية مجدل معوش(8).

كما تظهر الخريطة التي أوردها فيليب حتي لمنطقة الغرب في عهد البحتريين

---

(1) صالح بين يحيى، **تاريخ بيروت**، ص 46، 51، 80، 87، 88، 148، 168، 193، 221.

(2) ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص900.

(3) **المصدر نفسه**، ج2، ص907.

(4) النويري، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق مفيد قميحه وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج32، ص121،(وسيشار إليه تالياً: النويري، نهاية الأرب).

(5) أبو الفداء، **المختصر**، ص151؛ الصفدي، **الوافي**، ج18، ص209.

(6) النعيمي، عبد القادر بن أحمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، فهرسة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ج1، ص12 (وسيشار إليه تالياً: النعيمي، الدارس).

(7) البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص31؛ مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج1، ص365.

(8) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص359؛ تدمري، عمر "**الرباط في ثغور الشام**"، مجلة الفكر الإسلامي، ع11، سنة11 تشرين الثاني 1987، ص87 (وسيشار إليه تالياً: تدمري، الرباط).

قرى الدامور والحدث وبحمدون، وعين صوفر، وعين زحلتا وسوق الغرب[1].

ومن خلال المقارنة بين ما ورد لدى القلقشندي عن حدود بيروت في الحقبة الصليبية والمناطق التابعة لها، وبين ما أورده طنوس الشدياق في أخبار الأعيان عن القرى في العهد العثماني، نجد هناك بعض القرى التي ما زالت موجودة رغم عدم إشارة المصادر المملوكية لها، ووجودها منذ العهد الصليبي واستمرارها إلى العهد العثماني دليل على وجودها خلال فترة حكم المماليك، وهذه القرى هي: الجديدة والبوشرية والدكوانه[2].

2.1 جغرافية ولاية بيروت

ذكرنا أثناء الحديث عن الموقع الجغرافي أن بيروت مدينة ساحلية على البحر الأبيض المتوسط، وورد ذلك بعدة صور فهي تقع على شاطئ البحر الملح[3]، أو ساحل بحر الشام[4]، أو بحر الروم[5]، أو على البحر من ساحل دمشق[6]، كما أنها تستند إلى سلسلة جبلية من خلفها ولذلك اقتصرت النواحي الجغرافية في بيروت على السهول الساحلية والخلجان والرؤوس البحرية – التي تعد مدينة بيروت مثالاً عليها – وكذلك المرتفعات الجبلية الواقعة شرقي بيروت .

أ. السهول الساحلية

امتد السهل الساحلي في ولاية بيروت من مصب نهر الكلب شمالا، حتى مصب نهر الدامور جنوبا وهو شريط ضيق من السهول يتراوح عرضه في أغلب

---

(1) حتي، **لبنان في التاريخ**، ص405.

(2) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج14، ص44؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص27.

(3) الادريسي، **نزهة المشتاق**، مج1، ص371.

(4) الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص525.

(5) ابن حوقل، **صورة الارض**، ق1، ص165؛ الاصطخري، **المسالك**، ص48.

(6)ابو الفداء، **تقويم البلدان**، ص247.

الأحيان بين 2-3 كم كسهل بيروت[1]وسهل انطلياس[2]، ثم يتسع في الجهة الجنوبية الشرقية من بيروت ليبلغ عرضه 9كم. وفي جنوب بيروت يكون السهل رمليا بعرض كيلو ونصف وطول 10كم، ثم سهل الشويفات بعرض 1-3 كم وطول 7كم، يليه سهل خلده الضيق، ومن ثم سهل الدامور[3].

وعلى هذا فإنّ السهل الساحلي في ولاية بيروت ضيق غالباً، باستثناء بعض المناطق التي يتسع فيها ليبلغ عرضه عدة كيلو مترات، ويكون ذلك عند مصاب الأنهار كنهر بيروت ونهر الدامور. وأشهر هذه السهول هي أوسعها، كسهل انطلياس، وسهل بيروت، وسهل الشويفات، وسهل خلدة، سهل الدامور .

ب. الخلجان والرؤوس البحرية :

اشتملت ولاية بيروت على خليج واحد هو خليج مارجرجس الواقع شمال شرق بيروت عند مصب نهر بيروت [4]، وثلاثة رؤوس بحرية هي: [5]

1. رأس الكلب: عند مصبّ نهر الكلب الذي يعتبر الحد الشمالي لولاية بيروت.
2. رأس بيروت: وهو أكبر الرؤوس وأرحبها وتقع عليه مدينة بيروت وطوله من 6-7 كم .
3. رأس الدامور: عند مصبّ نهر الدامور الذي يعتبر الحد الجنوبي لولاية بيروت .

---

(1) ألياس، فادي، **المناخ والأسعار والإمراض في بلاد الشام في عصر المماليك (648-922هـ/1250-1516م)**، بيروت، 1998م، ص12،(وسيشار إليه تاليا: ألياس، المناخ).

(2) فضل الله، عبد الرؤوف، **لبنان دراسة جغرافية**، مكتب كريديه أخوان، بيروت، 1983، ص42 . (وسيشار إليه تالياً: فضل الله، لبنان).

(3)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، 17.

(4) فضل الله، **لبنان**، ص40.

(5)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص19؛ لامنس، **تسريح الأبصار**، ص337-338؛ فضل الله، **لبنان**، ص40.

ج. المرتفعات الجبلية :

يغلب على الجهة الشرقية من ولاية بيروت الطابع الجبلي المتمثل بسلسلة جبال لبنان الغربية، لذلك فكلما اتجهنا إلى الشرق زاد الارتفاع حتى أعلى تلك السلسلة، وهذه الجبال هي:

1. جبل الباروك : يقع إلى جهة الجنوب الشرقي من مدينة بيروت، ويبلغ ارتفاعه 2222 متراً [(1)].
2. جبل لبنان : يشرف على بيروت من جهة الشرق، ويفصل بينها وبين هذا الجبل نهر بيروت الذي يصب في خليج مارجرجس على الجهة الشمالية من المدينة [(2)]
3. جبل الكنيسة: كان يسمى جبل بوارج أو بوارش[(3)] يقع تقريباً شمال غرب مدينة بيروت ويبلغ ارتفاعه 2032 متراً [(4)]، وربما يكون هذا الجبل هو جبل الدير الذي ذكر ابن أيبك الدواداري عند حديثه عن امتداد سلسلة جبل لبنان وأن فيه جبل يقال له جبل الدير مطل على ساحل البحر ببيروت [(5)].
4. جبل صنين : يقع شمال غرب مدينة بيروت، ويبلغ ارتفاعه 2608 أمتار وهو على شكل مثلث يرى من بيروت بقرنين شاهقين [(6)].

3.1 مناخ المنطقة :

بيروت مدينة ساحلية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ومناخها هو مناخ

---

(1)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ص10.

(2) الوالي، **بيروت**، ص22.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(4)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ص10.

(5)الدواداري، ابن أيبك ، **كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)**، تحقيق: هانس روبرت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960،ص150.

(6)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ص10.

البحر المتوسط بكل عناصره، الرياح والأمطار ودرجات الحرارة.

أ. الحرارة :

تتميز مدن الساحل بالمناخ البحري في الوقت الذي تعتبر فيه المدن الداخلية والجبلية قارية المناخ، وهذا يعني أن درجة الحرارة ترتفع في مدن الساحل أثناء فصل الشتاء أكثر من مدن الداخل والجبل فيعظم المدى الحراري السنوي الفصلي واليومي في مدن الداخل والجبل عنه في مدن الساحل . وفي مدينة بيروت تبلغ درجة الحرارة في فصل الشتاء (شهر كانون الثاني) (14.1 ْ م)، في حين تبلغ في فصل الصيف (شهر تموز)، (25.8 ْ م)، وبذلك يكون المدى الحراري السنوي (11.7 ْم).[1]

ومن خلال خرائط خطوط الحرارة المتساوية التي تشمل مدينة بيروت يلاحظ أن منطقة السهل الساحلي تكاد تنحصر بواسطة خط الحرارة (10 ْ م) خلال فصل الشتاء، أمّا في فصل الصيف فإنّ المنطقة الساحلية تتأثّر نسبياً بتأثّير البحر الملطف لدرجات الحرارة [2].

ب. الرياح :

تختلف ظروف الضغط الجوي في المنطقة التي تشملها الدراسة من فصل إلى آخر على مدار السنة، ولهذه الاختلافات آثار مباشرة في تشكيل اتجاه الرياح التي تهب عليها [3]، وتهب على لبنان بشكل عام الرياح الغربية الممطرة، كما تتأثّر بالرياح العكسية الشتوية الممطرة [4].

أمّا في فصل الصيف فيسود الجفاف نظراً لتأثر لبنان بالرياح الجافة خلال هذا الفصل، كما أن هناك الرياح الباردة الآتية من جهة الشمال التي تتأثر بها الأراضي

---

(1) فضل الله، **لبنان**، ص49 ؛ أبو العينين، حسن، **دراسات في جغرافية لبنان**، دار النهضة العربية، بيروت، 1968م، ص151، (وسيشار إليه تالياً، أبو العينين، دراسات).

(2) أبو العينين، **دراسات**، ص160، 157.

(3) المرجع نفسه، ص161.

(4) فضل الله، **لبنان**، ص45؛ أبو العينين، **دراسات**، ص162.

اللبنانية وخاصة المناطق الجبلية الداخلية [1]، بالإضافة إلى رياح الصحاري، التي تهب على لبنان من بادية الشام في الشرق، والصحاري العربية في الجنوب الشرقي، والصحراء الإفريقية في الجنوب وفي الجنوب الغربي [2]. وتعرف هذه الرياح باسم (الخماسين) التي تحمل معها كميات كبيرة من الرمال الدقيقة، وتتأثر بها أجزاء الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ويكون هبوبها خلال فصل الربيع، وكثيراً ما تتعرض بيروت لهذه الرياح[3]. وهنالك أيضاً الرياح المحلية التي تنتج من التفاعل ما بين البحر والبر(نسيم البحر ونسيم البر)، والتفاعل ما بين الوادي والجبل (نسيم الوادي ونسيم الجبل) [4]، أما الاتجاه السائد للرياح في مدينة بيروت فهو الاتجاه الجنوبي بشكل عام، وتبلغ نسبة الرياح الساكنة فيها نحو 30% [5].

ج. الأمطار والبرد والثلوج :

يعود تساقط الأمطار فوق لبنان ومن ضمنها بيروت إلى تأثير الرياح الغربية العكسية الشتوية، وتقل كمية الأمطار كلما اتجهنا شرقاً، فكمية الأمطار السنوية الساقطة فوق المناطق الساحلية تتراوح بين (480 إلى 1000 ملم)، وفي مدينة بيروت قدرت بـــ (879 ملم). وكما أن كمية الأمطار السنوية تزداد بالقسم الغربي من لبنان، كذلك فإن عدد الأيام الممطرة هو أكثر بالجانب الغربي من لبنان، ويبلغ عدد الأيام الماطرة في بيروت (81) يوماً في السنة [6] .

أمّا البرد والثلج فهما مظهران من مظاهر التساقط أيضاً، وقد قدر عدد أيام سقوط البرد على الساحل الأوسط للبنان بعشرين يوماً [7]، ويتراوح حجم حبة البرد من مثل حجم حبة الأرز أو الحمص إلى ما قد يشبه حجم البيضة، وفي هذه الحالة

(1) فضل الله، **لبنان**، ص45؛ أبو العينين، **دراسات**، ص162، 164.

(2) فضل الله، **لبنان**، ص46.

(3) أبو العينين، **دراسات**، ص164.

(4) فضل الله، **لبنان**، ص46.

(5) أبو العينين، **دراسات**، ص164.

(6) أبو العينين، **دراسات**، ص 165–170.

(7) فضل الله، **لبنان**، ص55؛ أبو العينين، **دراسات**، ص175.

يكون ذا ضرر على المحاصيل الزراعية [1]. وقد أشار ابن حجر العسقلاني إلى نزول البرد على بيروت، والى حجم حبة البرد فذكر أنه في العاشر من محرم سنة 826 هـ/ 25 كانون أول 1422م " وقع في بيروت برد كبار حتى وزنت واحدة فبلغ وزنها ربع قنطار شامي ويقال أكثر من ذلك " [2].

أمّا الثلج فيسقط كثيراً في المناطق الجبلية وفي المناطق الداخلية، بينما يندر سقوطه على الساحل [3]، وعلى هذا الأساس فإنه من المنتظر أن تتعرض الجهة الشرقية من ولاية بيروت إلى تساقط الثلوج بكثرة بسبب ارتفاعها وشمولها لقمم جبلية شاهقة، ووفق ما أمدتنا به المصادر فإن منطقة الساحل رغم ما ذكر من ندرة سقوط الثلج عليها فإنها تعرضت خلال فترة الدراسة إلى تساقط الثلوج، فيذكر الدويهي أنه في سنة 914 هـ/ 1508م " وقع الثلج العظيم الذي لم يعهد مثله وكان بدؤه في سبعة أيام في شباط واستمرت ترمي ثلج قرب نصف شهر حتى انقطعت الطرقات في السواحل في الأماكن التي لا تتساقط فيها الثلوج، وكان الارتفاع بالسواحل نحو سبعة أشبار .... " [4].

د. الأقاليم المناخية للمنطقة

يسود ولاية بيروت، بحكم موقعها، مناخ البحر المتوسط الرطب، وهو على ثلاثة أنماط: [5]

1. مناخ البحر المتوسط الرطب الساحلي : ويبلغ المتوسط السنوي لدرجة الحرارة في هذا الإقليم نحو 20ْم، ونادراً ما تنخفض درجة حرارة فصل

---

(1) أبو العينين، **دراسات**، ص175.

(2) ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي، **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986 م، ط2، ج8، ص1.(وسيشار إليه تالياً: إنباء الغمر).

(3) فضل الله، **لبنان**، ص55 ؛ أبو العينين، **دراسات**، ص173.

(4)الدويهي، اسطفان ، **تاريخ الأزمنة**، تعليق بطرس فهد، 1976، ص379، (وسيشار إليه تالياً: الدويهي: تاريخ الأزمنة) .

(5) أبو العينين، **دراسات**، ص177 – 183.

الشتاء عن (9 ْم)، أو ترتفع درجة حرارة الصيف عن (28 ْم)، ولا تتعرض أجزاء هذا الساحل لحدوث التجمد أو الصقيع إلاّ في حالات نادرة. ويتأثر مناخ الساحل اللبناني بنسيم البحر المجاور، مما يلطِّف ويقلّل المدى الحراري اليومي والسنوي..

2. مناخ البحر المتوسط الرطب (فيما وراء الساحل) : يتميز مناخ البحر المتوسط الرطب الساحلي بخصائص مناخية مختلفة كلما ابتعدنا عن الساحل متجهين شرقاً، ويلاحظ أن هذه الاختلافات المناخية تحدث بصورة تدريجية من خط الساحل حتى ارتفاع (800م) فوق سطح البحر عند أقدام السلسلة الجبلية. وفصل الشتاء في هذا الإقليم أقل برودة منه في إقليم البحر المتوسط الرطب الساحلي، والمتوسط السنوي لدرجة الحرارة في هذا الإقليم لا يزيد عادة عن (15 ْم)، وكمية الأمطار الساقطة فوق أجزاء هذا الإقليم تختلف من مكان إلى آخر تبعاً لارتفاعها.

3. مناخ البحر المتوسط الرطب الجبلي : ويتمثل هذا النمط في سفوح جبال لبنان الغربية فوق ارتفاع (800 م) ويشمل الجهة الشرقية من ولاية بيروت، ويتميز بانخفاض درجة الحرارة وخاصة خلال فصل الشتاء، حيث تنخفض درجة الحرارة عن (10 ْم) لمدة تتراوح من (4–6) أشهر في السنة، وهذا يساهم في حدوث التجمد وتساقط الثلوج، ويرتفع كذلك المدى الحراري اليومي الذي يتراوح عادة من (15 ْ – 21 ْم)، في حين يتراوح المدى الحراري السنوي من (12 ْ – 16 ْ م). وقد تصل أعلى درجة حرارة خلال فصل الصيف إلى نحو (21.8 ْم).

4.1 المياه في المنطقة :

أدى موقع ولاية بيروت وطبيعتها الجغرافية إلى غزارة مواردها المائية؛ فهي تتلقّى سنوياً كميات كبيرة من الأمطار التي تغذي عدداً من الأنهار والينابيع. وبحكم هذا الموقع أيضاً فإنّ جميع الأنهار الموجودة فيها أنهار ساحلية وهي ليست كبيرة وطويلة المجرى لأن المسافة بين المنبع والمصب على شاطئ البحر مسافة قريبة.

كذلك لا توجد على الساحل سهول فسيحة تسمح للأنهار أن تنساب فيها[1]، وهي غير صالحة لاستخدام القوارب لشدة انحدار مسيلها وما يتوسطها من الصخور[2].

أ. الأنـهار :

1. **نهر الكلب** : يبعد عن بيروت (12كم) إلى جهة الشمال [3]، وتستمد روافده العليا مياهها من نبعي العسل واللبن[4]، ويتجه مجرى النهر نحو الجنوب ليصب في مجرى النهر الرئيسي، كما تنبع روافده العليا الجنوبية من نبع صنين [5]، ثم تتصل بمياه مغارة جعيتا في سفح جبل جعيتا، وتبعد عن البحر المتوسط نحو 7 كم، ومياهه غزيرة في الشتاء، قليلة في الصيف[6]، ومساحة حوضه النهري نحو (60 كم^2) [7].
2. **نهر انطلياس** : وهو نهر صغير يبعد نحو (4.8 كم) عن نهر الكلب [8]، وينسب إلى قرية انطلياس لمرروه بقربها، ومخرجه من فوارتين متفجرتين في منفسح الوادي بالقرب من مغارة انطلياس شرقي القرية، وماء هذا النهر عذب زلال، وسيره لا يزيد على كيلو مترين، ولا ينقطع في الصيف[9].

---

(1) لامنس، **تسريح الأبصار**، ص187، 305 ؛ البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص26.

(2) لامنس، **تسريح الأبصار**، ص187.

(3) خوري، **بيروت في المصادر العربية**، ص435.

(4) لامنس، **تسريح الأبصار**، ص19 ؛ البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص30؛ فضل الله، **لبنان**، ص61.

(5) **المرجع نفسه**، ص61.

(6) لامنس، **تسريح الأبصار**، ص19، البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص30، فضل الله، **لبنان**، ص61.

(7) **المرجع نفسه**، ص61.

(8)الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص18 .

(9)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص31 .

3. **نهر بيروت** : بينه وبين نهر انطلياس (3.2 كم) [1]، وله رافدان الرافد الأعلى الجنوبي يخرج من نبع شاغور حمانا تحت أقدام جبل الكنيسة، والرافد الأعلى الشمالي ويتغذى من مياه الأمطار الساقطة على الجوانب الغربية لمرتفعات صنين والكنيسة، ويلتقيان في أسفل رأس المتن، ثم يجري نهر بيروت في وادي ضيق تحت قرية بيت مري متجهاً نحو الغرب، وبعد أن يفضي إلى السهل يتجه إلى الشمال ويصب في البحر قرب خليج مارجرجس شرقي بيروت [2]، ويبلغ طوله (29 كم)، ومساحة حوضه حوالي (231كم^2) [3].
4. **نهر الدامور** : نهر كبير بينه وبين نهر بيروت (16 كم تقريباً) [4]، ومصدره من أربعة ينابيع هي : الغابون والصفا والقاع وعين دارا [5]، ويصب في البحر المتوسط إلى الجنوب من بلدة الدامور وطوله حوالي (34 كم) ومساحة حوضه النهري نحو (228 كم^2) [6].

وهناك بعض الأودية الموسمية التي تجري فيها المياه خلال فصل الشتاء فقط. وبفعل تضاريس ولاية بيروت واتجاه الانحدار من السلسلة الجبلية في الشرق إلى ساحل البحر المتوسط في الغرب، فإن مثل هذه الأودية منتشرة بكثرة على طول ساحل الولاية، ومن هذه الأودية في مدينة بيروت : وادي الشويفات [7]، ووادي الغدير الذي يعتبر امتداداً لوادي شحرور [8]، ويقع على مسافة قصيرة جنوبي

---

(1) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ص18.

(2)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص30 ؛ فضل الله، **لبنان**، ص61.

(3) فضل الله، **لبنان**، ص61.

(4) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ص18.

(5) المصدر نفسه، ص18–19 ؛ البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعيـــة**، ج1، ص32 ؛ فضل الله، **لبنان**، ص61 .

(6) فضل الله، **لبنان** ، ص61.

(7) لامنس، **تسريح الأبصار**، ص188، 312.

(8)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج2، ص15.

بيروت [1]، وشمال الشويفات[2]، ونهر الموت بين انطلياس والدوره [3].

ب. العيون والينابيع :

وجد في ولاية بيروت عدد من العيون والينابيع كنبع نهر بيروت ونبع نهر انطلياس ونبع جعيتا [4]، وعين العرعر (العرعار) قرب بعبدات [5]، ونبع اللبن، ونبع العسل [6]، ونبع صنين، وعين رأس النبع ببيروت، وهناك عيون على شاطئ البحر كعين السعديات قرب رأس الدامور، وعين المريسه ببيروت [7].

---

(1) ابو عزالدين، نجلاء، **الدروز في التاريخ**، دار العلم للملايين، بيروت، 1985، ط1، ص194 . (وسيشار إليه تالياً : ابو عزالدين، الدروز) .

(2)البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص34.

(3) لامنس، **تسريح الأبصار**، ص312 ؛ البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص34 .

(4) لامنس، **تسريح الأبصار**، ص68 ؛ البستاني، **لبنان مباحث عليمة واجتماعية**، ج1، ص23.

(5) لامنس، **تسريح الأبصار**، ص298؛ زيادة، **مدن عربية**، ، ص165.

(6) لامنس، **تسريح الأبصار**، 299 ؛ البستاني، **لبنان مباحث عليمة واجتماعية**، ج1، ص24.

(7)البستاني، **لبنان مباحث عليمة واجتماعية**، ج1، ص23–24.

الفصل الثاني

الإدارة والوظائف في ولاية بيروت

1.2 ولاية بيروت من الناحية الإدارية :

تمكّن المماليك من تحرير بلاد الشام من أيـدي الـصليبيين سـنة 690هـ/1291م، وبتحريرهم مدينة عكّا تهاوت بقية المعاقل الصليبية في أيديهم، بما فيها مدينة بيروت التي أشارت المصادر إلى فتحها مع وجود تباين بسيط بينها .

ذكر صالح بن يحيى أنّه بعد فتح السلطان الأشراف خليل لعكا وصور وصيدا أعطى نيابة الشام لسنجر الشجاعي(1)، وطلب منه أن يعود إلـى بيـروت، وكـان صاحب بيروت الصليبي قد أرسل إلى السلطان الأشرف خليل أثناء محاصرته لعكا طالباً منه الأمان، وأجابه السلطان إلى مطلبه، وعليه فقد كانت بيروت داخلـة فـي الطاعة الشريفة عندما توجّه إليها سنجر الشجاعي، وعند وصوله لاقى ترحيباً مـن صاحبها وخيّالته، فنزل الشجاعي في القلعة وطلب مـن أهلهـا أن ينقلـوا الأولاد والنساء والأمتعة إلى القلعة، وعندما دخلوا القلعة قبض على الرجال وقيّدهم وألقاهم

---

(1) الأشرف خليل: السلطان الملك الأشرف صلاح الدين بن السلطان الملك المنصور قـلاوون الصالحي، تولى الملك في ذي القعدة سنة689هـ/ تشرين الثاني 1290م، بعـد مـوت والده، وأكمل مسيرة والده الجهادية ففتح عكا وأنهى الوجود الصليبي في بلاد الشام، مات مقتولاً في الثالث من محرم سنة693هـ/ 13 كانون أول 1293م. أنظر: الكتبي، **فـوات الوفيات**، ج1، ص381-384. سنجر الشجاعي: الأمير علم الـدين سـنجر الـشجاعي المنصوري، كان من مماليك السلطان المنصور قلاوون وترقى حتى ولي الوزارة بالديار المصرية، وبعد فتح الأشرف خليل لعكا أسند إلى سنجر الشجاعي نيابة دمشق وكلفه بفتح بقية الساحل الشامي من الصليبيين؛ ففتح بيروت وأنطرسوس وجبيل، عزل الشجاعي عن دمشق في السادس من شوال سنة691هـ/ 19 ايلول 1292م؛ ومات مقتولاً في الرابـع والعشرين من صفر سنة693هـ/ 23 كانون الثاني 1294م. أنظر: ابن طولون، **إعـلام الورى** ص35-36.

في الخندق[1]، وأسر روبان آخر حاكم صليبي لبيروت[2].

وورد عند الذهبي أن أهل بيروت كانوا متمسكين بهدنة، ويبدوأنّهم خافوا على أنفسهم فأغلقوا المدينة فنازلها الشجاعي حتى فتحها وأسر أهلها. بينما ذكر ابن الوردي أنّ أهلها أصابهم الرعب جرّاء فتح المسلمين لعكا، فاخلوا بيروت وتسلّمها الشجاعي [3]، وبهذا تكون بيروت قد خضعت للمماليك دون قتال أو جهد يذكر، أو كما ورد في بعض الدراسات بأنّ بيروت أُخذت بالحيلة دون قتال [4].

كانت الإجراءات التي قام بها الشجاعي في بيروت تقليداً للسياسة التي اتبعها المماليك ومن قبلهم الأيوبيون عند فتحهم للثغور التي كانوا يخشون عودة الصليبيين إليها، فهدم سور بيروت وقلعتها [5]، ثم عمل على نقل الأسرى إلى دمشق ثم إلى مصر، ولمّا وصلوا إلى مصر خيّرهم السلطان بين العودة إلى بيروت أو الهجرة إلى قبرص، بحكم الأمان الذي أعطاه لهم قبل فتح المدينة، وكان خيارهم التوجّه إلى

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص23؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية؛ بيروت، ط1، 1997، ج2، ص226 (وسيشار إليه تالياً: المقريزي، السلوك).

(2) الوالي، **بيروت**، ص23.

(3) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **دول الإسلام**، إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، 1988م، ج2، ص191؛ (وسيشار إليه تالياً: الذهبي، دول الإسلام)؛ حطيط، **تاريخ لبنان**، ص102.

(4) حطيط، **تاريخ لبنان** ، ص101.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص24؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص371؛ الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، ص191؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص11؛ الغامدي، عبدالله سعيد، **جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري**، معهد البحوث الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكّرمة، ص284؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص93 ؛ خوري، **بيروت في المصادر العربية**، ص848.

قبرص [1]، وقدر عددهم بستمائة أسير [2]. ذكر بيبرس المنصوري أنّ أهل بيروت – شأنهم شأن سكان المناطق المفتوحة كصور وصيدا وحيفا– توجهوا إلى قبرص مباشرة [3]، ولم يذكر أنّهم نُقلوا إلى دمشق ثم إلى مصر، بينما ورد لدى الشدياق أن سنجر الشجاعي هو الذي قام بإطلاق سراح الأسرى [4]، وورد لدى البعض أن الشجاعي قام بقتل الأسرى ببيروت [5]، والأرجح أنهم نقلوا إلى دمشق ثم إلى مصر ليس فقط لإجماع أكثر الروايات على ذلك، بل لأنه بعد إستعادة عكا، وهي الأهم، قبل بيروت بشهرين، لم يكن لقتل الأسرى أي قيمة، وقد أنتهى الصراع لصالح المسلمين.

1.1.2 تبعيتها الإدارية :

بعد أن اكتملت سيطرة المماليك على بلاد الشام، باستعادة عكا والبلاد التابعة لها، التي كانت تشكّل بقايا مملكة بيت المقدس اللاتينية سنة 690 هـ /1291 م، ألحقت بيروت وصيدا بمملكة دمشق وشكلتا ولايتين من خمس ولايات ضمّتها الصفقة الثالثة (الشمالية) من صفقات مملكة دمشق الأربع[6]، بينما أُلحق بقية الساحل

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص24.

(2) ابن الوردي، زين الدين عمر، **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، 1996 م، ص229؛ (وسيشار إليه تالياً: ابن الوردي، تاريخه)؛ الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، ص192؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص11

(3) المنصوري، بيبرس الدودار، **مختار الأخبار**، تحقيق: عبد الحميد حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م، ص92، (وسيشار إليه تاليا: المنصوري، مختار الأخبار) .

(4) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج1، ص11.

(5) خوري، **بيروت في المصادر العربية**، ص97-183.

(6) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: محمد خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الأمارات العربية المتحدة، 2001، ج3، ص321؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص114؛ الياس، **المناخ**، ص48، العلبي، أكرم، **دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين**، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1982، ص39، (وسيشار إليه تالياً: العلبي، دمشق)؛ شبارو، ==

بنيابة صفد، وهذا الأمر يضعنا أمام تساؤل معين وهو، لماذا ألحقت كل من بيروت وصيدا مملكة دمشق ولم تلحقا بمملكة صفد؟

لعل الهدف من هذا التقسيم يعود إلى عدم وجود منفذ بحري قريب لمملكة دمشق على البحر الأبيض المتوسط، فالصفقة الأولى (الغربية) من مملكة دمشق (القدس وغزة) -وإن كانت على البحر الأبيض المتوسط- إلاّ أنّها بعيدة عن مدينة دمشق مركز النيابة، كما شكل الصليبيون حاجزاً بينها وبين البحر الأبيض المتوسط، في حين شكّلت كل من صفد وطرابلس نيابة مستقلة، وعندما استعاد المماليك البلاد الساحلية، ضُمت بيروت وصيدا إلى مملكة دمشق لتكونا مينائين لمملكة دمشق أكبر الوحدات الإدارية في بلاد الشام لقربهما الجغرافي من مدينة دمشق، مركز النيابة.

أمّا والي بيروت فكان تعيينه يتم من قبل نائب دمشق ورتبته أمير طبلخاناه [(1)]، وكان تصنيفه يأتي بالمرتبة الثالثة عشرة من الطبقة الأولى في بيان رتب المكتوب عنهم والمكتوب إليهم [(2)].

== **تاريخ بيروت**، ص93. Tarawneh, Taha, **The Province Of Damascus During The Second Mamluk Period (784- 922 /1382- 1516)**, Mutah University, 1994, p23, (وسيشار إليه تالياً: Tarawneh, The Province Of Damascus).

(1) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص208؛ أمير طبلخاناه: كلمة طبلخاناه مركبة من كلمتي طبل وخاناه، أي قرع الطبل، ويدق كل ليلة بعد صلاة المغرب، وأمير الطبلخاناه هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن يضرب الطبل على بابه، ويكون أمير أربعين ويتدرج في الزيادة حتى الثمانين، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص7؛ دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق، 1990م، ط1، ص106.

(2) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج8، ص217 -222؛ يقصد بالمكتوب عنهم والمكتوب إليهم: المراسلات المتبادلة التي كانت تتم بين أركان الإدارة في الدولة المملوكية (السلطان – النواب – الأمراء ....).

2.1.2 الوظائف في ولاية بيروت :

تفيد المعلومات المتوفرة في هذا السياق بوجود عدد من الوظائف في ولاية بيروت حسب التقسيم السائد حينئذ؛ وظائف عسكرية (أرباب السيوف)؛ ووظائف ديوانية (أرباب الأقلام)؛ ووظائف دينية. وكما هو الأمر في سائر أنحاء السلطنة تولى المماليك الوظائف العسكرية، خاصة الولاية بإستثناء بعض الحالات التي عهد فيها إلى بعض الزعماء المحليين. أما الوظائف الديوانية والدينية فكان يتولاها أشخاص من العرب؛ لأنه على شاغليها أن يتقنوا اللغة العربية، وأحكام الشريعة الأسلامية.

1- الوظائف العسكرية (أرباب السيوف) :

وجد في ولاية بيروت من الوظائف العسكرية الوظائف الآتية.

أ. **الولاية:** وموضوعها التحدث في أمر الشرطة كما في سائر الولايات، وعادتها إمرة عشرة [1]، ثم أصبحت إمرة طبلخاناه (إمرة أربعين)، ويتم تعيين ولاة بيروت من قبل نائب دمشق[2]، ويأتي في المرتبة الثالثة عشرة من الطبقة الأولى في بيان رتب المكتوب عنهم والمكتوب إليهم [3]،ومن هؤلاء الولاة .

1. الدمياطي: وقد تولّى بيروت وصيدا بعد فتحهما على يد الأشرف خليل في سنة 690 هـ/ 1291م، ويبدو من اسمه أنّه ينتسب إلى مدينة دمياط[4].
2. عزالدين البيسري، كان والياً على بيروت سنة 734 هـ/1334م [5].
3. محمد بن يحيى بن أحمد بن سالم، الأمير بدر الدين بن الخشاب ابن

---

(1) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص194.

(2) **المصدر نفسه**، ج4، ص208.

(3) **المصدر نفسه**، ج8، ص217-222.

(4) سالم، **صيدا**، ص160.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص36.

العدل زين الدين القرشي الدمشقي، ......، تولّى بيروت بواسطة سيف الدين قرمشي، ......، توفي في شوال سنة 741 هـ/1340م، وكان يحب المباشرات مهما كانت درجتها، وكان دقيقاً في ضبطه للأمور المالية[1].

4. الأمير عز الدين بن أزدم بن عبدالله الخوارزمي الناصري: كان والياً على بيروت سنة 743 هـ/1342م [2].

5. محمد بن علي بن حسن الأمير ناصر الدين ابن الأمير علاء الدين بن المرواني، كان هذا الأمير أحد أُمراء العشرات. وكان والده والياً على القاهرة، وبعد وفاة السلطان الناصر محمد رحل إلى الشام وتوجه إلى حلب، ولما تولى يلبغا اليحاوي نيابة دمشق، ولى محمد بن علي ولاية دمشق (البلد)، وأقام بها مدة ثم انفصل وبقي بطالاً مدة، فولاّه بر دمشق، وأقام به مدة ثم انفصل وبقي بطالاً مدة ثم أنّه تولّى بيروت وأقام بها مدة[3].

6. غرس الدين، متولي بيروت سنة 770 هـ/1368م [4].

7. دولت يار السنجاري: كان والياً على بيروت سنة 791 هـ/1389م، ولمّا خرج الأمير منطاش على السلطان برقوق، توجّه دولت يار السنجاري ومعه أُمراء الغرب إلى برقوق وقاتلوا معه [5].

---

(1) الصفدي، **أعيان العصر**، ج3، ص221-222.

(2) الوالي، **بيروت**، ص178.

(3) الصفدي، **أعيان العصر**، ج3، ص95.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص97؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص34 .

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص212-213. منطاش: تمرمبغا بن عبدالله الأفضلي، الأمير سيف الدين أصله من مماليك الأشرف شعبان، وبعد مقتل أستاذه الأشرف نفي إلى البلاد الشامية، ولما تسلطن الظاهر برقوق طلبه في خدمته، وفي سنة 787هـ/ 1385م أعتقه الظاهر برقوق وولاه نيابة ملطيه، وفي سنة 788هـ/ 1386م خرج عن طاعة الظاهر برقوق ودخل معه في صراع أنتهى بأعتقال برقوق وحبسه بالكرك، ومن ثم==

8. آرغون: تولّى بيروت من قبل الأمير منطاش وذلك بعد خروج دولت يار السنجاري منها ومساعدته للسلطان برقوق [1].

9. مقبل الشمسي متولي بيروت: [2]، كان لهذا الوالي تعديات على ما يزيد من حاصل ميناء بيروت، ويلاحظ أنّه وصل للولاية عن طريق البذل (الرشوة)، وسعى من خلال موارد الميناء إلى تعويض ذلك كما أحال ما عليه من البذل والديون على الصادر من البهار، وجعله يؤخذ بدار العشر بدمشق، وجعل المتكلم عليه صدقة التريكي الترجمان [3]. ويبدو أن مقبل الشمسي كان والياً على بيروت سنة 792 هـ/1390م، وذلك عند تولي السلطان الظاهر برقوق للسلطنة في فترته الثانية 792-801هـ/ 1390-1399م. [4].

10. غرس الدين خليل بن ناصر الدين محمد بن بولاد [5]، الصدر، تولى في نيابة دمشق ولاية البر وولاية البلد، وكان أمير عشرة، ومن المعروفين بظلمهم وأخذهم أموال الناس[6]، تولى بيروت بإقطاع طبلخاناه سنة 800

== تخلص من حلفائه وأصبح منطاش أتابك العساكر ومدبر الممالك، ثم خرج الظاهر برقوق من الكرك وتمكن من هزيمة منطاش والعودة إلى السلطنة وبقي النزاع مع منطاش حتى قبض عليه في حلب وتوفي تحت العقاب سنة 795هـ/ 1393م. أنظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج4، ص94- 99.

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص214.

(2) **المصدر نفسه**، ص36؛ ابن حجي، شهاب الدين أحمد، **تاريخ ابن حجي**، دار ابن حزم، بيروت، 2003م، ج1، ص127-142،(وسيشار إليه تالياً: ابن حجي، تاريخه).

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص36.

(4) **المصدر نفسه**، ص180 .

(5) ابن حجي، **تاريخه**، ج1، ص547

(6) ابن قاضي شهبة، تقي الدين ابو بكر أحمد ، **تاريخ أبن قاضي شهبة**، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، 1977م، ج2، ص279،(وسيشار إليه تالياً: ابن قاضي شهبة، **تاريخه**).

هـ/1398م [1]، وقد كان يتكلم بالكفريات كثيراً واتهم بالزندقة والاستهتار بالدين والتنقيص من النبي صلى الله عليه وسلم [2]، مات مقتولاً سنة 804 هـ/1401م وقد جاوز عمره خمسين سنة [3].

11. ناصر الدين محمد بو سويدان البيدمري متولي بيروت سنة 803 هـ/1401م [4]، وكان قد تولاّها بوساطة ابيه الحاجب ناصر الدين بن سويدان [5].

12. يوسف التركماني الكسرواني متولي بيروت سنة 806 هـ/1403م [6].

13. ناصر الدين بن شبل، ولاّه نوروز ولاية بيروت [7].

14. الأمير التنوخي عز الدين صدقة، كان والياً على بيروت سنة 828 هـ/1425م[8]، وتوفي سنة 848 هـ/1444م[9]، كان جليلاً متقدماً على جميع الأمراء، ذا سطوة وجاه، حزوماً حسن السياسة، مسموع الكلمة عند

---

(1) ابن حجي، **تاريخه**، ج1، ص308؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج4، ص279.

(2) ابن حجي، **تاريخه**، ج1، ص308؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص663، ج4، ص279.

(3) ابن حجي، **تاريخه**، ج1، ص547؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج4، ص279.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص219.

(5) ابن حجي، **تاريخه**، ج1، ص459؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، مج4، ص149.

(6) الوالي، **بيروت**، ص128.

(7) ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي، **اللمعات البرقية**، مكتبة القدسي والبدير، دمشق، 1929م، ص63. نوروز الحافظي الظاهري برقوق، أصبح خاصكياً ثم أمير آخور، سجن سنة 810هـ/ 1407م في الاسكندرية ومن ثم أُفرج عنه وأصبح أمير نوبة كبير، بقي يتنقل في الفتن حتى قتل سنة 817هـ/ 1414م. أنظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج10، ص204- 205،(وسيشار إليه تالياً: السخاوي، الضوء اللامع).

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص248.

(9) ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص797.

الملوك والنواب، وكانت ولايته من حدود طرابلس إلى حدود صفد، وبيده درك بيروت [1]، لم يعرف عن هذا الأمير أنه قتل أحداً، أو سعى في هلاك أحد، مع اتساع حكمه، وتقليده النيابة الواسعة، وشهدت أيامه أحداثاً كثيرة، وزيادة في الضرائب، وعسفاً للرعية، ومع ذلك كان عادلاً في حكمه ويظهر الحق[2].

15. **جغنوس** (جعنوس) الظاهري: ولي نيابة بيروت ثم صرف عنها، وتوفي سنة 857 هـ/1453م [3]، وقد تولى بيروت عن طريق البذل (الرشوة)[4].

16. **الأمير** سيف الدين جانبك بن عبدالله التاجي المؤيدي: نائب بيروت [5]، كان من صغار مماليك المؤيد شيخ، وبعد وفاة المؤيد أصبح جانبك خاصكياً إلى أن أصبح نائباً على بيروت في أوائل سلطنة الظاهر جقمق[6]، وتولّى نيابة غزة ثم صفد ثم حماه، ثم حلب [1]، وذلك عن

---

(1) ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص797؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص41.

(2) ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص799.

(3) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج2، ص2؛ ابن شاهين، عبد الباسط بن خليل، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت،2002م،ط1، ج5، ص405،(وسيشار إليه تالياً: ابن شاهين، نيل الأمل).

(4) ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف، **حوادث الدهور في مدى الايام والشهور**، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، القاهرة، 1990م، ج1، ص32.

(5) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج15، ص274؛ ابن تغري، **المنهل الصافي**، ج4، ص248–249؛ ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج6، ص185.

(6) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج16، ص297. المؤيد شيخ: السلطان الملك المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ بن عبدالله المحمودي الظاهري، أستولى على الحكم سنة 815هـ/ 1412م بعد القبض على الملك الناصر فرج وقتله، وأستمر حكم المؤيد شيخ حتى وفاته سنة 824هـ/ 1421م. أنظر: ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، تحقيق نبيل محمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، ج2، ص136. جقمق: السلطان الملك الظاهر سيف الدين==

طريق البذل (الرشوة) [2]، وكانت وفاته سنة 868 هـ/1464م [3].

17. إياس نائب بيروت في سنة 885 هـ/1480م [4].

18. الأمير عساف بن الحنش: كان نائباً على بيروت وصيدا في زمن السلطان محمد بن قايتباي، توفي مقتولاً سنة 901 هـ/1496م[5]، لم يكن محمود السيرة، وعلاقته مع نائب دمشق لم تكن جيدة [6]، وكان من المفسدين مرتكباً للفواحش[7].

19. ناصر الدين محمد بن الحنش: في سنة 905 هـ/1499م عيّن حاكماً على بيروت أيام السلطان قانصوه الغوري[8].

== أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري الجركسي، تولى الحكم بعد خلع الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسباي، بأتفاق الأمراء وأعيان المملكة على سلطنته وأستمر حكمه من سنة 842هـ / 1438م حتى سنة 856هـ / 1452م. أنظر: أبن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج15، ص32-33.

(1) **المصدر نفسه**، ج16، ص297؛ ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج6، ص185.

(2) ابن تغري بردي، **حوادث الدهور**، ج1، ص32، ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج6، ص185.

(3) **المصدر نفسه**، ج6، ص185.

(4) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص6-7.

(5) البصروي، علي بن يوسف بن أحمد، **تاريخ البصروي: صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة 871هـ ولغاية 904هـ**، تحقيق أكرم العلبي، دار المأمون للتراث، دمشق، 1988م، ص183، (وسيشار إليه تالياً: البصروي، تاريخه)؛ ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص167- 168؛ سالم، **صيدا**، ص161-162.

(6) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص167-168.

(7) البصروي، **تاريخه**، ص183.

(8) الوالي، **بيروت**، ص176. قانصوه الغوري: (850- 922هـ/ 1446- 1516م) قانصوه بن عبدالله الظاهري الأشرفي أبو النصر الملقب بالملك الأشرف، جركسي الأصل، ولي حجابة الحجاب بحلب، بويع بالسلطنة سنة 905هـ/ 1500م، قاتل السلطان سليم العثماني في معركة مرج دابق وهزم فمات قهراً. أنظر: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق : عبد القادر==

20. الأمير التنوخي جمال الدين حجي: متولي بيروت، توفي أوائل العهد العثماني، كان له هيبة بالغة مع تواضع، أطاعه جنوده ورعاياه وخافه أصحاب المفاسد، ووطد الأمن في المناطق الساحلية [1].

21. الأمير جان بردي نائب بيروت، وكان مع الذين التقوا السلطان سليم العثماني في معركة مرج دابق[2].

ب. **شد العشر**: وموضوعها التحدث في واصل الفرنج، وكانت إمرة عشرة، وأحياناً إمرة جندي، ويكتب لمتوليها توقيع من النائب، وتؤخذ ضريبة العشر على البضائع التي يدخلها التجار الفرنج[3]، ووجد في ميناء بيروت هيئة كاملة تشرف عليه ومن ضمنها الشاد[4].

ج. **أمير آخوريه البريد**: وموضوعها التحدث على خيول البريد بدمشق ونواحيها ويتولاها أمير عشرة[5]، وتخضع له بيروت التي يربطها بدمشق أربع محطات لخيل البريد (خان الحصين، زبدل، خان ميسلون، دمشق) وخان الحصين يقع في ولاية بيروت [6].

د. **تقدمة البريد**: وموضوعها التحدث على جماعة البريد (موظفو البريد)

== ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1406 هـ/ 1986م ، ج8، ص113-115،(وسيشار الهي تالياً : ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب)؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الأعلام**، دار العلم للملايين، 2002م، ط15، ج5، ص187،(وسيشار إليه تالياً: الزركلي، الأعلام).

(1) ابو عزالدين؛ **الدروز**، ص222؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص158.

(2) ابن زنبل، أحمد بن علي بن أحمد، **تاريخ غزوة السلطان سليم مع قانصوه الغوري**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص23.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص193.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(5) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص194.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

بنيابة دمشق، ويتولاها أمير عشرة أو أمير خمسة من حملة البريدية[1]، وقد وجد في ولاية بيروت مرفق خاص بالبريد، تمثّل باستخدام الحمام الزاجل للتبليغ عن الحوادث الطارئة في النهار، وكذلك النار للتبليغ عن الحوادث الطارئة ليلاً، أمّا الأخبار فكان يعتمد في نقلها على خيل البريد[2].

هـ. شد الأوقاف : وموضوعها التحدث على أوقاف المسلمين بنيابة دمشق، وعادتها أمرة عشرة، وربما كانت طبلخاناه [3]، وتتبع له الأوقاف في ولاية بيروت.

و. شد الخاص : وعادته إمرة طبلخاناه أو أمرة عشرة [4]، ويبدو أنه يرتبط بوظيفة ناظر الخاص أحدى الوظائف الديوانية الموجودة في ولاية بيروت .

ز. استادار المباشرة : ذكر القلقنشدي أنّها من ضمن سائر أرباب الوظائف العسكرية الموجودة في مصر، ولكنها غير موجودة في الشام [5]، ويشرف الاستادار على الشؤون المالية لقصور السلطان أو الأمير والبيوتات الملحقة بها [6]، وقد وجدت وظيفة الاستادار عند أمراء الغرب في ولاية بيروت، فورد ذكر الحاج أحمد بن عيسى استادار الأمير سيف الدين يحيى بن زين الدين صالح [7]، كما كان هناك استادار صاحب للأمير عز الدين صدقه التنوخي- أحد أمراء الغرب-، والذي شغل منصب والي بيروت [8].

ومن ناحية أخرى ضمن النطاق العسكري يجب الحديث عن القوات المسؤولة

---

(1) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص194.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص193.

(4) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص193.

(5) **المصدر نفسه**، ج4، ص195.

(6) طرخان، ابراهيم، **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ،1968م، ص311. (وسيشار إليه تالياً : طرخان، النظم الإقطاعية).

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص193.

(8) **المصدر نفسه**، ص248؛ ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص800.

عن حماية بيروت، فقد وجدت عدة عوامل حتّمت على المماليك تأمين مدينة بيروت بالقوات اللازمة لحمايتها ومن هذه العوامل:

1. كانت مدينة بيروت من أواخر المدن التي استعادها المماليك من بقايا المملكة الصليبية في بلاد الشام، فكان هذا الأمر يؤرّق المماليك طالما كان هناك حلم عند الصليبيين بالعودة إلى المنطقة، وموقع المدينة على شاطئ البحر كان يجعلها عرضة لهجمات الصليبيين الذين انتقلت بقاياهم أوائل العهد المملوكي إلى جزيرتي رودس وقبرص وهذا ما سنلحظه لاحقاً عند دراسة الهجمات الصليبية التي تعرضت لها مدينة بيروت.

2. الموقع الاستراتيجي لمدينة بيروت وأهميتها التجارية مما يتطلّب الحفاظ على أمن المدينة واستقرارها وحماية التجار والسفن التجارية، بغرض تنمية التجارة فيها وازدهارها.

ويمكن تقسيم القوات المسؤولة عن حماية ولاية بيروت إلى ثلاثة أقسام :

1. **قوات مملوكية** : تعتمد الفاعلية العسكرية على الجنود المماليك المدربين تدريباً عالياً على مختلف الأعمال العسكرية، وكانوا يوزعون على القلاع الكبرى، ومنها قلعة بيروت [(1)]. واتخذ المماليك الايزاك (الطلائع) من جنود قلعة بعلبك لحراسة السواحل، وكانوا يقيمون في بيروت إبدالاً ويبقى كل بدل في بيروت شهراً [(2)]. واهتموا أيضاً ببناء الأبراج على طول الساحل اللبناني والجبال المطلّة عليه، وشحنوها بالجنود المماليك [(3)]. ووجد في بيروت تشكيلات عسكرية مملوكية تتقاضى رواتبها (الجامكيات) من حاصلات الميناء، وتتكون من أربعين قرا غلام

---

(1) مكي، **لبنان**، ص241-242.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص37؛ البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج2، ص328؛ سبيتي، مصطفى محمود، **الحياة الفكرية للأقليات المذهبية في لبنان في العهد المملوكي: الشيعة، الدروز، المورنة**، دار المواسم ، بيروت، 2007م، ص100،(وسيشار إليه تالياً: سبيتي، الحياة الفكرية).

(3) مكي، لبنان، ص242.

بخيول، وعشرين مشاة وطبلخانات كؤوسات وانفرة (مفردين) وزمــر (جماعــات) ومناظرية للبحر [1]،

2. **القوات المحلية** : وهي من سكان ولاية بيروت والمناطق المجاورة.

أ. **درك أمراء الغرب** : استقرّ دركهم على بيروت سنة 693هـ/ 1294م، بعد فتح بيروت بثلاث سنوات، ويتكون من تسعين فارساً مقسمين إلى ثلاثة أبدال كــل شهر بدل مكون من ثلاثين فارساً يقيم في بيروت وعند نهاية الشهر يحضر البــدل الآخر ليستلم الدرك [2]. وأورد صالح بن يحيى ذكراً مفصلاً لأســماء الأشــخاص الذين تتكون منهم هذه الأبدال، وكان البدل الأول مخصصاً لأمراء عبية [3]، ومقره أول الأمر في كنيسة افرنسيسك شرقي بيروت، ثم أنتقل إلى حارة أمــراء الغــرب المجاورة للبحر [4]. أمّا البدل الثاني فكان مخصصاً لأمراء عرامون [5]، واستمرت إقامتهم في كنيسة أفرنسيسك [6]. وكان البدل الثالث مخصــصاً للعيانبــة (أمــراء عينتاب) ومضافيهم [7]، وكانت إقامتهم بالدار المعروفة بدار صاحب بيروت[8].

كانت عدة أمراء الغرب مرتبطة بإقطاعاتهم وبلغت واحداً وثلاثين جندياً لكــل بدل، ولكن بعد إجراء الروك الناصري لبلاد الشام سنة 713 هـــ/1313م رســم السلطان المملوكي أن تستمر اقتطاعاتهم بأيديهم، وأن الاقتطاعات التي تم إضافتها، يتم زيادة عد الجند بمقدارها. وكانت الزيادة بالإقطاع بمقــدار الــضعف، فــوردت

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.
(2) **المصدر نفسه**، ص37.
(3) **المصدر نفسه**، ص91-92.
(4) **المصدر نفسه**، ص106-107.
(5) **المصدر نفسه**، ص93.
(6) **المصدر نفسه**، ص107.
(7) **المصدر نفسه**، ص93.
(8) **المصدر نفسه**، ص107.

المناشير بمضاعفة عدد الجنود، فأصبح عددهم أثنين وستين جندياً لكل بدل [1].

وقد ورد أن هؤلاء الجنود الذين يقدمهم رجال الاقطاع مثّلوا جنوداً للطوارئ[2]، ولم يكن يترتب عليه أداء أي واجب عسكري على زمن الأيوبيين، وأوائل عهد المماليك، بل اقتصرت مهمتهم على تتبع نشاط الصليبيين الحربي، لكنهم فيما بعد أصبحوا من فرسان الحلقة، وحصلوا على رتب الأمراء المماليك وألقابهم ويتوجب عليهم حراسة الطرق والشواطئ في ساحل ولاية بيروت[3]، والالتزام بحفظ الأمن، لأن الخدمة العسكرية هي الأساس الأول لحيازة الإقطاع [4].

ب. **درك التركمان** : ويعتبر من قوات الطوارئ أيضاً، وهم أيضاً من جنود الإقطاع [5]، لكن أغلب أقطاعاتهم كانت بمنطقة كسروان خارج ولاية بيروت. ففي سنة 706 هـ/1306م استقدم المماليك هؤلاء التركمان واقطعوهم كسروان بثلاثمائة فارس، وأوكل إليهم حراسة شاطئ البحر والطرق من حدود انطلياس في ظاهر بيروت، إلى حد عمل طرابلس واشتهروا بتركمان كسروان [6]. ومن مهامهم مراقبة حركة المرور على جسر نهر الكلب، فإذا كان هناك من ينكرونه ولم يكن

---

(1) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص32؛ الروك : كلمة قبطية أصلها (روش) ومعناه الحبل، ثم استعملت للدلالة على عملية قياس الأرض بالحبل، وهي بدورها مشتقة من اللفظ (روخ) ومعناها تقسيم الأرض، طرخان، **النظم الإقطاعية**، ص96.

(2) مكي، **لبنان**، ص241.

(3) بولياك، **الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان**، ترجمة عاطف كرم، منشورات دار المكشوف، بيروت، 1948 م، ص81-82. (وسيشار إليه تالياً : بولياك، الإقطاعية).

(4) طرخان، **النظم الاقطاعية**، ص189؛ ريان، محمد رجائي، "**الإقطاع العسكري في العهدين المملوكي والعثماني**"، مجلة الدارة، ع2، 1988 م، ص24. (وسيشار إليه تالياً : ريان، الإقطاع العسكري).

(5) مكي، لبنان، ص241.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص29؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص15-16؛ **البستاني، لبنان مباحث عليمة واجتماعية**، ج1، ص328.

معه ورقة تسمح له بالعبور من والي بيروت أو من أمراء الغرب التوخيين فـــإنهم يمنعونه من عبور نهر الكلب[1]. وقسم بدلهم إلى ثلاثة أبدال كل بدل يقيم في الدرك شهراً [2]، وأصبح بعضهم ولاة لبيروت كيوسف التركماني الكسرواني[3]. كما أنهـــم كانوا ينافسون أُمراء الغرب ويسعون للحصول على إقطاعاتهم [4]، ومن إقطاعاتهم داخل ولاية بيروت بلدة برج حمود الساحلية [5].

3. المرابطون والمتطوعة :

كان المتطوعة يأتون الى بيروت بهدف الجهاد، وذلك فـــي حـــال تعرضـــت المدينة للخطر فأنهم يهبون للمساعدة من مختلف مناطق الشام [6]. كما أن بعـــضهم كان يأتي من مصر الى بيروت [7]. وخصصت أوقاف وأبراج برسم الجهـــاد فـــي سبيل الله تعالى لبعض الخيالة والرجال شريطة أن يستقروا في أقرب الموانئ إلـــى دمشق، وعندما بُنى البرج الكبير أقام به المجاهدون المذكورون [8].

وفيما يتعلق بالمرابطين فقد اشتهرت بيروت بأنها رباط أهـــل الـــشام وربـــاط

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص37؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص16.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص37؛ الشدياق، **أخبـــار الأعيـــان**، ج2، ص15-16؛ البستاني، **لبنان مباحث علمية وأجتماعية**، ج1، ص328.

(3) الوالي، **بيروت**، ص128.

(4) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص37.

(5) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج2، ص193.

(6) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، **البداية والنهاية**، تحقيق : أحمد ملحـــم وآخـــرين، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1988م، مج14، ص366، (وسيشار الهي تاليـــاً : ابـــن كثير، البداية والنهاية)؛ ابن قاضي شبهة، **تاريخه**، ج3، ص108.

(7) المقريزي، **السلوك**، ج3، ص450.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص37؛ البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج1، ص328.

دمشق [1]، وأشتهر بها عدد من المرابطين منهم:

أ. الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن الياس الحنفي القونوي، كان يتـــردد على بيروت بنية الرباط [2]، وشارك في القتال في إحدى الوقائع التي جـــرت عنـــد ثغر بيروت ضد الفرنج سنة 785 هـــ/1383م [3]، وبنـــى برجـــاً علـــى ســـاحل بيروت[4]، كما بنى مسجداً عرف بمسجد شمس الدين [5].

ب. الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن موسى الدمـــشقي المعـــروف بـــابن قديدار [6]، ولد سنة 752 هـــ/1351م وتوفي سنة 836 هـــ/1433م [7]، كان يتردد إلى بيروت للمرابطة فيها وجعل بها زاوية جمع فيها السلاح[8]. أجاد قراءة القـــرآن وتلاوته بالقراءات السبع، وصحب الشيوخ وأقبل على العبادة، وبلغ من شـــهرته أن تيمورلنك لما وصل الشام أرسل إليه رجالاً لحمايته. وكان الأمير شيخ المحمـــودي يحترم قدره، وقد أرسله في سنة 808 هـــ/1405م رسولاً من طرفه إلـــى الملـــك الناصر فرج بن برقوق، وحين دخل القاهرة أجتمع به الحافظ المؤرخ ابـــن حجـــر

---

(1) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص175؛ الحميري، **الروض المعطـــار**، ص241. الربـــاط: زاوية أسلامية محصنة، وكانت الشواطئ تعج بهذه الرباطات، وإقامـــة الربـــاط مـــن== == أعمال البر والتقوى، ورجال الرباط متطوعون من أهل التقى والورع نذروا أنفـــسهم للجهاد، وقد يلتحق بعضهم بالرباط بوصفه تكية يقضون فيها بقية أيامهم. أنظر: مارسيه، جورج، **الرباط**، دائرة المعارف الأسلامية، إعداد وتحرير أحمـــد الـــشنتاوي وإبـــراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة، ج10، ص 19- 24.

(2) ابن قاضي شهبه، **تاريخه**، ج3، ص208-209؛ ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج2، ص245؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج6، ص305.

(3) ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص108؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص106.

(4) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج6، ص305.

(5) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص106-107.

(6) ابن حجر، **أنباء الغمر**، ج8، ص294؛ قرقوتي، **بيروت ودورها** الجهادي، ص104.

(7) ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج4، ص330.

(8) ابن حجر، **أنباء الغمر**، ج8، ص294؛ السخاوي، **الضوء اللامـــع**، ج3، ص436؛ ابـــن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج7، ص217.

وسمع منه [1]. كما كانت كلمته مسموعة لدى الفرنج، ويكتب إليهم من أجل المسلمين فيقبلون ما يكتب[2]، وعُرف عنه حبه للعلم والتواضع وحسن السيرة[3].

ج. تقي الدين ابن قاضي عجلون، جدد برجاً في بيروت، وفي سنة 907 هـ/1501م ذهب لمشاهدة البرج بصحبة خاصكي وكتب بعد ذلك إلى السلطان في مصر حتى يخصص أوقافاً لتأمين الأموال والسلاح للمرابطين فيه [4]، وكان ابن قاضي عجلون يتردد بين دمشق وبيروت من حين إلى آخر [5].

د. علي بن ميمون، أبو الحسن الهاشمي القرشي المغربي : أصله من جبل غمارا من معاملة فاس بالمغرب، اشتغل بالعلم والتدريس، ثم ولي القضاء، ثم ترك ذلك كله ولازم الغزو والمرابطة على السواحل، رحل إلى ساحل الشام ونزل ببيروت، تنقل بين البلدان، واستقر في آخر أيامه ببلدة مجدل معوش وتوفي سنة 917 هـ/1511م [6].

هـ. محمد بن علي بن عبد الرحمن، أبو علي الشهير بابن عراق، كان من أولاد أُمراء الجراكسة، من طائفة الجند، وله ثروة عظيمة وحشمة وافرة، ولد سنة 878 هـ1473/م بدمشق، نزل بيروت سنة 895 هـ/1490م، وله فيه اقطاعات، ثم عاد إلى دمشق، وأقام في بيروت مرابطاً منذ سنة 911 هـ/1505م وله من

---

(1) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص104-105؛ في هذا الوقت كان السلطان لايزال الناصر فرج والأمير شيخ المحمودي كان خارجا عليه. ابن حجر: أحمد بن علي== == الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان ومولده ووفاته بالقاهرة. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص178.

(2) ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج8، ص294.

(3) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص105.

(4) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص245-246؛ تدمري، "**الرباط**"، مجلة الفكر الإسلامي، ع11، ص89.

(5) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص305؛ تدمري، **الرباط**، مجلة الفكر الإسلامي، ع11، ص89.

(6) تدمري، **الرباط**، مجلة الفكر الإسلامي ، ص86-87.

المؤلفات أربعة وعشرون كتاباً ألّفها أثناء إقامته في بيروت، ثم غادر إلــى دمــشق وعاد إلى بيروت سنة 923 هــ/1517م. أما الزاوية التي بناها في بيروت فكانــت بعد خضوعها للحكم العثماني سنة 923 هــ/1517م، وكانت قرية مجــدل معــوش من أملاكه [1].

بالإضافة إلى ما ذكر عن قوات بيروت فإن هناك قوات كانت تحــضر إلــى بيروت من مختلف النيابات الشامية في الحالات الطارئة، وذلــك عنــد تعرضــها لهجمات الفرنج، فكانت القوات التي تتكون من الأمراء وأجناد الحلقة تُرسـل مــن دمشق إلى بيروت[2]. كذلك شارك ملّى مقدم جب جنين من البقاع فــي رد غــارة للفرنج على بيروت[3].

وفي معرض الحديث عن القوات المملوكية في ولاية بيروت لا بد من الأشارة إلى القوات البحرية (الأسطول البحري) فيها، إذ لم يهتم المماليك بالبحر ولا الــسفن اهتمامهم بالتنظيمات العسكرية البرية[4]. فلم يكن في بيــروت وحــدات للأســطول المملوكي [5]. وبعد أن زاد خطر الفرنج من قبرص ورودس فــي القــرن التاســع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، شعر المماليك بــضرورة بنــاء الأســاطيل [6]، وأُنشئ في بيروت دارٌ لصناعة السفن لكن لم يكتب لها أن تــستمر [7]. وشــاركت قوات بيروت وأُمراء الغرب في الحملات التي شنها المماليك ضد جزيرتي قبرص ورودس [8]، كما ساهمت بيروت ببعض السفن في هذه الحملات[9].

---

(1) تدمري، **الرباط**، مجلة الفكر الإسلامي، ع11، ص85.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص30-31؛ ابن قاضي شهبه، **تاريخه**، ج3، ص108.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص194.

(4) مكي، **لبنان**، ص243.

(5) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص106.

(6) مكي، **لبنان**، ص234.

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص30؛ الوالي، **بيروت**، ص106، 155.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص242، 244، 249.

(9) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص242-243.

2- **الوظائف الديوانية (وظائف أرباب الأقلام):**

أ. **موقع الميناء:** يتبع لديوان الإنشاء في دمشق[1]. ويبدو أن كتّاب ديوان الإنشاء بدمشق كانوا معنيين بضبط متحصل الموقعين في ميناء بيروت. ففي سنة 758 هـ/1357م توجّه نجم الدين أحمد بن علي بن جمائل القاضي- أحد كتاب ديوان الإنشاء بدمشق- إلى ثغر بيروت لضبط متحصل الموقعين في الميناء[2]. وقد ورد اسم أحد الموقِّعين الذين خدموا في ميناء بيروت وهو عز الدين عبد العزيز العسقلاني موقِّع بيروت ومحتسبها[3]. كما ورد اسم نجم الدين كاتب الميناء في بيروت [4]. وعلى باب الميناء هيئة إدارية تشرف عليه ولها دواوين وعامل وناظر ومشارف وشاد يتم تعيينهم من قبل نائب دمشق[5].

ب. **نظر ديوان الجيش** : وموضوعه التحدث في الاقطاعات وإعداد قوائم بها[6]. ووجد ديوانيان للجيش، أحدهما في مصر ويختص بالاقطاعات في مصر، والثاني هو ديوان الجيش الشامي، ويختص بالاقطاعات الشامية

---

(1) الموظف المسؤول عن ديوان الإنشاء هو كاتب السر، ويختص ديوان الإنشاء بجميع المراسلات والمكاتبات التي كانت ترد إلى نائب السلطنة، وتصدر عنه، وموظفو هذا الديوان هم كتّاب الدست وكتّاب الدرج، وكتّاب الدست هم أحق كتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص. (القلقشندى، **صبح الأعشى**، ج4، ص30، 196).

(2) الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص90.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص215.

(4) **المصدر نفسه**، ص212؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص110.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(6) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص196- 197.

جميعها، ومن ضمنها ولاية بيروت[1]،وهناك شواهد تاريخية تذكر توجه ناظر الجيش إلى ثغر بيروت بعمل رسمي[2].

جـ. نظر الخاص : وموضوعه التحدث فيما يتعلق بالمستأجرات السلطانية وغيرها وما يجري مجراها [3]، ويبدو أنه مرتبط بشد الخاص من أرباب السيوف، وقد ورد ذكر لوجود ناظر في بيروت مسؤول عن قرى الخاص، غير أنه لم يكن محمود السيرة[4].

د. نظر مراكز البريد : ومتوليها يشرف على مراكز البريد في نيابة دمشق ومن ضمنها ولاية بيروت، ويرتبط ببعض الوظائف العسكرية المتعلقة بشؤون البريد وهي : إمرة آخوريه البريد، وتقدمه البريد[5]. وقد سعى المماليك إلى تنظيم البريد تنظيماً دقيقاً منذ أيام الظاهر بيبرس[6]، ووجد في ولاية بيروت ثلاثة أنظمة للبريد[7].

1- المناور : وتستخدم للتنبيه عن الحوادث المهمة ليلاً عن طريق إشعال النيران، وكانت بيروت مرتبطة مع مدينة دمشق بعدة مناور تبدأ من ظاهر بيروت، والثانية في رأس بيروت العتيقة، والثالثة في جبل بوارش (الكنيسة)، والرابعة في جبل يبوس، والخامسة في جبل الصالحية، وأخيراً في قلعة دمشق. ومن خلال هذه المناور كان التنبيه بالنار يصل إلى بيروت في نفس الليلة.

---

(1) بولياك، **الإقطاعية**، ص65 ؛ ريان، **الإقطاع العسكري**، مجلة الدرة، ع2، 1988، ص22.

(2) البصروي، **تاريخه**، ج1، ص249.

(3) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص197.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص116؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص110.

(5) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص198.

(6) الطراونه، طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982، ص247. (وسيشار إليه تالياً : الطراونه، صفد).

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

2- الحمام الزاجل : استفاد منه المماليك للتبليغ عن الحوادث والأخبار أثناء النهار، وللموظفين القائمين عليه رواتب مخصصة من حاصلات الميناء.

3- خيل البريد : تستخدم فيه الخيل لنقل الأخبار العادية، وله مخصصات مالية من حاصلات الميناء.

وتربط مدينة بيروت بمدينة دمشق أربع محطات للبريد هي : خان الحصين، وقرية زبدل، وخان ميسلون ودمشق[1].

هـ. الكاشف: ويشرف على الجسور والأراضي الزراعية وقنوات الري، ويعاونه عدد من العمال على إعمارها وصيانتها كالمشد والمستوفي [2]، وقد ورد ذكر لتتكز بغا الذي كان نائباً لبعلبك وكاشفاً على صيدا وبيروت[3].

3- الوظائف الدينية :

أ. **القضاء** : وجد في نيابة دمشق أربعة قضاة على المذاهب الأربعة، الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي[4]، والقاضي الشافعي أعلاهم رتبة وهو المتحدث في الأوقاف وأكثر الوظائف، ويختص بتولية النواب في النواحي والأعمال التابعة لنيابة دمشق[5]. وله فيها أحد عشر قاضياً، وكان القاضي الشافعي قد رتب لسبعة منهم الحضور عنده بعدد أيام الأسبوع، وتعيينهم بغير نوبة [6]. كما أن القاضي الشافعي كان يتفقد المناطق التابعة له ويزورها كصيدا وبيروت[7].

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(2) الطراونه، **صفد**، ص250.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص218.

(4) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص199؛ Nicola. Ziadeh, **Damascus Under The Mamluks**, University Of Oklahoma Press, 1964, p 79. (وسيشار إليه تالياً: Ziadeh, **Damascus**)

(5) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص199.

(6) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص304.

(7) البصروي، **تاريخه**، ج1، ص134.

وقد تنوّعت أعمال قضاة بيروت وفي حال أخل أحد ولاة بيروت أو صدرت عنه إساءة خاصة في الأمور الدينية فإن القاضي كان يرفع محضراً بذلك إلى دمشق[1]، وكانوا يحدثون الولاة والنواب ويقدمون لهم النصح والإرشاد [2]، وتخصص لهم مستحقات مالية من حاصلات الميناء[3]. ومنهم:

1. جمال الدين عبدالله ابن القاضي شمس الدين محمد بن أبي بكر الحسباني المولد الصلتي الأصل، المعروف بابن الخليلي، ولد سنة 735 هـ/1335م، وتولى قضاء حسبان، كما ولي قضاء بيروت، وقضاء نابلس، وقضاء الصلت أحياناً منفردة وأحياناً مضافة إلى حسبان[4].

2. أبو بكر بن سالم بن أحمد الكناني العامري، تقي الدين المعروف بقاضي الزبداني، ولد سنة 750 هـ/1349م، اشتغل وبرع في الحساب، وشارك في الفقه على مذهب الشافعي، وولي قضاء بيروت وبعلبك [5]، وتوفي سنة 810 هـ/1407م [6]، وورد عند ابن العماد أن وفاته كانت سنة 817 هـ [7].

3. شمس الدين محمد الحكري المصري، كان فقيهاً شافعياً عارفاً بالقراءات، ناب في الحكم ثم ولي قضاء القدس وصيدا وبيروت، وتوفي سنة 782

---

(1) ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص663.

(2) ابن طولون، **أعلام الورى**، ص96.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(4) ابن حجي، **تاريخه**، مج2، ص699.

(5) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **درر العقود الفريدة في تراجم الاعيات المفيدة**، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1995، ج1، ص198، (وسيشار إليه تالياً: المقريزي، درر)، ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج7، ص154؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج5، ص247؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج7، ص124.

(6) المقريزي، **درر**، ج1، ص198.

(7) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج7، ص124.

هـ/1380م[1].

4. القاضي شمس الدين محمد بن يعقوب بن مجلي النيني، كان يخطب بجامع ابن المرجاني بالمزة، سلك طريق الصلاح، وولي قضاء بيروت مدة وأثرى، ثم ولي قـضاء الكرك، وكان ممن نكبوا في أموالهم أيام فتنة بيروت [2].

5. ابن باشي : كان نائباً للقاضي الشافعي بدمشق، وأعطي أيضاً قـضاء صـيدا وبيروت[3].

6. القاضي إبراهيم بن أحمد المعروف بالزهري، تولى قضاء بيـروت، وسـعى لتولية قضاء بيروت لابنه [4].

7. ابن الزهري قاضي بيروت والمعروف بابن الأسلمي، وكان متوليـاً قـضاء بيروت سنة 913 هـ/1507م[5]، ويبدو أن والده هو القاضي إبراهيم بن أحمد الزهري، وأنه هو الذي سعى لتوليته قاضياً على بيروت.

يلاحظ أن بيروت لم تكن منفردة دائماً بقاضٍ مستقل، فأحياناً يكون القاضي مشتركاً بين صيدا وبيروت أو بعلبك وبيروت.

ب. الحسبة : وموضوعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويطلـق علـى متوليها اسم المحتسب، ويعين من قبل النائب، وقد كانت موجـودة فـي نيابـة دمـشق، والمحتسب بدمشق مسؤول عن نواب الحسبة بجميع أعمال نيابة دمشق، ومنهـا ولايـة بيروت[6].

ويجب أن يكون المحتسب حراً بالغاً عاقلاً عادلاً، وينظر في أحوال الناس ويتحرّى

---

(1) المقريزي، **السلوك**، ج2، ص343 ؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص45.

(2) ابن حجي، **تاريخه**، مج1، ص121؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص572.

(3) ابن حجي، **تاريخه**، مج2، ص690؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخـه**، ج4، ص460 ؛ ابـن حجر، **إنباء الغمر**، ج5، ص275.

(4) السخاوي، **الضوء اللامع**، ج2، ص6.

(5) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص322.

(6) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص200.

أمورهم ومصالحهم، وأن يحافظ على الآداب العامة، ويتحقق من مراعاة أحكام الشرع[1]. ومن مهامه تفقّد الأسواق ومحال البيع على اختلافها، والنظر في الأقوات والأطعمة التي تعرّض للبيع للكشف عمّا يحدث فيها من غش، وتفحّص الموازين والأوزان[2]. وقد ورد ذكر لأحد محتسبي بيروت وهو عز الدين عبد العزيز العسقلاني موقع بيروت ومحتسبها [3]، وكان المحتسب يقوم أحياناً بفرض ضرائب على الأسواق كالضريبة التي فُرضت على الخبّازين في مدينة بيروت سنة 806 هـ/1403م [4].

ووجد في بيروت بعض الوظائف الدينية الصغرى، كخطيب بيروت الذي يخصص له راتب من حاصل الميناء[5]، وهناك خطباء في القرى أمثال الشيخ أحمد بن عبد الوهاب خطيب قرية مجدل معوش[6].وكذلك المؤذنين، وورد ذكر لأحدهم ويدعى الشيخ علي بن محمد، أو الشيخ علي الحداد لأنه كان يعمل حداداً أيضاً وتوفي سنة 726 هـ/1326م[7]، ولا نعلم إن كان الناظر على التركة أو الوصي من ضمن الوظائف الدينية، إلاّ أنه قد مرّ وجود ناظر على تركة أحد أمراء الغرب وأبنائه الأيتام [8]، ولا نستبعد أن يوجد ممثل لشيخ الشيوخ في بيروت، لأنها تشرف على جميع الخوانق والمنشآت الصوفية[9].

---

(1) ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، نقل وتصحيح روبن ليوى، مطبعة دار الفنون، كيمبـرج، 1937م، ص7-9؛ Ziadeh, **Damascus**, p 89- 90؛ الطراونه، **صفد**، ص265-257.

(2) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق : محمد النجار وآخرون، دار الكتاب العربـي، ط1، القـاهرة، 1948 م، ص65-66؛ Ziadeh, **Damascus**, p 90؛ طرخان، **النظم الإقطاعية**، ص311؛ الطراونه، صفد، 256-257.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص215 ؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص110.

(4) لمعي، صالح، **مساجد بيروت**، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1978م، ص23، (وسيشار إليه تالياً : لمعي، مساجد بيروت).

(5) تدمري، **الرباط**، مجلة الفكر الإسلامي، ع11، ص86-87.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(7) الصفدي، **أعيان العصر**، ج2، ص160.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص224.

(9) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج4، ص200.

الفصل الثالث

دور الولاية ومكانتها في الأحداث العامة

1.3 ولاية بيروت والأحداث الخارجية :

1.1.3 بيروت وغارات الفرنج على السواحل الشامية:

تأثرت ولاية بيروت بالأحداث الخارجية التي خاضتها دولة المماليك مع القوى المجاورة، وكأحد ثغور الدولة المملوكية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط المواجه لجزيرتي رودس وقبرص مركز الوجود الصليبي بعد إخراجه من الساحل الشامي، تعرضت بيروت لعدة هجمات صليبية اشترك العامة والمتطوعون مع الجند النظاميين في التصدي لها.

فبعد مدة قليلة من استعادة المماليك لمدينة بيروت، حضرت إلى ميناء بيروت ستة مراكب للفرنج، وكان على متن أحدها روبان حاكم بيروت الصليبي السابق[1]، وجرت بينهم وبين المسلمين معركة ضارية لم يعهدوا مثلها [2].

وفي شعبان سنة 698 هـ/ أيار 1299م هاجم بيروت عدد كبير من المراكب الحربية الفرنجية قدر عددها بثلاثين(30) مركباً، وقُدرت حمولة كل منها بحوالي سبعمائة (700) مقاتل ، وحاول الفرنج النزول إلى البر، واجتمع الناس لقتالهم، وهبّت عاصفة شديدة حطّمت الأسطول، وغَنِم سكان بيروت المراكب التي لم تغرق،

---

(1) الوالي، **بيروت**، ص23.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص72؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص214-215؛ الوالي، **بيروت**، ص23.

وأسروا ثمانين إفرنجياً [1]، ويلاحظ هنا أن هذا الهجوم لم يكن مجرد غـــارة، بـــل حملة قارب عدد المقاتلين المشاركين فيها ما يزيد على عشرين ألفاً.

وبعد أربع سنوات على ذلك الهجوم الفاشل نزل الفرنج في جمـــادي الأولـــى سنة 702 هــ/ كانون الثاني 1303م على بلدة الدامور الواقعة على الساحل بين بيروت وصيدا عند مصب نهر الدامور، وصادف ذلك وجود أميرين من أُمراء الغرب (آل بحتر) مع رجالهما قدما إليها لتفقد مزارعهما، ولممارســـة هواية صيد الحجل فتم أسر أحدهما وقتل الآخر بالإضافة إلى بعض رجالهم، وبعد خمسة أيام أطلقوا الأسير مقابل فدية بلغت ثلاثة آلاف دينار صـــورية، وندم الفرنج على قتل الأمير الآخر بعد أن عرفوه[2]. ويـــستدل صـــالح بـــن يحيى من خلال معرفتهم له بعد قتله على أن أصلهم من الفرنج الذين كـــانوا يقطنون السواحل الشامية قبل أن يفتحها المماليك[3]. وفي جمادى الأولى سنة 706 هــ/1306م مرّ أسطول الفرنج قرب بيروت لكنه لم يهاجمهـــا وإنمـــا واصل مسيرة إلى صيدا وهاجمها [4].

وفي ذي الحجة سنة 734 هــ/1334م حضرت إلى ميناء بيروت عدة ســـفن جنويه لأخذ سفينة تجارية للكتلان من ميناء بيروت. ولما حـــاول المـــسلمون منعهم وردهم عن أخذ السفينة، وبعد قتال شديد لم يستطع المسلمون مـــنعهم. وأخذ الجنوية السفينة، وامتدت المعركة يومين دخل فيهـــا الجنويـــه المينـــاء وأخذوا الأعلام السلطانية من البرج وانتقل القتال إلى الأزقة، وقتل جماعـــة من المسلمين وجرح معظمهم. ويبدو أن هذه الواقعـــة جـــرت خـــلال بـــدل العرامونيين، إحدى فرق أمراء الغرب الثلاث المكلفة بحماية بيروت، بـــدليل

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيـــروت**، ص26؛ المقريـــزي، **الـــسلوك**، ج2، ص312؛ ابـــو عزالدين، **الدروز**، ص214.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص95، 157-158 ؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنـــة**، ص83، ابو عزالدين، **الدروز**، ص215.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص158.

(4) **المصدر نفسه**، ص29، ابو عزالدين، **الدروز**، ص215.

أن بعض أُمراء عرامون أصيب في هذه المعركة[1].

وفي جمادي الآخرة سنة 784 هـ/1382م قام الجنويه بغارة على الساحل الشامي، وذكرت أغلب المصادر أن هذه الغارة كانت سنة 785 هـ/1383م[2]، توجّه الجنويه أولاً إلى صيدا ونهبوها، ثم توجّهوا إلى بيروت ولم تتمكن العساكر الشامية حينما وصلها الخبر من مساعدة أهل صيدا، وإنما توجّهت إلى بيروت، وهناك كان وصولها متزامناً مع اقتراب الجنوية منها، فلم ينزلوا إلى البر وإنما توجهوا إلى حزيرة قبرص.

في هذه الأثناء عادت العساكر إلى دمشق تاركه قوة صغيرة ومعها عشران البقاع[3]، وما هي إلاّ أيام قليلة حتى عادت المراكب الجنوية وعددها اثني عشر مركباً كبيراً، وكان في ميناء بيروت مركبان للبنادقة استولى عليهما الجنوية وشحنوهما بالرجال وتقدموا بهما إلى المرفأ ورموا المسلمين المدافعين بالجروخ (السهام الكبيرة) والمدافع والحجارة، فتراجع المسلمون وتمكّن الجنوية من نصب السقايل (الألواح الخشبية) والنزول إلى البر. وكان أحد قادتهم يحمل سنجقاً (علماً) ويسعى لرفعه على خرائب القلعة القديمة إشارة إلى أنهم ملكوا البلد، ولكن المسلمين لم يمكنوهم من ذلك وكان من ضمن المدافعين عن المدينة الأمير سيف الدين يحيى والد المؤرخ صالح بن يحيى، الذي تمكّن من رمي حامل السنجق، فتراجعت عزيمة الفرنج الجنوية وعادوا إلى مراكبهم، لكن ازدحامهم على السقايل أدّى إلى انقلاب بعضها بهم وغرق منهم جماعة، وأمّا وصول الأمير بيدمر نائب الشام والعساكر

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص97.

(2) المقريزي، **السلوك**، ج5، ص155؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص108، 111؛ ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج2، ص127-128 ؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، **وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام**، تحقيق بشار عواد وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م، ج1، ص265.

(3) العشير: مصطلح أطلق على البدو الذين انتقلوا في نمط معيشتهم من التنقل والترحال وتربية الإبل والمواشي إلى الاستقرار وبناء القرى والعمل في الزراعة وغيرها، مع بقائهم متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم البدوية.

الشامية فكان عشية ذلك اليوم بعد فوات الأمر، ولم يروا إلاّ مراكب الجنوية وهي في البحر راجعه إلى بلادها[1].

ويلاحظ في هذه الواقعة الدور الذي قامت به جميع العناصر في الدفاع عن بيروت فهناك قوة من الجنود النظاميين[2]. عدا عن قوات الشام بقيادة الأمير بيدمر التي وصلت متأخرة [3]. وكان من ضمن الجنود المماليك طائفة من الأكراد [4]. وشارك أيضاً درك بيروت من أمراء الغرب في صد الجنوية[5]. بالإضافة إلى عدد من المتطوعة والمرابطين [6]. وعشران البقاع ومعهم مُلّى مقدم جب جنين [7].

وفي محرم سنة 806 هـ/1403م هاجم الجنويه مدينة بيروت، وهذه الحملة في البداية كانت متوجّهة الى طرابلس، وهناك اشتبكت مع القوات المملوكية بقيادة الأمير دمرداش نائب طرابلس[8] ثم توجّهت الى بيروت، ولم يكن في بيروت سوى أمراء الغرب وعدد قليل من رجالهم، وانشغل أهل المدينة بترحيل نسائهم وأولادهم وامتعتهم، وأمّا الوالي والجنود النظاميين فلم يكونوا في المدينة حينها .

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص31-195؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص108-111 ؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص216.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص31، ابو عزالدين، **الدروز**، ص216.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص31، ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص111؛ ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج2، ص128.

(4) المقريزي، **السلوك**، ج5، ص155.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص31-195.

(6) ابن قاضي شهبة، **تاريخ**، ج3، ص108.

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص31، ص195.

(8) الأمير دمرداش: سيف الدين دمرداش بن عبدالله المحمدي الأتابكي الظاهري، من مماليك الظاهر برقوق، تولى نيابة دمشق في سلطنة الظاهر برقوق الثانية، كما تولاها مرة أخرى في أوائل سنة 815هـ / 1412م لمدة عشرة أيام حيث خلع الناصر فرج، وقبض السلطان المؤيد شيخ على الأمير دمرداش وسجنه في الاسكندرية سنة 816هـ / 1413م حتى أمر بقتله سنة 818هـ / 1415م. أنظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج5، ص316-324.

نزلت الفرنج الجنوية في مكان يسمّى السنبطية غربي بيروت، وتملّكوا المدينة ونهبوها وأحرقوا دار أمراء الغرب القريبة من البحر والسوق القريب من الميناء، ومن ضمن الأماكن المنهوبة مستودعات توابل لتجار البندقية، ومن ثم توافد المسلمون تباعاً واشتبكوا مع الفرنج في الأزقة، وحضر أيضاً إلى بيروت واليها يوسف التركماني، وبقي الفرنج في المدينة حتى العصر، ثم عادوا إلى سفنهم وتوجهوا إلى صيدا ونزلوا في البر على مقربة منها، ووصل هناك الأمير شيخ نائب دمشق وانضم له أمراء الغرب الذين خرجوا من بيروت لمتابعة سفن الجنوية. وهجم النائب على الجنوية فغادروا إلى سفنهم وتوجهوا إلى جهة بيروت وكانوا يريدون مصب نهر الكلب ليتزودوا بمياه الشرب وبعدها توجهوا إلى بلادهم [1].

كان أسطول الجنوية في هذه الحملة كبيراً بحيث قدّر عدد المراكب بستة وأربعين مركباً من ضمنها سفن تحمل على متنها سبعمائة فرس [2]. وبلغ عدد قتلى الفرنج في بيروت ستين قتيلاً [3]، أمر النائب بإحراق جثثهم[4]، بينما قتل من المسلمين ثلاثة [5]، أو خمسة أفراد [6].

وفي رمضان سنة 837 هـ/1434م أخذ الفرنج الكتيلان خمسة مراكب للمسلمين من ساحل بيروت، وفيها الكثير من البضائع وعدد من الرجال، وسبب هذه الغارة هو قرار السلطان بالزام تجّار الفرنج بشراء الفلفل المعد للمتجر السلطاني[7].

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص32-34؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص217-218.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص34؛ هذه الاستعدادات لم يكن المقصود بها الساحل الشامي وإنما لخلاف حصل بين القبارصة والجنوية، ولكنه انتهى بالصلح بين الطرفين فأكمل الجنوية مسيرهم إلى الساحل الشامي (انظر : صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص32).

(3) ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج4، ص342.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص34؛ المقريزي، **السلوك**، ج6، ص99.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص33.

(6) ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج4، ص342.

(7) المقريزي، **السلوك**، ج7، ص267؛ ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج4، ص355.

وفي سنة 844 هـ/ 1441م وصل إلى ساحل بيروت عشر سفن لفنرج قشتاله، وأخذت مركباً للمسلمين مشحوناً بالبضائع، كما أسروا عدداً من الرجال، وأنهم باعوا ممن أسروا أربعين رجلاً، وغادروا بيروت من دون أن يقاتلهم أحد، وتبع هذه الغارة استنفار أجناد الحلقة على الساحل المصري والشامي [1].

ولم يكن بالضرورة أن تكون هذه الغارات موجّهة إلى بيروت حتى تتأثر بها، فقد تأثرت بشكل غير مباشر بالغارات الصليبية على السواحل المملوكية الأخرى، ففي سنة 767 هـ/1366م، استولى القبارصة على مدينة الإسكندرية [2]، وساندهم في الحملة البنادقة والجنوية والفرنسيون والروادسة، واستمرت أعمال القتل والنهب والحرق في الإسكندرية طيلة سبعة أيام [3].

عقب ذلك شهد الساحل الشامي حالة استنفار خوفاً من تحركات الصليبيين. وفي بيروت تم تشديد الحراسة على السواحل وألزم أمراء الغرب بالسكن في بيروت والركوب ليلاً ونهاراً لحراسة الساحل. وأصبح المماليك يفكرون بغزو جزيرة قبرص فبدأوا بصناعة السفن لتجهيز أسطول بحري لهذه الغاية، وأنشئ في بيروت دار لصناعة السفن، وأخذوا الخشب من غابة الصنوبر القريبة من بيروت. وتم استقدام الصناع من مختلف النيابات الشاميّة وأرسلت قوات من دمشق لتستقر بين ساحل البحر ودار صناعة السفن بهدف حمايتها، واستلزم وجودها نفقات كثيرة من جانب أمراء الغرب تطلب يقظتهم ومراقبتهم للسواحل ليلاً ونهاراً تعباً ومشقة كبيرة [4].

لم يكن المماليك في حالة عداء مع جميع الفرنج، فحين تكون حسنة مع طرف معين، تكون سيئة مع أطراف أخرى. وبعد الحملة التي قام بها الجنوية سنة

---

(1) المقريزي، **السلوك**، ج7، ص475-476؛ ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج5، ص137.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص29، 178.

(3) ابو عزالدين، **الدروز**، ص217.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص30، 178-179؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص218،217.

806هـ/1403م على الساحل الشامي، طرأ تغير في العلاقات بين المماليك والمدن الايطالية (جنوا والبندقية) من سياسة العداء إلى سياسة تأمين المصالح التجارية وعقد الاتفاقيات، بل وقدمت هذه المدن تعهدات من أجل الالتزام باتفاقياتها مع المماليك. وفي سنة 810 هـ/1407م وبعد سلسلة من المفاوضات تم عقد الصلح بين سلطنة المماليك ومدينة جنوا الايطالية، تعهدت فيه جنوا بدفع مبلغ ثلاثين ألف دينار تعويضاً عما أحدثته من خسائر في السواحل الإسلامية، وأنه في حال تكرر اعتداءات جنوا فإنه سيتم القبض على الجنوية المقيمين في السلطنة المملوكية (1).

وحذت البندقية حذو جنوا فأسرعت إلى عقد صلح مع المماليك سنة 811 هـ/1408م وفرضت عليها شروط قاسية، وأُخذت منها الضمانات بعدم التعرض لبلاد المماليك ورعاياهم، أما مملكة قبرص فقد بقيت على عدائها للمماليك (2)، مما حدا بالمماليك إرسال الحملات إليها وفتحها وهذا ما سنتناوله لاحقاً عند الحديث عن دور ولاية بيروت في فتح جزيرة قبرص .

أمّا بالنسبة لردود فعل المماليك على هجمات الفرنج فقد تعددت؛ فنجدهم يلجأون لدرء تلك الهجمات عن بلادهم إلى تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية، وذلك بالقيام بإعمال انتقام جماعية ضد القناصل والتجار الأوروبيين والرهبان القاطنين في الإسكندرية وبيروت والقدس (3)، وضبط أموال تجار الفرنج ومصادرتها (4)، وأحياناً طردهم من مدن الساحل(5). ويمكن القول أن ردة فعل المماليك تكللت

---

(1) ابو عليان، عزمي، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك "648-923/ 1250-1517 م"**، دار النفائس، ط1، عمان، 1995، ص126، (وسيشار إليه تالياً : ابو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي) .

(2) **المرجع نفسه**، ص127.

(3) عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1962، ص173، (وسيشار إليه تالياً، عاشور، العصر المماليكي)؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص69.

(4) ابن حجي، **تاريخه**، مج1، ص182.

(5) ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج4، ص395.

بقيامهم بغزو جزيرة قبرص وفتحها وخضوعها لحكمهم فموقع الجزيرة جعلها حلقة وصل بين أوروبا والدولة المملوكية، وشكلت قاعدة يشن منها الفرنج هجماتهم على السواحل المملوكية، سواء القبارصة أنفسهم أو المدن الايطالية.

وتعددت أهداف الفرنج من وراء قيامهم بهذه الهجمات على السواحل الشامية، فهناك الروح الصليبية التي تتوق للعودة إلى سواحل بلاد الشام وبيت المقدس واحتلالها. وتمخضت عنها الهجمة الأولى على بيروت التي أعقبت فتحها بوقت قليل، وغارات سنتي 698 هـ/1299م و 702 هـ1303م. وهناك الحملات التي يرجع سببها إلى التنافس التجاري بين المدن الإيطالية نفسها، وتمثلت بهجمات الجنوية التي هدفت إلى ضرب تجارة البنادقة مع المماليك، ومثال عليها هجمات سنوات 734 هـ/1334م و 784 هـ/1382م، وكان يشاركهم في هذه الغارات بعض قراصنة الروادسة والقبارصة والكتلان [1]، والهجمات الأخيرة التي قامت بها الممالك الاسبانية كتلونيا وقشتالة لها أهداف أخرى، فكانت هجمة الكتلان على بيروت سنة 837 هـ/1434م كرد فعل على قرار السلطان المملوكي بإلزام تجار الفرنج بشراء الفلفل المعد للمتجر السلطاني، ويبدو أن الهدف منها هو ثني السلطان عن قراره وتخفيف الضغط على التجار الفرنج .

ويلاحظ أن أغلب غارات الفرنج شملت أكثر من منطقة على طول الساحل وربما سعياً منهم للبحث عن النقطة الأضعف، فإذا كانوا يواجهون صعوبة في منطقة ما يعودون أدراجهم إلى البحر ويتجهون إلى منطقة أخرى، أمّا المماليك فإن موقفهم كان في بداية الأمر دفاعياً تمثّل بدورهم في التصدي للغارات، ثم تحوّلوا إلى الموقف الهجومي المتمثّل بغزواتهم على جزيرة قبرص وفتحها .

---

(1) عاشور، **العصر المماليكي**، ص278؛ ابو عليان، **مسيرة الجهاد الإسلامي**، ص123؛ طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام 648-923هـ / 1250-1517 م**، دار النفائس، ط1، بيروت 1997م، ص406 (وسيشار إليه تالياً : طقوش، تاريخ المماليك).

2.1.3 ولاية بيروت وفتح جزيرة قبرص:

شن المماليك ثلاث حملات على جزيرة قبرص أسفرت بالنهاية عن فتحها[1]، ودور ولاية بيروت في هذه الأحداث تمثّل بإمداد الحملة بالمقاتلين والسفن التي كانت تصنع فيها .

1. **الحملة الأولى سنة 827 هـ/1424م :** أمر السلطان برسباي[2] بتجهيز ثلاث سفن في مصر وأن تشترك معهم سفينة من بيروت وأخرى من طرابلس فكانت خمس سفن عليها أمراء من مصر والشام وتوجهت إلى قبرص في أواخر شهر رمضان إلاّ أن الأحوال الجوية لم تكن مناسبة؛ فأجبرت السفن على العودة، وبعد أيام قليلة من شهر شوال توجهت السفن إلى جزيرة قبرص، واحتلت أجزاء من بلدة بالمسون **(ليماسول)** من ثغور قبرص، ونهبوها ثم عادوا ومعهم خمسة وعشرين أسيراً من الرجال والنساء والأطفال[3].

---

(1) للمزيد عن هذه الحملات أنظر: الطراونة، ثروة ، **السياسة الخارجية للسلطنة المملوكية في عهد الأشرف برسباي (825- 841هـ/ 1422- 1438م)**، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة مؤتة، 1999م، ص80- 93.

(2) السلطان برسباي: الأشرف أبو النصر الدقماقي الظاهري برقوق، من عتقاء الظاهر برقوق، تدرج في الرتب حتى تولى نيابة طرابلس في سلطنة المؤيد شيخ، وتولى السلطنة سنة 825هـ/ 1422م ودانت له البلاد، وفي عهده فتحت جزيرة قبرص، وتوفي سنة 841هـ/ 1437م. أنظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج7، ص238- 241؛ الشوكاني، مج1، ص110.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص242؛ المقريزي، **السلوك**، ج7، ص 100، 103؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج14، ص 105، 106؛ Peter Malcolm Holt, **The Age Of The Crusades**, Produced by Longman Singapore Publishers,

2. **الحملة الثانية سنة 828 هـ/1425م** : انطلقت هذه الحملة من طرابلس وعمادها أربعون سفينة، شاركت بيروت فيها بأربع سفن، إحدى هذه السفن قديمة هي التي اشتركت في الحملة السابقة، أمّا السفن الثلاث الأخرى فقد تم تجهيزها حديثاً للمشاركة في هذه الحملة، وطلب من أمراء الغرب في ولاية بيروت المشاركة في الحملة فتوجّه المؤرخ صالح بين يحيى مع الحملة قائداً للسفينة القديمة، ومعه قرابة مائة رجل بحرية ومقاتلة، وكانت السفينة القديمة أسرع سفن الحملة. وصلت الحملة إلى جزيرة قبرص ونزلت إلى البر بالقرب من منطقة الماغوصة، وبقوا هناك يومين ثم عادوا إلى سفنهم وعرجوا على الساحل القبرصي باتجاه اللمسون (ليماسول)، في طريقهم تمكنوا من دحر الأسطول القبرصي وأجبروه على التراجع، كما هزموا قوة برية بقيادة أخو ملك قبرص. ووصلوا حصن اللمسون وفتحوه، ثم عادوا إلى دمياط بغنائم كثيرة، وأنعم السلطان برسباي على الأمراء المشاركين في الحملة ومن ضمنهم الأمير صالح بن يحيى، كما استضافه الدودار الأمير اركماس وأنزله عنده في بيته لحين عودته إلى بيروت [1].

3. **الحملة الثالثة سنة 829 هـ/1426م** : يبدو أن المماليك كانوا على

Holt, The Age Of :وسيشار إليه تالياً) Printed in Singapore, 1986. , p 184.
.(The Crusades

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص242-247؛ المقريزي، **السلوك**، ج7، ص 121؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج14، ص 114- 115؛ Tarawneh, **The Province** ؛Holt, **The Age Of The Crusades**, p 185 **Of Damascus**, P:79؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص220؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص104-105. الأمير اركماس: سيف الدين اركماس بن عبدالله الظاهري الدودار، أحد مماليك الظاهر برقوق، تدرج في الرتب حتى ولاه الأشرف برسباي الدوادارية الكبرى وتوفي سنة 854هـ/ 1450م. أنظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج15، 276-277.

عجلة في انفاذها وطُلب من بيروت بناء سفينتين، وتكرر ورود الأوامــر السلطانية بالاستعجال بتجهيز السفينتين، وبعكس مسار الحملتين السابقتين فإن مركز انطلاق هذه الحملة كان من دمياط على الــساحل المــصري. وتمكّن الأمراء في بيروت من تجهيز سفينة واحدة فقط، ساروا بها إلـــى مصر وعليها ما يزيد عن ثلاثمائة مقاتل من ضمنهم الأمير صــالح بــن يحيى مع عشرين رجل من جهة أمراء الغرب، لكن الأحــوال الجويــة وحركة الرياح لم تساعدهم على الوصول في الوقت المناســب. وعنــد وصولهم دمياط كانت الحملة قد خرجت بالإضافة إلى حاجــة ســفينتهم لبعض الإصلاحات، فلم يشاركوا فيها، وانتقل صالح بن يحيى من دمياط إلى القاهرة وفرق أتباعه، أمّا الحملة فقد نتج عنها خضوع جزيرة قبرص للمماليك [1].

3.1.3 هجمة المغول على بيروت سنة 803هـ1401م:

تأثّرت ولاية بيروت بالهجمة المغولية التي اجتاحت بــلاد الــشام ســنة 803 هــ/1401م بقيادة تيمور لنك، ووصلت هذه الحملة إلى بعلبك، ومن هناك أرســلت كتائب من الجيش المغولي إلى المدن الساحلية ومن ضمنها بيروت، وأخذت منهــا الأموال وذاق أهلها أنواع النكال [2].

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص249-250؛ للمزيد عن هذه الحملة أنظر: المقريزي، **السلوك**، ج7، ص 136- 138؛ ابن تغري بردي، **النجــوم الزاهــرة**، ج14، ص 123-130؛ Holt, **The Age Of The Crusades**, p 185.

(2) العيني، بدر الدين محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمـــان حـــوادث وتـــراجم 689-698هــ/ 1290- 1298م**، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م، ص256 ؛ الصيرفي، نور الدين جوهري علي بن داود، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق : حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970م ، ج2، ص93. حتي، **لبنان**، ص416 ؛ مكي، **لبنان**، ص257-258.

ولما حضر السلطان الناصر فرج بن برقوق(1) لمحاربة تيمور لنك، أرسل قبل وصوله دمشق إلى تنكز بغا نائب بعلبك وكاشف صيدا وبيروت يأمره أن يأخذ عُشران البقاع وصيدا وبيروت ويلاقي السلطان عند دمشق. فخرج مع تنكز بغا من ولاية بيروت أمراء الغرب وكذلك والي بيروت ناصر الدين محمد بن سويدان البيدمري، لكن هذه القوات لم تشارك في المعركة لأنه عند وصولها كان عسكر السلطان فرج قد انهزم وهرب من القوات المغولية، فرجعت هذه القوات مع الفلول الهاربة وتشتتت (2).

وقد نجت المناطق اللبنانية نسبياً من كارثة المغول، خاصة ما أصيبت به الصناعة من ضربة عندما أخذ تيمور لنك معه إلى عاصمته سمرقند خيرة الصناع الدمشقيين، لأن البقاعيين وكثيراً من مناطق دمشق وحمص والبلاد الشامية عموماً إلتجأوا إلى جبال لبنان (3).

2.3 ولاية بيروت والأحداث الداخلية

تأثرت ولاية بيروت كجزء من الدولة المملوكية بالمرض المزمن الذي عانت منه هذه الدولة والقائم على الصراع بين أُمراء المماليك وكثرة الانقلابات والنزعات الانفصالية، ومحاولات التمرّد وعدم الخضوع للسلطة .

1.2.3 إخضاع الشيعة في كسروان سنة 705 هـ/1305م :

---

(1) الناصر فرج: ابن الظاهر برقوق، من ملوك الجراكسة بمصر والشام، بويع بالسلطنة بعد وفاة أبيه سنة 801هـ/ 1399م، وعصى عليه نواب البلاد الشامية، فتوجه لقتالهم وأخضعهم، وفي عهده أستولى تيمورلنك على بلاد الشام، وبقي الناصر فرج على نزاع== == مع الأمراء حتى خلعوه وقاموا بسجنه ثم قتله سنة 814هـ/ 1411م. أنظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج13، ص 104- 110؛ الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص140.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص218-219؛ Tarawneh, **The Province Of Damascus**, P:79.

(3) مكي، **لبنان**، ص258.

تكاثرت الشيعة في لبنان خلال العهد الصليبي، وخاصة في منطقة كسروان التابعة لنيابة طرابلس، واتصفت هذه المنطقة بنزعة استقلالية نتيجة لطابعها الجبلي ولاختلافها المذهبي عما يجاورها في الجنوب من تمركز تنوخي درزي (أمراء الغرب)، وعمّا يجاورها في الساحل من تجمّع صليبي، وفي البقاع من تكتّل إسلامي سني، وبعد استعادة المماليك للمدن الساحلية سنة 690 هـ/1291م، كان التنوخيون موالين لهم، أمّا الشيعة في كسروان فترددوا في الخضوع الكامل للسلطة الجديدة[1]، وهنا بدأ سعي المماليك لإخضاعهم، وأرسلوا لهم عدة حملات كانت آخرها سنة 705 هـ/1305م.

وفي سنة 704 هـ1304م طغى شيعة كسروان واشتدت شوكتهم وكثر أذاهم للدولة المملوكية وجنودها، وأظهروا الخروج عن الطاعة، واعتزلوا بجبالهم المنيعة وجموعهم الكثيرة. وفي شهر محرم سنة 705هـ/ آب 1305م أرسل إليهم آقوش الأفرم نائب دمشق من يحدثهم بأمر الرجوع إلى الطاعة فلم يستجيبوا لذلك، مما دعاه إلى إصدار الأوامر بتجهيز العساكر من جميع النيابات الشامية [2].

شارك أمراء الغرب التنوخيون من ولاية بيروت في هذه الحملة، فتوجّه الأمير ناصر الدين الحسين إلى كسروان ومعه أقاربه وجماعته، وقتل منهم الأميران نجم الدين محمد بن جمال الدين حجي وأخوه شهاب الدين أحمد، وقتل من جماعة أمير الغرب ثلاثة وعشرون رجلاً، وكانت النتيجة النهائية لهذه الحملة القضاء على التمرد الشيعي في جبال كسروان، وإخراج الشيعة عنها فتفرقوا في أنحاء جزين والبقاع وبعلبك، ومنح بعضهم الأمان، وأتهم الأمير ناصر الدين الحسين بالتعدي

---

(1) مكي، **لبنان**، ص218-219.

(2) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص37؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص27؛ المقريزي، **السلوك**، ج2، ص389. آقوش الأفرم: آقوش بن عبدالله الدواداري المنصوري، المعروف بالأفرم، جركسي الأصل من مماليك المنصور قلاوون، تدرج في الرتب وتولى نيابة دمشق سنة 698هـ/ 1299م، ونيابة طرابلس سنة 711هـ/ 1311م، ثم سعى السلطان الناصر محمد للقبض عليه فهرب إلى جهة التتار وتوفي في همذان سنة 720هـ/ 1320م. أنظر: ابن طولون، **إعلام الورى**، ص37.

على بعض الكسروانيين الذين منحوا الأمان أثناء مرورهم بولاية بيروت [1].

2.2.3 النزاع بين الصالح إسماعيل والناصر أحمد وحصار الكرك:

في سنة 742هـ/1341م تم تولية الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون سلطاناً لدولة المماليك، وكان مقيماً في الكرك، فخرج إلى الديار المصرية وجلس على كرسي السلطنة في العاشر من شوال 742هـ/ 18 أذار 1342م، لكنه ما لبث أن عاد في ذي القعدة 742هـ/ نيسان 1342م إلى الكرك بهدف الأستقرار بها[2]، فأنكر عليه أمراء المماليك هذا الأمر، واتفق أُمراء الشام مع الأمراء في مصر على خلعه وتعيين أخيه الصالح إسماعيل سلطاناً للمماليك، لكن الناصر أحمد لم يعترف بهذا الإجراء واستمر تمسكه بالسلطنة مع بقائه في الكرك [3]، عندها بدأ الصدام بين

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، 95-96.

(2) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص211- 212.

(3) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص 213- 214؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص99؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، ص 377؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص64؛ غوانمه، يوسف، **تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى (القسم السياسي)**، وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1979 م، ص38، (وسيشار إليه تالياً : غوانمه، تاريخ شرقي الأردن). الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون: تسلطن بعد خلع أخيه الأشرف كجك سنة 742هـ/ 1341م، خلعه الأمراء وهو مقيم في الكرك سنة 743هـ / 1342م، وأستمر النزاع بينه وبين الأمراء وطال أمره حتى ضعف حاله ودخلت قوات الصالح أسماعيل الكرك سنة 745هـ / 1344م وقُتل الناصر أحمد. أنظر: العصامي، عبد الملك بن حسين، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1، ج4، ص30، (وسيشار إليه تالياً: العصامي، سمط النجوم العوالي). الصالح أسماعيل بن محمد بن قلاوون: كانت توليته بأتفاق الأمراء سنة 743هـ/ 1342م عندما توجه أخيه الناصر أحمد إلى الكرك، وتوفي سنة 746هـ/ 1345م. أنظر: **ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1966م، ط2، ج1، ص406،(وسيشار إليه تالياً: ابن حجر، الدرر الكامنة).

الطرفين، وتم توجيه الحملات لحصار الناصر أحمد في الكرك. وبلغ عددها ثمان حملات شاركت قوات بيروت في الحملتين الأولى والثانية منها[1].

أ. الحملة الأولى على الكرك سنة 743 هـ/1342م .

خرجت العساكر المصرية إلى الكرك لحصار السلطان أحمد كما توجه إليها العسكر الشامي في أواخر نيابة الأمير علاء الدين ايدغمش نائب دمشق الذي توفي فتولى مكانه الأمير سيف الدين تقزدمر[2]، وصدرت الأوامر إلى أنحاء نيابة دمشق بتجهيز الرجال للمشاركة في الحملة، ومن ولاية بيروت أرسل ناصر الدين الحسين أمير الغرب التنوخي أخيه عز الدين الحسن بن خضر إلى الكرك يرافقه عدد من أمراء الغرب وهم : جمال الدين بن سيف الدين، وعز الدين بن عماد الدين، وسعد الدين سعيد بن ناصر الدين سعدان من بني أبي الجيش، ومعه جماعة من الرجال، وعند وصولهم الكرك أمرهم الأمير حسام الدين طرنطاي مقدم العسكر بالزحف نحو القلعة، فتقدم الأمير عز الدين الحسن واصطدم مع رجال الناصر أحمد، فقتل الأمير عز الدين، وأسر سعد الدين سعيد، وهرب الباقون [3].

---

(1) للمزيد عن هذه الحملات أنظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص215- 224؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، ص 377، 388، 399، 402، 404، 405، 411؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص67، 70، 72، 74، 75، 76.

(2) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص215- 216.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص99-100؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص35. علاء الدين أيدغمش الناصري، دخل إلى دمشق نائباً في أواخر سنة 742هـ/ 1341م، وتوفي في دمشق في جمادى الآخرة سنة 743هـ/ تشرين الثاني 1342م. أنظر: ابن طولون، **إعلام الورى**، ص43. الأمير سيف الدين تقزدمر (طقزدمر): تولى نيابة دمشق بعد أيدغمش الناصري في شهر رجب سنة 743هـ/ كانون أول 1342م. أنظر: ابن طولون، **إعلام الورى**، ص44. طرنطاي: الأمير حسام الدين البشمقدار الناصري، تولى الحجوبية في دمشق قرابة عشرين سنة وعزل عنها في سنة 732هـ/ 1332م، ثم ولي نيابة حمص ثم نيابة غزة، ثم الحجوبية في مصر سنة 744هـ/ 1343م، ثم تولى نيابة

ب. الحملة الثانية على الكرك سنة 743 هـ/1343م :

جهّز الصالح إسماعيل حملة أخرى لإخضاع الناصر أحمد في الكرك فخرجت العساكر من مصر في شوال سنة 743 هـ/1343م، وفي ذي القعدة خرجت القوات الشامية إلى الكرك، وكانت الأوامر قد صدرت إلى جميع ولايات دمشق بإرسال العُشران وغيرهم لقتال الناصر أحمد[1]، وعيّن على كل ولاية عدد من الرجال فكان على ولايتي صيدا وبيروت خمسمائة رجل، على ولاية بيروت نصفها (250) رجلاً، فتوجّه الأمير ناصر الحسين على رأس قواته إلى دمشق، وفي الطريق التقى مع قوات البقاع، ومن دمشق توجّهت القوات إلى الكرك [2].

اجتمعت القوات المصرية والشامية وشددت الحصار على قلعة الكرك وقاتل رجال البقاع وصيدا وبيروت ومن ضمنهم ناصر الدين تحت إمرة علاء الدين بن صبح، ويبدو أنهم كلما حاولوا الاقتراب من الأسوار يتراجعون تحت رمي المجانيق. لم يكن للرجال الذين قدموا من ولايات دمشق (بيروت وصيدا والبقاع) طول نفس على الحصار، فاستأذنوا في العودة الى ديارهم فلم يؤذن لهم، وكان قد فرق عليهم أغنام إلاّ أنّهم رفضوها، وفي أحدى المواجهات مع قوات الناصر أحمد جرح جماعة من رجال ناصر الدين وهم : ناصر الدين أبو الفتح بن معن، وسعد الدين سعدان، وإبراهيم المحروق[3]، واستمر ناصر الدين بمن معه في الكرك إلى أوائل شهر صفر سنة 744 هـ/ 1343م ثم عاد إلى بيروت. وكان الأمير ركن الدين بيبرس الاحمدي قائد القوات المملوكية المحاصرة للكرك، قد خصص لكل رجل من قوات بيروت درهم واحد نفقه عن كل يوم طيلة أقامتهم في حصار

حمص للمرة الثانية، وتوفي في دمشق سنة 748هـ/ 1347م. أنظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج16، ص430-431.

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص 100- 101؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، ص 388؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص70.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص100-101؛ غوانمه، **تاريخ شرقي الأردن**، ص241-242.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص101.

الكرك[1].

وعندما عاد ناصر الدين الحسين إلى ولاية بيروت وجدها تعاني من غلاء في الأسعار، ولا نعلم إن كان هذا الغلاء مرتبط بالصراع القائم بين الصالح إسماعيل والناصر أحمد، وقد ذكر صالح بن يحيى بناءاً على ما قرأه بخط ناصر الدين الحسين : " كان الشيء غالي الكيل، الدقيق بثمان عشر، والخبز ثمان أواق دمشقية بدرهم، والشعير الكيل بعشرة دراهم، والبصل والخل الرطل بأربعة، والزيت بستة والدبس وغير ذلك من الأصناف متعذر الوجود، والحب رمان الرطل بأربعة، وكذلك الجبن"[2].

أمّا الناصر أحمد في الكرك فقد أخذ حالة يضعف مع طول مدة الحصار، واستطاع الصمود حتى شهر صفر سنة 745 هـ، حيث دخلت قوات الصالح إسماعيل إلى قلعة الكرك وأسر الناصر أحمد [3].

3.2.3 عصيان الجيبغا المظفري نائب طرابلس سنة 750 هـ/1349م :

في سنة 750 هـ/1349م خرج الجيبغا المظفري نائب طرابلس[4] إلى دمشق

---

(1) **المصدر نفسه**، ص102. الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي: ولاه السلطان الناصر أحمد نيابة صفد، ثم خشي من الناصر أحمد وهرب إلى دمشق، وكان ممن خلعوا طاعة الناصر أحمد، وبعد أستقرار الصالح أسماعيل في السلطنة ولي الأحمدي نيابة طرابلس ثم أعيد إلى مصر أميراً، وتوفي سنة 746هـ/ 1345م. أنظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج2، ص 35- 36.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص102-103.

(3) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص 224؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص103؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، ص 411- 412؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص75- 76.

(4) الجيبغا المظفري: الأمير سيف الدين بن عبدالله، تدرج في الرتب حتى ولي نيابة طرابلس سنة 749هـ/ 1348م- وكان منه ما ذكرنا أعلاه- وقتل في دمشق سنة 750هـ/ 1349م. أنظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج3، ص44- 46.

وقبض على نائبها آرغون شاه وقتله، بحجة أنّه يحمل مرسوماً من السلطان بـــذلك، وإنما كان المرسوم مزوراً، وبعدها عاد إلى بلاده وأظهر العصيان، فكتب السلطان إلى نواب الشام بالقبض على الجيبغا واستاد داره تمربغا الحسني، ومماليكـــه ومـــن كان معه في تلك الحركة، فخرج الجيبغا من طرابلس متجهاً جنوباً بمحاذاة الساحل.

في هذه الأثناء كانت دمشق بدون نائب، فكتب بعض الأمراء فيها إلى الأميـــر عز الدين صالح بن ناصر الدين الحسين أمير الغرب في ولاية بيروت، أن الأوامر صدرت عن السلطان بإمساك الجيبغا، وأن على الأمير عز الدين مراقبة جسر نهر الكلب ومنع الجيبغا من عبوره، ولمّا وصل الجيبغا إلى نهر الكلب لم يُمكِّنـــه أهـــل بيروت من العبور، واستمرت العساكر الطرابلسية في ملاحقته وساندتها عساكر من دمشق، ولم يرَ الجيبغا بداً من تسليم نفسه ففعل ذلك [1].

4.2.3 النـــزاع علـــى الـــسلطة بـــين برقـــوق وأُمـــراء المماليـــك ســـنة 791هـ/1389م:

يعدّ السلطان برقوق أول السلاطين الجراكسة الذين تولوا حكم الدولة المملوكية في مصر والشام، وما أن أصبح سلطاناً حتى عمد إلى عزل العديـــد مـــن أمـــراء المماليك، وتغيير إقطاعاتهم فتكتل ضده المماليك الأتراك بزعامة الأميـــرين يلبغـــا الناصري وتمربغا المعروف بمنطاش، وتدريجياً تمكّن هذان الأميران من الـــسيطرة الكاملة على جميع بلاد الشام ثم خلعا السلطان برقوق وسيطرا على الدولة وأقامـــا الصالح حاجي بن الأشرف سلطاناً[2].

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص177-178؛ المقريـــزي، **الـــسلوك**، ج4، ص 103-105؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج10، ص168- 170؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص195، الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص35.

(2) المقريزي، **السلوك**، ج5، ص 232- 234؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج11، ص 262؛ مكي، **لبنان**، ص255-256. يلبغا الناصري: نائب حلب، ولم تولى الظاهر برقوق السلطنة عزله عنها ثم أُعيد إليها نائباً سنة 790هـ/ 1388م، وكلف بمحاربة منطاش، ==

وفي رمضان سنة 791 هـ/ ايلول1389م خرج الظاهر برقوق من سجنه في الكرك، وتحرك إلى دمشق وحاصرها بعد أن تمكّن من هزيمة نائبها سيف الدين جنتمر[1]. وفي هذه الأثناء كان برقوق قد أرسل إلى أمراء الغرب والى والي بيروت دولت يار السنجاري يستدعيهم للحضور إليه، ورسم إلى أمراء الغرب بالقبض على والي بيروت في حال امتنع عن الحضور، كذلك بعث للوالي مرسوم بالقبض على أمراء الغرب إن هم امتنعوا عن الحضور، لكن الطرفين اتفقا على التوجه معاً إلى السلطان برقوق، كما طلب برقوق من قوات بيروت إحضار رصاص منجنيق كان في بيروت واستدعاء النجارين الذين في بيروت لحاجته إليهم، فتوجه أحد أمراء الغرب إلى بيروت وجهز الرصاص والنجارين وأحضرهم إلى برقوق [2].

استمرت قوات بيروت مع السلطان برقوق في حصار دمشق حتى حضر الأمير تمربغا الأشرفي (منطاش) بالسلطان المظفر صلاح الدين حاجي بن شعبان والعساكر المصرية، فتوجّه السلطان برقوق إلى شقحب لقتال منطاش، وجعل برقوق على ميمنة جيشه كمشبغا الحموي نائب حلب وكان أمراء الغرب من ضمن قوات الميمنة، فتمكّنت ميسرة منطاش من كسر ميمنة السلطان برقوق، فانهزم كمشبُغا الحموي[3]، وانهزم معه أمراء الغرب وعادوا إلى بلادهم وهم يعتقدون أن

== ولما جاء البريد بعزله، خرج عن طاعة السلطان برقوق وأطاعه أُمراء البلاد وأنضم إليه منطاش وتمكن من عزل برقوق إلا أنه لم يقتله، وولاه برقوق نيابة حلب في سلطنته الثانية، ثم ولاه نيابة دمشق. أنظر: ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج5، ص215- 217.

(1) المقريزي، **السلوك**، ج5، ص 253- 254، 259- 261؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج11، ص290.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص212-213؛ Tarawneh, **The Province Of Damascus**, P:78.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص213-214؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج11، ص305- 306؛ Tarawneh, **The Province Of Damascus**, P:78. المظفر صلاح الدين حاجي بن الأشرف شعبان: أستقر في السلطنة بعد أخيه المنصور علي، وكان عمره يزيد على عشر سنوات ثم عزل بعد سنة ونصف بأتابكه الظاهر برقوق ==

المعركة انتهت لصالح منطاش [1].

لم يكن تأثر بيروت بهذا النزاع فقط بالمشاركة في القتال، بل إن هذا النـــزاع انتقل إلى داخل ولاية بيروت، فأمراء الغرب أيدوا السلطان برقوق وشاركوا معـــه في حصار دمشق وفي موقعة شقحب، أمّا تركمان كسروان على الحدود الـــشمالية لولاية بيروت فقد أيدوا الأمير منطاش. ولمّا كان دولت يار السنجاري والي بيروت قد خرج مع أُمراء الغرب لنصرة برقوق، فقد عيّن منطاش على بيروت والياً يدعى ارغون، فاجتمع علي بن الأعمى زعيم تركمان كسروان مع الوالي الجديـــد، أمّـــا منطقة الغرب فلم ترضخ للوالي الجيد، وكان أمراء الغرب في دمشق عند الـــسطان برقوق، فتحرك أهل الغرب إلى جهة الساحل لكـــن المنطاشـــية (قـــوات الـــوالي وتركمان كسروان)، كانوا أكثر منهم ولم يحسن أهل الغرب التصرف فقتـــل مـــنهم تسعون رجلاً وأُسِرَ بعضهم، كما نهب المنطاشية أملاك أمراء الغرب فـــي مدينـــة بيروت من زيوت وصابون وقماش وغيرها، فكان أثر ذلك عظيمـــاً علـــى أمـــراء الغرب عندما عادوا إلى بلادهم [2].

لم يمكث أمراء الغرب كثيراً حتى جاء من يخبرهم بأن السلطان برقوق انتصر

== سنة 784هـ/ 1382م، وعندما خُلع برقوق وسُجن بقلعة الكرك أُعيـد حـاجي إلـى السلطنة ولقب بالمنصور وأستمر بالسلطنة تسعة أشهر حتى عاد برقوق وخلعه فـي سـنة 792هـ/ 1390م، أستمر المنصور حاجي ملازماً داره إلى أن مات في سنة 814هـ/ 1411م. أنظر: السخاوي، **الضوْ اللامع**، ج2، ص31؛ الشوكاني، **البدر الطـالع**، مـج1، ص130. كمشبغا الحموي اليلبغاوي: خدم في بيت الأشرف شعبان وتدرج في الرتب، تولى نيابة حماه، ثم نيابة دمشق سنة 780هـ/ 1378م، ثم نيابة صفد، ثم نيابة طرابلس، وتولى نيابة حلب، ناصر برقوق في قتال منطاش، وعينه برقوق في سلطنته الثانية أتابكاً للعـسكر ثم غضب عليه وسجنه في الاسكندرية سنة 800هـ/ 1398م حتى مات سنة 801هـ/ 1399م. أنظر: السخاوي، **الضوْ اللامع**، ج3، ص282.

(1) صالح بن يحيى، **تـاريخ بيـروت**، ص213-214؛ Tarawneh, **The Province Of Damascus**, P:78.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص214.

على منطاش في موقعة شقحب، وأنه توجّه منتصراً إلى مصر، فتوجّه أمراء الغرب مع الساحل إلى مصر فكان وصولهم اليها عقب وصول السلطان برقوق حتى اعتقد أنهم حضروا مع عساكره، فأنفق عليهم كبقية العساكر. وللمرة الثانية لم يسلم أهـل الغرب من تعديات تركمان كسروان الذين استغلوا خروج أمراء الغرب إلى مصر، فأغاروا على منطقة الغرب وقتلوا أربعين رجلاً منهم ونهبوا عدة قـرى [1]. ولمـا استقرت السلطة لبرقوق وجّه من البقاع قوة بقيادة علاء الدين بـن الحـنش ومعـه عشران البقاع بالاشتراك مع أمراء الغرب التنوخيين لتأديـب تركمـان كـسروان، وقتلوا زعيمهم علي بن الأعمى وجماعة من أتباعه ونهبوهم [2].

رغم انتصار برقوق إلاّ أن صراعه مع منطاش لم ينتهِ بعـد، فعـيّن برقـوق الأمير يلبغا الناصري مقدماً على العساكر المتوجهة لقتال منطاش، وألزم مـن لـه إقطاع في أي جهة من بلاد الشام بالسفر مع العسكر[3]، فطلب الناصري من أمراء الغرب تجهيز رجالهم والتوجّه إليه في دمشق، ففعلوا ذلك وقاتلوا إلى جانبـه فـي جميع المعارك التي خاضها ضد منطاش، وقتل منهم جماعة أبرزهم عز الدين عبد العزيز العسقلاني موقع بيروت ومحتسبها. وشارك أمراء الغرب أيضاً إلى جانـب الناصري في المعركة التي جرت بينه وبين نعير بن حيار بظاهر دمـشق، والتـي هزم فيها الناصري، ولحق الأذى بأمراء الغرب [4]. ولم تهدأ الأوضاع فـي بـلاد الشام إلاّ بعد مقتل الثائر منطاش سنة 794 هـ/1392م، وحضور السلطان برقوق

---

(1) **المصدر نفسه**، ص214-215.

(2) صـالح بـن يحيـى، **تـاريخ بيـروت**، ص215؛ Tarawneh, **The Province Of Damascus**, P:78؛ مكي، **لبنان**، ص275.

(3) المقريزي، **السلوك**، ج5، ص 289.

(4) صـالح بـن يحيـى، **تـاريخ بيـروت**، ص215؛ Tarawneh, **The Province Of Damascus**, P:78. نعير بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا: أمير آل فضل، اشـترك مع منطاش في الفتنة الشهيرة ضد السلطان برقوق، وأشترك أيضاً في عدة فتن حتى أُسـر وقتل في حلب سنة 808هـ/ 1405م. أنظر: السخاوي، **الضوء اللامـع**، ج10، ص203-204؛ الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص111.

إلى حلب وقتل الناصري [1].

بيّنت لنا هذه الحركة السياسية التي كان يعمل بها سلاطين وأمراء المماليك مع طرفي السلطة في ولاية بيروت (أمراء الغرب أصحاب الزعامة المحلية وولاة بيروت المماليك)، فالسلطان برقوق الذي لم يكن واثقاً من تأييد هذين الطرفين له نجده قد رسم لأمراء الغرب بالقبض على الوالي دولت يار السنجاري في حال امتنع عن الحضور عنده. وفي الوقت نفسه رسم للوالي بالقبض على أمراء الغرب في حال امتنعوا هم عن الحضور، فجعل كل طرف منهما يقف في وجه الآخر بما يخدم مصلحته في النهاية.

أيضاً برز في هذا النزاع منافسة تركمان كسروان لأمراء الغرب في ولاية بيروت بغية القضاء على نفوذهم والاستيلاء على إقطاعاتهم، خاصة في الغارة الثانية التي شنها تركمان كسروان على منطقة الغرب، التي يبدو أن الهدف منها ليس دعم منطاش المهزوم في موقعة شقحب، بل القضاء على التنوخيين أصحاب الزعامة والإقطاع في ولاية بيروت .

5.2.3 خروج الأمراء في الشام على الناصر فرج بن برقوق سنة 812 هـ/1409م :

تأثّرت ولاية بيروت بالصراع على السلطة بين السلطان الناصر فرج بن برقوق والأمراء وشيخ المحمودي، ونوروز الحافظي[2]، وفي أثناء هذا الصراع كان طغري برمش والياً على بعلبك من قبل شيخ المحمودي، وسعى طغري برمش

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص216، ورد عند ابن تغري بردي أن القبض على الأمير منطاش كان أوائل رمضان 795هـ/ تموز 1393م.(ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج12، ص35).

(2) للمزيد حول الصراع بين السلطان الناصر فرج وشيخ ونوروز ، انظر : ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج13، ص40-62 ؛ Tarawneh, **The Province Of Damascus**, PP. 66-67.

لجمع الأموال من بلاد صيدا وبيروت فوقع لهم ظلم كثير [1].

ومما يجدر الحديث عنه أن ولاية بيروت عانت من التغيير المستمر لنواب دمشق وما يتبع ذلك من كلفة وتبعات مادية أثقلت كاهل الولاية وبالأخص أمراء الغرب [2].

(1) ابن حجي، **تاريخه**، ج2، ص912.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص212، 216.

الفصل الرابع

الوضع السكاني والحياة الاجتماعية والثقافية في الولاية

1.4 السكان في ولاية بيروت

كانت مدينة بيروت على عهد الفرنج عامرة بالسكان، ولكـن بعـد اسـتعادة المماليك لها، خرج منها سكانها الفرنج، ويبدو أن سياسة المماليك وقيـامهم بهـدم أسوارها وتحصيناتها والخوف من عودة الفرنج إليها؛ كان عاملاً طارداً لمن يرغب السكن فيها. والوصف الذي وصلنا ينقل إلينا واقع الحال السكاني للمدينة فـي تلـك الفترة. فلم يصل عدد المصلين في صلاة الجمعة إلى أربعين مصلٍ مما يـضطر الخطيب أن يصلي بهم صلاة الظهر الاعتيادية، وأحياناً يشكلون بمن يحـضر مـن ضواحي المدينة عدداً كافياً لإقامة صلاة الجمعة. ولم يدم هذا الحال طـويلاً حتـى أخذت المدينة تنتعش بعودة التجارة إليها؛ فمراكب الفرنج التجارية أخذت تتردد إليها شيئاً فشيئاً [(1)]، حتى أصبحت فيما بعد أبرز المدن الشامية على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

بعد ذلك وطيلة العهد المملوكي تغير الوضع الديمغرافي فـي مدينـة بيـروت وأصبحت تشكّل تمازجاً سكانياً شمل أجناساً متعددة ؛ فالمدينة ملتقى للتجار العـرب والأجانب والحجاج النصارى والمسافرين والرحّالة. وهذا التمازج السكاني يمكـن إيجازه بالوصف الذي نقله الرحّالة (دي طرويا)، حيث قال: " وفي أسواقها الضيقة وطرقها الملتوية، تزدحم الأقدام، فمن أصحاب العمائم، أو الكفاف الحريرية، ومـن لابسي البرانس البيض، أو المضَّربيات، ومن هو مدجج بالأسلحة المنزل فيها مـن الذهب والفضة والنحاس، أشكال من النقوش البديعة، وكم من تاجر غنـي وأميـر

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص34–35؛ بحسب المذهب الشافعي المتبع في بلاد الشام تلك الفترة فإن صلاة الجمعة لا تقام إلا أذا وصل عدد المـصلين إلـى أربعـين مـصلٍ، أنظر:(الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، **المهذب في فقه الامام الشافعي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م، ج1، ص207).

خطير يعثر بحمال فقير. فيها التقت جميع الأمـــم واللغـــات وتعارضـــت الألـــوان والأدوات، فمن الزنجي السوداني، إلى الشركسي الأبيض، ومن الرومي النزق، إلى البدوي الذي لا تهزه ريح، ومن اليهودي الملتوي إلى الأسباني المتغطـــرس، وقـــد اختلط بهم تجّار البندقية وجنوه وبيزا " [1].

أمّا فيما يتعلق بعدد السكان في مدينة بيروت فهم أقل عدداً مما كانوا عليه أيام الحكم الصليبي [2]، وفي إشارة تتعلّق بسكان بيروت فإن عددهم نقص إلى عـــشرة آلاف نسمة بسبب الأوبئة التي أصابتها أواخر القرن التاسع الهجـــري / الخـــامس عشر الميلادي [3]. ولا نعلم إن كان هذا العدد مبالغاً فيه وإنه يشمل كامـــل ولايـــة بيروت أم يقتصر على المدينة فقط، ولكن يفهم منه أن عدد السكان كان أكثـــر مـــن هذا العدد الذي مثّل الناجين من فتك الأوبئة والطواعين، وفي إشارة أخـــرى لعـــدد سكان مدينة بيروت، ذكرت دراسات حديثة: أن المساجد الموجودة في مدينة بيروت كانت كافية لسكان بيروت المسلمين الذين لم يتجاوز عددهم خمسة آلاف نسمة [4].

وقد عانت مصر والشام بشكل عام خلال حكم المماليك مـــن تـــواتر الأوبئـــة والطواعين التي أثّرت تأثيراً كبيراً في أعداد السكان وحصدت آلاف الأرواح [5].

---

(1) لامنس، هنري، "**الأخ غريفون وجبل لبنان في القرن الخامس عشر**، مجلة المشرق"، ع1، السنة الأولى، 1898م، ص17،(وسيشار إليه تالياً: لامنس، "**الأخ غريفون وجبل لبنان في القرن الخامس عشر**)؛ الوالي، **بيروت**، ص74.

(2) **المرجع نفسه**، ص46.

(3) شيخو، لويس، "**بيروت أخبارها وآثارها**"، مجلة المشرق، مج24، 1962م، ص116، حتى **لبنان في التاريخ**، ص406؛ الوالي، بيروت، ص37.

(4) الوالي، "**المساجد**"، مجلة الفكر الأسلامي، ع12، 1970م، ص46؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص116.

(5) آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**، ترجمة عبد الهادي عبله، دار قتيبة، دمشق، 1985م، ص395، (وسيشار إليه تاليا: آشتور، التـــاريخ الاقتصادي)، عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص144 .

1.1.4 السكان من الناحية العرقية :

1- التركمان : بعد الحملات التأديبية التي قامت بها قوات السلطة المملوكية ضد شيعة كسروان، وبهدف القضاء على التمركز الشيعي في تلك المنطقة، عمل المماليك على استقدام عشائر من التركمان سنة 706 هـ/1306م، وأسكنوهم في منطقة كسروان، وعرفوا بتركمان كسروان(1). فنجح المماليك بإجراء تغيير ديمغرافي مذهبي للعناصر السكانية في تلك المنطقة المحاذية لولاية بيروت من جهة الشمال الشرقي .

كلف تركمان كسروان بحماية الساحل الشامي من حدود انطلياس في ظاهر بيروت إلى حد عمل طرابلس(2)، وبذلك فقد كلفوا بحماية جزء من ساحل ولاية بيروت من انطلياس إلى مصب نهر الكلب، وخصصت لهم إقطاعات كانت من ضمنها قرى في ولاية بيروت منها قرية برج حمود الساحلية (3).

وعرف زعماء تركمان كسروان بأولاد الأعمى، واشتهروا بعدائهم لأمراء الغرب، فكان لهم تعديات على أملاك أُمراء الغرب وقراهم في أكثر من مرة، حتى قامت السلطة المملوكية بإرسال حملة إليهم بقيادة علاء الدين بن الحنش تمكنت فيها من قتل زعيمهم علي بن الأعمى(4).

2- الأتراك والجراكسة: اختصت هذه الفئة بالوظائف العسكرية، من والي بيروت حتى أجناد الحلقة، ويتم تخصيص أجناد الحلقة من بعلبك للإقامة في بيروت إبدالاً بحيث يبقى كل بدل شهراً ثم يستبدل ببدل آخر وهكذا (5). كما وجد في بيروت

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص29، الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص15-16؛ سبيتي، **الحياة الفكرية**، ص100.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص29، 37؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص16.

(3) مرهج ، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، مج2، ص193.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص214-215.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص37؛ البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج2، ص328؛ سبيتي، **الحياة الفكرية**، ص100.

تشكيلات عسكرية مملوكية تتقاضى رواتبها من حاصلات الميناء، وتتكون من أربعين قرا غلام بخيول وعشرين مشاه وطبلخانات كؤوسات وانفرة وزمر ومناظرية للبحر [1].

3- العرب: منذ الفتح العربي الإسلامي الأول لبيروت سنة 13 هـ/635م اصطبغت المدينة بالطابع العربي واستقر بها العرب فشكلوا غالبية السكان، وينتسب بعضهم إلى قبائل عربية عريقة كتنوخ التي ينتسب إليها آل بحتر أُمراء الغرب في ولاية بيروت، ويقطنون العديد من القرى في السفح الغربي لجبال لبنان الغربية [2]، وبنو أبي الجيش الذين سكنوا بلدة عرامون وعرفوا بعدائهم لأقاربهم من آل بحتر[3]. وهناك أيضاً الارسلانيون الذين يعودون في نسبهم إلى تنوخ ومركزهم قرب بيروت[4]. كما ورد ذكر لبني رمطوني (الرماطنة) [5]، ويبدو أنهم من أمراء الغرب الذين سكنوا بلدة رمطون ونسبوا إليها .

وفي محاولة لتوضيح بعض الغموض الذي يعتري نسب العشائر التنوخية وأصولها، فإن نسب البحتريين يبتدئ بالأمير بحتر بن علي كما أورده صالح بن يحيى[6]. أما الأرسلانيون فتذكر نجلاء أبو عز الدين أنهم ينتسبون للأمير أرسلان ابن مالك الذي انتقل هو وأخوه منذر من معرة النعمان إلى جبال بيروت بأمر من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور [7]. وفيما ينتسب الأرسلانيون إلى المنذر الخامس الملقب بالمغرور وهو ابن النعمان بن المنذر الثالث بن ماء السماء، فإن

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(2) **المصدر نفسه**، ص39.

(3) **المصدر نفسه**، ص41-42.

(4) شبارو، **تاريخ بيروت**، ص94 .

(5) بولياك، **الإقطاعية**، ص47، ابو عزالدين، **الدروز**، ص213.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص39.

(7) ابو عزالدين، **الدروز**، ص184؛ أبو صالح، عباس، **تاريخ الموحدين الدروز في المشرق العربي**، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، ص42 (وسيشار إليه تالياً : أبو صالح، تاريخ الموحدين الدروز) .

البحتريين ينتسبون بدورهم إلى تميم بن النعمان بن المنذر الثالث بن ماء السماء، أي أن الارسلانيين والبحتريين هما فخذان من أصل واحد. أما تسمية الإمارة البحترية في لبنان بالإمارة التنوخية فإنها على الأرجح ترجع إلى أحد أجداد البحتريين وهو تنوخ بن قحطان، كما أن نسبة الأمراء الأرسلانيين إلى تنوخ تعود، إما نسبة للخم – التي يرجع إليها نسب الأرسلانيين والبحتريين أو إلى الحلف القبلي بين قبيلة لخم وقبيلة قضاعة وغيرها من القبائل والمسمى حلف تنوخ ؛ أو لأحد أجداد الأرسلانيين المنذر بن مسعود الملقب بالتنوخي [1].

وفيما يتعلق ببني أبي الجيش فقد ورد عند صالح بن يحيى أن بعض أمراء عرامون هم من البقاع، وهؤلاء هم الأمراء من بني أبي الجيش المعروفين ببني سعدان[2]، بينما تذكر نجلاء أبو عز الدين أن بني أبي الجيش هم امتداد للارسلانيين؛ حيث إن الارسلانيين أصبحوا يعرفون ببني أبي الجيش أو الجياشنة نسبة للأمير زين الدين صالح بن علي بن بحتر[3]. وهذا الزعم يجعلهم من آل بحتر، في حين نجد عند صالح بن يحيى في معرض حديثه عن الأمير زين الدين صالح بن علي بن بحتر ؛ أن بني أبي الجيش كانوا معاصرين له، بل حاكوا المكائد له ولأقاربه؛ مما أدّى إلى سجنه [4]، وهذا يفنّد نسبة بني أبي الجيش لزين الدين صالح، وهو ما نرجِّحه.

ضمّت قرى الغرب بالاضافة الى آل بحتر عناصر عربية أخرى، ففي عرامون سكنت أسرة بني غازي، وأسرة بني نحرير، وهناك المهاجرون الذين هاجروا من القرى المجاورة واستقروا بعرامون. وقد كانت ولاية بيروت تشهد تنقلات سكانيّة داخلية؛ فالبعض هاجر من بلدة خلدا الساحلية وسكن بعرامون، والبعض انتقل من بلدة مرتغون وسكن في بلدة عين كسور، وشكل المهاجرون العدد

---

(1) أبو صالح، **تاريخ الموحدين الدروز**، ص23.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص 41-42.

(3) ابو عزالدين، **الدروز**، ص193.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص63-67-75.

الأكثر في بلدة عرامون، وعملوا بالزراعة، وعرف منهم أسرة بني عبيد[1].

وهناك أيضاً عشائر أخرى أصولها من خارج ولاية بيروت، ولكنهـا قـدمت واستقرت وارتقت حتى أصبحت تنافس آل بحتر التنوخيين في زعامة بيروت ومـن هذه العشائر آل الحمرا [2]، وهم بالأساس من البقاع قدموا إلى بيروت واستقروا في محلة جرن الدب التي نسبت إليهم، وأصبحت تعرف بمحلة الحمرا [3]، ولهـم فـي بيروت المدرسة التي عرفت بزاوية آل الحمرا [4]. كمـا ورد ذكـر لآل تلحـوق الدروز وأنهم كانوا يسكنون في بيروت في محلة جرن الدب وأنه تم إجلاؤهم عنها بعد نزاعهم مع آل الحمرا وانتقلوا إلى منطقة الغرب[5]. ويرجع نـسب آل تلحـوق إلى بني عزام وهم فرع من قبيلة الأزد[6].

4- الأقليات الأجنبية: وجد في بيروت خلال العهد المملوكي عدد من الأقليات الأجنبية بحكم متابعتهم لأعمالهم التجارية. وكان أبرز هذه الأقليات القبارصة الـذين سكنوا بيروت وكان لهم بها كنيسة وخانات وحمامات [7]، والبنادقـة الـذين مثلـوا أفراداً من العائلات البندقية النبيلة التي تتعاطى التجارة وأستقر بعضهم في بيـروت لمتابعة الأعمال التجارية. وكان ينضم إليهم تجار من عامة الشعب البندقي يعملـون لديهم وكلاء أو شركاء. وكان للبنادقة المقيمين في بيروت بـصفة دائمـة مخـازن ومنازل مستقلة، رغم أن عددهم لم يتجاوز العشرة تجار. ففي سنة 822هـ/1419م كان عددهم أربعة تجار، وفي أواخر القـرن التاسـع الهجـري/ الخـامس عـشر الميلادي- بين سنتي 887هـ/ 1482م و 904هـ/ 1499م بلغ عددهم سبعة تجار،

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص198-199.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص106 ؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص37؛ بولياك **الاقطاعية**، ص47؛ خوري، **بيروت في المصادر العربية**، ص80.

(3) **المرجع نفسه**، ص47؛ البستاني، **بيروت**، ج5، ص747؛ الوالي، **بيروت**، ص23.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص106 ؛ الوالي، **بيروت**، ص23.

(5) البستاني، **بيروت**، ج5، ص747 ؛ الوالي، **بيروت**، ص23.

(6) أبو صالح، **تاريخ الموحدين الدروز**، ص21.

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص37؛ كرد علي، **خطط الشام**، ج4، ص256.

بينما كانت أعدادهم خلال المواسم التجارية ترتفع؛ فمثلاً سنة 767هـ/ 1366م، كان في بيروت خمسة وأربعون تاجراً بندقياً[1]. كما وجد في بيروت تجار من بقية المدن الايطالية واسبانيا[2]، وأرمينيا وجورجيا استقروا بها بصفة دائمة [3]، وتركز تواجد الأقليات الأجنبية في مدينة بيروت نفسها .

2.1.4 السكان من الناحية الدينية :

1. أهل الذمة :

أ. اليهود :

كان اليهود يعيشون في الشام في مدن القدس وحلب وبيروت ودمشق، وينقسمون إلى ثلاث فرق : الربانيون والقراؤون والسامرة، ولكل فرقة رئيس يقوم على أمور الدين وتماثل وظيفته وظيفة البطرك عند النصارى، ثم يليه الخازن ومهمته الخطابة والوعظ والإرشاد، والشيلحصبور ويؤم اليهود في الصلاة [4].

ويكتنف المصادر المملوكية الغموض حول وجود اليهود في ولاية بيروت، فلم ترد لدينا إلاّ إشارة واحدة يستدل منها على وجود بعض اليهود في مدينة بيروت وقد

---

(1) مكرزل، بيار، "**التجار البنادقة في بيروت في العهد المملوكي**"، جريدة النهار اللبنانية، ع 23868، 7 تشرين الثاني 2009م، (وسيشار إليه تالياً: مكرزل، التجار البنادقة).

(2) فهمي، **طرق التجارة**، ص148؛ الوالي، **بيروت**، ص47.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص148.

(4) السيد، محمود، **تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية 1997، ص95 (وسيشار إليه تالياً: السيد، تاريخ عرب الشام)؛ لكل من الربانيين والقرائين توراة خاصة بهم، وينفرد الربانيون بشروح موضوعة لفرائض التوراة وتفريعات على التوراة نقلوها عن النبي موسى عليه السلام، ويصفون ما وقع من صفة الله في التوراة، ويذكرون لهم تأولاً في الصفات الربانية، أما القراءون فإنهم يقفون مع ظواهر نصوص التوراة ولا يزيدون عليها فيذكرون أفعال الله على ظواهرها ؛ وينكر كل من الربانين والقرائين أن تكون طائفة السامرة التي لها توراة مختلفة من طوائف اليهود، (السيد، **تاريخ عرب الشام**، ص95–96).

وردت هذه الإشارة في وصف الرحالة دي طرويا للتمازج السكاني في المدينة حيث ذكر (اليهودي الملتوي) من ضمن الفئات السكانية التي تعج بها مدينة بيروت تلـــك الفترة[1].

ويبدو أن اليهود في ولاية بيروت قد تعرّضـــوا للإجــراءات التـــي اتخـــذها سلاطين المماليك بحق أهل الذمة في مصر وبلاد الشام، حيث أصدر السلطان محمد بن قلاوون مرسوماً سنة 700هــ/1300م تضمّن أن يلبس اليهود العمائم الــصفراء في مختلف أجزاء الدولة المملوكية [2]، فيما عدا الكرك والشوبك [3].

ب. النصارى :

لم يرد ذكر للنصارى في قرى ولاية بيروت، واقتصر تواجدهم على المدينـــة فقط، وكان فتح المماليك لمدينة بيروت سنة 690 هــ/1291م قد أفرغها من سكانها النصارى، وبشكل عام فهي في الفترة التي تلت استعادتها لم تكن مرغوبة للـــسكن من جميع الطوائف. ولكن مع مرور الزمن جذبت الأقدام إليها، فأقام بهـــا بـــصورة

---

(1) لامنس، **الأخ غريفون وجبل لبنان في القرن الخامس عشر**، مجلة المشرق، ع1، الـــسنة الأولى، ص17 ؛ الوالي، **بيروت**، ص74.

(2) الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، ص206؛ الخرابشة، سليمان، **نيابة طـــرابلس فـــي العـــصر المملوكي**، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمـــان، 1985، ص136، (وسيـــشار إليـــه تاليـــاً: الخرابشة، نيابة طرابلس). محمد بن قلاوون: الـــسلطان الناصـــر (684- 741هــــ/ 1285- 1341م) ولي السلطنة سنة 693هــ/ 1294م وهو صبي، وخُلع منها لحداثتـــه سنة 694هــ/ 1295م فأرسل إلى الكرك، وأُعيد إلى السلطنة سنة 698هـــــ/ 1299م، وكانت سلطته أسمية والأعمال بيد الأمير بيبرس الجشنكير والأمير سلار حتى قرر سنة 708هــ/ 1308م ترك السلطنة والأقامة في الكرك، لكنه بعد أقل من عام وثـــب علـــى السلطنة وعاد إلى عرشه سنة 709هــ/ 1309م وأستمر حكمه 32 سنة حتى وفاته سنة 741هــ/ 1341م. أنظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الـــذهب، ج8، ص 233- 235؛ الزركلي، **الأعلام**، ج7، ص11.

(3) الجوارنة، أحمد، **تاريخ الأردن في العصر المملوكي**، مؤسسة آل البيت، عمان، 1999م.، ص81، (وسيشار إليه تالياً: الجوارنة، تاريخ الأردن).

شبه دائمة جماعة من التجار الأجانب النصارى، الذين منحتهم الدولة امتيازات إقامة كنائسهم الخاصة وحرية ممارسة طقوسهم الدينية، ومثال ذلك التجار القبارصة الذين سكنوا مدينة بيروت وسمحت لهم الدولة المملوكية بإقامة كنائسهم الخاصة [1]. كذلك التجار البنادقة الذين كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في كنيسة المخلص[2].

كان الرهبان يتولون أمور الأديرة ويشرفون عليها، وقد منحت الدولة المملوكية مناشير لرهبان القديس فرنسيس تخولهم حراسة الأراضي المقدسة والسكن في بلاد الشام ؛ ففتحوا أديرة في حلب ودمشق وعكا وصيدا، وبيروت وطرابلس[3]. وفي بيروت كان الرهبان الفرنسيسكان يقيمون في دير مجاور لكنيسة المخلص التي يقومون على خدمتها، كما أن السلطة المملوكية سمحت لتجار بيروت اللاتين بترميم كنيسة المخلص عندما طلبوا الأذن بذلك[4]. وقد أرتبط وجود الرهبان الفرنسيسكان في بيروت بعملية تنظيم نقل الحجاج النصارى على متن السفن التجارية التي كانت تؤمن الأتصال والتبادل التجاري بين الشرق والغرب، وقاموا بمهمة الأهتمام بالحجاج النصارى الذين كانوا يمرون في مدينة بيروت قبل توجههم إلى فلسطين[5]. ومن أسماء رهبان النصارى التي وصلت إلينا، فراجوان رئيس رهبان بيروت، الذي أرسله البطرك يوحنا الجاجي الماروني – رئيس دير ميفوق في نيابة طرابلس

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(2) مكرزل، "**التجار البنادقة**"، جريدة النهار، ع 23868، 7 تشرين الثاني 2009م.

(3) البستاني، لبنان **مباحث عليمة واجتماعية**، ج1، ص329؛ تأسست الرهبنة الفرنسيسكية في الشرق سنة 614هـ/1217م، وبعد قدوم القديس فرنسيس إلى القدس سنة 616-617هـ/1219-1220م أنتشر الرهبان الفرنسيسكان وأسسوا الأديرة في معظم مدن بلاد الشام، وبعد سيطرة المماليك على المنطقة هجر هؤلاء الرهبان أديرتهم ولم يسمح لهم بالعودة إليها إلا بعد عام 739هـ/1339م فعاد الرهبان الفرنسيسكان إلى بيروت وتولوا خدمة كنيسة المخلص.(مكرزل، بيار، "**الفرنسيسكان ودورهم في لبنان منذ القرن الثالث عشر**"، جريدة النهار اللبنانية، ع23628، 27 شباط 2009م)،(وسيشار إليه تالياً: مكرزل، الفرنسيسكان ودورهم في لبنان).

(4) الوالي، **بيروت**، ص46-47.

(5) مكرزل، **الفرنسيسكان ودورهم في لبنان**، جريدة النهار، ع23628، 27 شباط 2009م.

– إلى البابا اوجانيوس في روما[1]، والراهب الفرنسيسكي مرقس الفلورنسي رئيس دير بيروت، والراهب الفرنسيسكي فرنشيسكو سوريانو رئيس دير بيروت، والراهب بيار دي فرارا من دير الفرنسيسكان في بيروت الذي أصبح قاصداً رسولياً من قبل الكرسي البابوي لتنظيم العلاقات مع نصارى الشرق (الموارنة والسريان والملكيين) بالاضافة إلى الدروز[2].

اما بالنسبة للموارنة وتواجدهم في بيروت فهناك إشارة واحدة دلت على ذلك، فقد ذكر أحد الحجاج النصارى الذين زاروا دير الفرنسيسكان في سنة 885هـ/ 1480م أن الموارنة كانوا يشاركون الرهبان الفرنسيسكان في كنيسة المخلص، الطابق السفلي للموارنة والطابق العلوي للفرنسيسكان[3].

وكجزء من الدولة المملوكية، فإنه من المفترض أن يخضع النصارى في ولاية بيروت للإجراءات التي اتخذتها الدولة المملوكية بحق أهل الذمة في مصر وبلاد الشام، وتوجب على النصارى لبس العمائم الزرقاء تمييزاً لهم [4].

2. المسلمون :

أ. **الشيعة** : نتج عن الحملات التي قامت بها السلطة المملوكية على شيعة كسروان تشتت الشيعة في بلاد طرابلس والبقاع وبعلبك ومنطقة جزين، وهناك أعداد قليلة منهم توزعت على بلاد بيروت والشوف [5]. وقد اضطر أغلب الشيعة إلى اعتماد مبدأ التقية، والتظاهر بأنهم على مذهب أهل السنة والجماعة وهم بالباطن ملتزمين بمذهبهم[6]، وذلك يرجع إلى سياسة المماليك الذين تشددوا في التمسك بمذهب أهل السنة ولم يتساهلوا أبداً مع أصحاب المذاهب الأخرى من المسلمين

---

(1) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص17.

(2) مكرزل، **الفرنسيسكان ودورهم في لبنان**، جريدة النهار، ع23628، 27 شباط 2009م.

(3) مكرزل، **الفرنسيسكان ودورهم في لبنان**، جريدة النهار، ع23628، 27 شباط 2009م.

(4) الذهبي، **دول الإسلام**، ج2، ص206؛ الخرابشة، **نيابة طرابلس**، ص134.

(5) سبيتي، **الحياة الفكرية**، ص105.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص195.

لذلك فإنهم بذلوا قصارى جهدهم لتأكيد سيادة مـذهبهم والقـضاء علـى المـذاهب الأخرى التي كان ما يزال لها في الشام أتباع منتشرون في جبل لبنان وبعض المدن الساحلية كطرابلس وبيروت وصيدا [1].

ومن أجل القضاء على رواسب التشيّع اضطر المماليك إلى التهديد باسـتعمال القوة العسكرية [2]. وقد أورد القلقشندي رسالة تهدف إلى " منع أهل صيدا وبيروت وأعمالهما من اعتقاد الرافضة (الشيعة) وردعهم، والرجوع إلى السنة والجماعـة، واعتقاد مذهب أهل الحق، ومنع أكابرهم من العقود الفاسـدة والأنكحـة الباطلـة، والتعرّض إلى أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وأن لا يدعوا سـلوك أهل السنة الواضحة، ويمشوا في شرك أهل الشك والضلال، وأن كل مـن تظـاهر بشيء من بدعهم قوبل بأشد عذاب وأتم نكال، وليخمد نيـران بـدعمهم المدلهمـة، وليبادر إلى حسم فسادهم بكل همة، ..... وتطهير بواطنهم مـن رذالـة اعتقـادهم الباطل .... " [3]. وهذه الرسالة جاءت بعد أن انتشرت الأخبار بأن جماعة من أهل بيروت وصيدا انتحلوا مذهب الشيعة وأظهروه، وقد ورد فيها ما نصه " وقد بلغنـا أن جماعة من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا وضواحيها، وأعمالها المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كل من الجهتين وضياعها، وأصقاعها وبقاعهـا، وقد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرروه، وبثوه فـي العامـة ونشروه، واتخذوه ديناً يعتقدونه، وشرعاً يعتمدونه، وسـلكوا منهاجـه، وخاضـوا لجاجه، وأصّلوه وفرّعوه، وتديّنوا به وشرعوه، وحصّلوه وفـصّلوه، وبلّغـوه إلـى

(1) الوالي، طه، "**تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت**"، مجلة الفكر الإسلامي، ع12، السنة الأولى، 1970، ص42 (وسيشار إليه تالياً : الوالي، تاريخ المساجد) .

(2) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج13، ص19.

(3) **المصدر نفسه**، ج13، ص14؛ ذكر طه الوالي في الحاشية أن هذه الرسالة موجهـة مـن السلطان الأشرف شعبان إلى نائبة في طرابلس اشقتمر المارديني فـي سـنة 1364/764 م(الوالي، **تاريخ المساجد**، مجلة الفكر الإسلامي، ع12، 1970، ص42، هامش رقم (1)؛ بينما ذكر مصطفى سبيتي أن هذه الرسالة موجّهة من نائب دمشق إلى أهل صيدا وبيروت (سبيتي، **الحياة الفكرية**، ص96).

نفوس أتباعهم ووصّلوه، وعظّموا أحكامه، وقدموا حكامه وتمّموا تبجيله وإعظامه، ... " [1]. وكان من أفعالهم التي يقومون بها أنهم " يسبون خير الخلق بعد الأنبياء المرسلين (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)، ويستحلون دم أهل السنة من المسلمين، ويستبيحون نكاح المتعة ويرتكبونه، ويأكلون مال مخالفيهم وينتهبونه، ويجمعون بين الأختين في النكاح، ويتدينون بالكفر الصراح، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الخبيث ... " [2].

ويذكر صالح بن يحيى حصول فتنة مذهبية بين السنة والشيعة في بيروت، وأن الشيعة الذين اعتمدوا مبدأ التقية وأظهروا أتباعهم المذهب السني، ارتدوا وتحركوا في بيروت [3]. وهذه الحركة مرتبطة بالحركة الشيعية التي قامت في منطقة جزين سنة 783 هـ / 1383م، فقد ذكرنا أن بعض شيعة كسروان نزحوا إلى مناطق جزين والبقاع، فأصبحت جزين مركزاً هاماً للتجمع الشيعي المستتر بالمذهب الشافعي السني خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وبرز فيها عالم ديني هو شمس الدين محمد بن مكي الجزيني ؛ فعمل على قيادة الشيعة وإعادة المذهب ومحاربة المعتقدات والبدع التي سببها النزوح الشيعي إلى الجنوب، واضطر إلى محاربة الخارجين عن المذهب. كما حاولت الشيعة أن تحرك أتباعها في مختلف المناطق بزعامة جزين، ولكن أعداء الشيخ شمس الدين محمد بن مكي دسوا عليه وبلّغوا عنه نائب الشام بيدمر الخوارزمي، فاعتقل وسجن لمدة سنة [4]، وأثبت في حقه محضر عند قاضي بيروت يتضمن تشيعه، وسبّه للصحابة رضوان الله عليهم، وصدر الحكم بضرب عنقه وأعدم سنة 784هـ / 1383 م [5]. وقد فشلت الحركة الشيعية بسبب انصراف شيعة بيروت والسواحل إلى مذهب أهل

(1) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج13، ص18.

(2) **المصدر نفسه**، ج13، ص18-19.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص195 ؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص114؛ الوالي، **بيروت**، ص128 .

(4) مكي، **لبنان**، ص253.

(5) ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص134.

السنة، ووصفت الشيعة في السواحل بلقب (أهل السواحل المتسننين) [1].

وكان للشيعة في بيروت تعديات مخلة بالأمن، فقد ورد قيامهم بقتل أحد أعيان بيروت بزعامة رئيسهم المعروف بابن عقيل [2]. ورداً على ذلك سعى نائب دمشق بنفسه للقبض على ابن عقيل لكنه لم يتمكّن من ذلك [3]. وبعد فترة قصيرة توفي ابن عقيل وتمت مصادرة أمواله [4].

ب. الدروز: عاش الدروز في أنحاء متعددة من ولاية بيروت، وشكلوا نسبة لا يستهان بها من السكان، ومرد ذلك أن أُمراء الغرب آل بحتر التنوخيين اتبعوا المذهب الدرزي، ولأن أغلب قرى الغرب من ولاية بيروت هي من أملاك أُمراء الغرب الدروز ومناطق سكناهم، فقد انتشر بها المذهب الدرزي .

وكان تأثير سياسة المماليك وتشددها على أتباع المذاهب الأخرى واضحاً على دروز بيروت، فهم لم يظهروا مذهبهم ؛ وإنما أظهروا إتّباعهم للمذهب السني موالاةً للمماليك، فيما كانوا في الباطن متمسكين بمذهبهم [5]. ويتضح ذلك من وصف المؤرخ الدرزي صالح بن يحيى لأحد أُمراء الغرب ويدعى الأمير ناصر الدين الحسين بن تقي الدين، وقد ذكر بأن هذا الأمير كان متمسكاً بالكتاب والسنّة[6]، كما أن أُمراء الغرب قاموا ببناء المساجد ؛ فبنوا مسجداً في حارتهم بمدينة بيروت [7]، كذلك أقاموا مسجداً في قرية عبية [8].

وبالإضافة إلى آل بحتر فقد كان هنالك أسر تنوخية أخرى اتبعت المذهب

---

(1) مكي، **لبنان**، ص253-254.

(2) ابن حجي، **تاريخه**، ج1، ص177 ؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج3، ص586.

(3) ابن حجي، **تاريخه**، ج1، ص186.

(4) **المصدر نفسه**، ج2، ص771.

(5) بولياك، **الإقطاعية**، ص49-50؛ حتى، **لبنان**، ص406 .

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص202.

(7) **المصدر نفسه**، ص107 ؛ ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص699.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص108؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص36.

الدرزي، مثل بني أبي الجيش [1]، والأرسلانيين[2]، والرماطنة [3]، ويضاف إليها عائلات أخرى اتبعت المذهب الدرزي أمثال آل تلحوق[4].

ج. أهل السنة: المذهب السني هو المذهب الرسمي للدولة المملوكية ولا يوجد لدينا معلومات تشير إلى المناطق التي سكنها أهل السنة، وبما أن الجهة الجنوبية الغربية من ولاية بيروت مثّلت التركز الدرزي (قرى الغرب)، فإنه من المفترض أن تكون بقية مناطق ولاية بيروت قد شهدت تواجداً سنياً، إلاّ أنّه لا توجد إشارات تؤكد ذلك، يضاف إلى ذلك التركمان والأتراك والجراكسة أصحاب المذهب السني.

3.1.4 السكان من حيث نمط المعيشة:

بالنسبة لنمط المعيشة فقد غلب على ولاية بيروت الطابع الحضري، لأن سكانها يتوزعون على مدينة بيروت والقرى التابعة لها، ولم ترد أي إشارة تدل على وجود نمط الحياة البدوية، ونعلّل ذلك بأن طبيعة ولاية بيروت الجبلية والساحلية لا تتناسب وهذا النمط من المعيشة الذي يفضل أهله المناطق السهلية المفتوحة الملائمة لتربية الإبل والمواشي. مع أن أُمراء الغرب كانوا بالأساس بدواً، إلاّ أنّهم استقروا في القرى وعمّروها مع بقائهم متمسكين بالعادات والتقاليد البدوية، وفي إشارة للعشير في بيروت فإنها وردت أكثر من مرة مرتبطة بعشران البقاع وصيدا[5]. ووردت مرة واحدة بشكل صريح، حيث ورد أن الذي قتل شعث أحد رجالات آل الحمراء في مدينة القاهرة هو رجل من عشير بيروت [6]. وذكر بولياك أن آل

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص41.

(2) شبارو، **تاريخ بيروت**، ص94.

(3) بولياك، **الإقطاعية**، ص47؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص213.

(4) البستاني، **بيروت**، ج5، ص747؛ الوالي، **بيروت**، ص23.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص100، 218.

(6) المقريزي، **السلوك**، ج7، ص122.

الحمراء من سكان بيروت كانوا أنصاف بدو (عشير) [1].

4.1.4 آل بحتر التنوخيون (أُمراء الغرب في ولاية بيروت):

سكن آل بحتر عدة قرى عرفت بقرى الغرب، وكما مرّ بنا فمنطقة الغرب هي المنطقة التي تقع على السفح الغربي لسلسلة جبال لبنان الغربية من جهة ولاية بيروت. وتحديداً السفح الواقع بين مدينة بيروت ونهر الدامور. وأطلق على سكانها آل بحتر التنوخيين لقب أُمراء الغرب، وهم أصحاب الزعامة في ولاية بيروت طيلة العهد المملوكي، وقد طبق عليهم النظام العسكري المملوكي، فأصبح عليهم حماية بعض سواحل ولاية بيروت، وتخصيص عدد من الرجال لأجل ذلك (درك) مقابل ما بأيديهم من إقطاعات .

يعد المؤلَف الذي وضعه المؤرخ البيروتي صالح بن يحيى البحتري التنوخي، أهم المصادر التي تؤرخ لآل بحتر التنوخيين، ويتحدث فيه عن أخبار أسلافه ومعاصريه من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت. وتشير المصادر الأخرى إلى هذه العائلة باسم آل بحتر أو التنوخيين. ويذكر صالح بن يحيى نسبهم ابتداءً من الأمير بحتر بن علي جد البحتريين فيقول :" هو الأمير ناهض الدولة أبو العشائر بحتر بن شرف الدولة علي بن الحسين بن أبي اسحق إبراهيم بن أبي عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن عيسى بن جميهر بن تنوخ بن قطحان بن عوف بن كنده بن جندب بن مدحج بن سعد بن طي بن تميم بن النعمان بن ماء السماء، ......، هذا ما وجدناه متداولاً بين الخلف عن السلف بخط ناصر الدين الحسين بن سعد الدين خضر " [2].

أمّا بالنسبة لبداية سكنهم في منطقة الغرب، فيفهم من صالح بن يحيى أنهم قبل قدومهم إلى منطقة الغرب كانوا يسكنون بلدة البيرة بين حلب والثغور الرومية، فيذكر أن أبا اسحق إبراهيم بن عبدالله جد والد الأمير بحتر كان أميراً بالبيرة سنة

---

(1) بولياك، **الإقطاعية**، ص49؛ .Tarawneh, **The Province Of Damascus**, P:90.

(2) صالح بني يحيى، **تاريخ بيروت**، ص39.

418 هـ/ 1027م[1]، ولا يذكر تاريخ قدومهم إلى منطقة الغرب، ولكنه يـذكر أن بحتراً كان أميراً على منطقة الغرب في سنة 542 هـ/ 1147م عندما أصدر أتابك دمشق مجير الدين آبق منشوراً باسم بحتر يقرّه بموجبه على الإمارة فـي مقاطعـة الغرب ويقطعه عدداً من القرى [2]، وأن هذه القرى كانت إقطاعاً لوالده من قبله [3]. وعلى هذا وبما أن جد والده كان أميراً بالبيرة، وأن إقطاع الأمير بحتر مـن قـرى الغرب كان لوالده من قبله مما يعني تواجدهم في المنطقة على زمن والـده؛ فإننـا نرجّح قدوم البحتريين لمنطقة الغرب، أما على زمن جده الحسين بن أبـي اسـحق الذي لم تذكر عنه المصادر شيئاً، أو في بداية عهد والده علي بن الحسين .

ويذكر الصفدي أن كرامة بن بحتر هو أول من سمي بأمير الغرب، حيث إنـه سافر إلى نور الدين زنكي فأقطع الغرب لكرامة وما معـه بآمريـة فـسمي أميـر الغرب، وذكر أنه تحضر بعد البداوة وسكن حصن سرحمور [4]. وورد عند صالح بن يحيى أن كرامة هاجر إلى نور الدين زنكي، إلاّ أنه لم يذكر أن كرامة هـو أول من سمي بأمير الغرب، لكنه ذكر أن نور الدين زنكي أعطاه أقطاعاً بعدة أربعـين فارساً وما أمكنه عند الحاجة [5].

عاصر أُمراء الغرب البحتريون الدول التي تعاقبت على حكم المنطقـة مـن السلاجقة والزنكيين والأيوبيين ثم المماليك، وشاركوا في محاربة الوجود الـصليبي في بلاد الشام [6]. وتعدوا ذلك إلى مشاركتهم في صد غارات الفرنجة على الساحل

(1) صالح بني يحيى، **تاريخ بيروت**، ص41.

(2) صالح بني يحيى، **تاريخ بيروت**، ص40؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص194؛ أبـو صـالح، **تاريخ الموحدين الـدروز**، ص103؛ Tarawneh, **The Province Of Damascus,** P:78.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص40.

(4) الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص338.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص43.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص40–72؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص194–205؛ أبـو صالح، **تاريخ الموحدين الدروز**، ص103–114.

الشامي، ومساهمتهم في فتح جزيرة قبرص، كذلك كان لهم مشاركة فاعله في ما يعتري الدولة المملوكية من أحداث داخلية [1]. ولم تكن العلاقة بين أُمراء الغرب وأُمراء المماليك على وتيرة واحدة، ففي حين نجد أن علاقاتهم سيئة مع أعيان السلطة المملوكية [2]. وفي أحيان أخرى نجد لهم حظوة ظاهرة عند النواب والأعيان [3]، كما أن ولاة بيروت المماليك كانوا يشاركون أُمراء الغرب في مناسباتهم ؛ فقد حضر والي بيروت حفلة زواج لأحفاد الأمير ناصر الدين الحسين[4]. ونجد أحياناً أن بعض أُمراء الغرب يعينون ولاة على بيروت، كالأمير جمال الدين حجي[5]، والأمير عز الدين صدقه [6]، وهم بذلك عوملوا معاملة العناصر المملوكية؛ فمن المعروف أن وظيفة الوالي هي من الوظائف العسكرية التي لم يكن يسمح لغير المماليك بتوليها لكن المماليك ومنذ بداية عهدهم طبقوا على أُمراء الغرب نظام الإقطاع العسكري، وفرض عليهم عدد محدد من الجنود مقابل ما بأيديهم من إقطاعات، وعوملوا نفس معاملة أجناد الحلقة، ومنح أُمراؤهم رتباً عسكرية .

واجه البحتريون أيضاً منافسة داخلية من قبل بعض العشائر المجاورة لهم في ولاية بيروت؛ كبني أبي الجيش في بلدة عرامون [7]، وآل الحمرا في بيروت [8]، بالإضافة إلى التركمان الذين سعوا للحصول على أقطاع أمراء الغرب، حيث استعدوا بتقديم ألف فارس للمشاركة في فتح جزيرة قبرص مقابل الحصول على

---

(1) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص179.

(3) **المصدر نفسه**، ص180.

(4) **المصدر نفسه**، ص187.

(5) ابو عزالدين، **الدروز**، ص222؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص158.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص248؛ ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص797؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص41.

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص63-75

(8) **المصدر نفسه**، ص248.

أقطاع أُمراء الغرب، إلاّ أن هذا المسعى باء بالفشل [1]. كذلك الغارات التي قام بها أولاد الأعمى التركمان على منطقة الغرب، ومحاولاتهم القضاء على النفوذ البحتري[2].

أتبع البحترويين المذهب الدرزي الذي وصل إليهم في عهد أبي الفوارس معضاد الأرسلاني بعد سنة 411 هـ/ 1020م [3]. وخلال العهد المملوكي لم يظهر آل بحتر الدروز مذهبهم بسبب سياسة المماليك في أحياء المذهب السني ومحاربة جميع المذاهب الأخرى، بل تظاهر البحرتيون بإتباعهم المذهب السني [4]، وقام بعضهم ببناء المساجد [5].

أمّا بالنسبة للعادات الاجتماعية فيظهر أن البحتريين بطبيعة مذهبهم الدرزي لم يصاهروا أتباع المذاهب الأخرى، فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، وذلك واضح في قول صالح بن يحيى عن الأمير بهاء الدين داود بن علم الدين سليمان بأنه " قد خالف سنّة البيت في الزواج لأقاربهم وبنات ألزامهم ذوي الأصول وتزوج امرأة مجهولة الأصل .... من بنات الأتراك " [6].

كان للأمراء البحتريين دور في إبطال الظلم عن أهالي بيروت وإبطال الضرائب المفروضة عليهم [7]. كما كانوا يوزعون الكسوة على أقاربهم ؛ فالأمير ناصر الدين الحسين كان يوزع الكسوة على أقاربه [8]، كما تولّى بعضهم نيابة

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص179.

(2) المصدر نفسه، ص214-215.

(3)ابو عزالدين، **الدروز**، ص190.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص202، بولياك ،**الإقطاعية**، ص49-50، حتى، **لبنان**، ص406.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107-108، ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص699، الشدياق، **أخبار الأعيان**،ج2، ص36.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص175.

(7) **المصدر نفسه**، ص178.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص158.

القضاء في الغرب بشكل وراثي ؛ فالقاضي بهاء الدين صدقه بن عماد الدين البيصوري كان يتولى نيابة القضاء في الغرب على قاعدة أبيه وجده، وتولاّها من بعده ابنه علاء الدين علي على طريقة أبيه [1]، وهنا لا نعلم إن كان للمجتمع البحتري الدرزي قضاته الخاصين لأننا نجد أن هؤلاء القضاة توارثوا القضاء في الغرب وفق طريقة معينة اتبعوها .

على كل حال فقد كانت الإمارة البحترية تتمتع بحكم ذاتي يحكمها أمراؤها بالوراثة وينفق دخلها في مصالحها ويحمل إلى ديوان الشام قدر قليل منه[2]. وقد ألزم أمراء الغرب بسكن بيروت حتى يكونوا قريبين منها في حال تعرضها لغارات الفرنج[3]. وكان لهم فيها أملاك وسلع من زيت وصابون وأقمشة [4]. كما عمل بعضهم بالتجارة حتى أن أحدهم سمي تاجر البيت[5]، لكن الإمارة بشكل عام وبحكم تمركزها في قرى الغرب فقد مثلت مجتمعا ريفيا عماده الزراعة[6].

وصف كثير من أمراء الغرب بالورع والتقوى؛ واشتهر منهم جمال الدين عبدالله التنوخي الذي لقبه الدروز بالأمير أو السيد[7]. وكان واسع العلم والمعرفة فجمع شروحات وتفسير القرآن الكريم وكتب اللغة العربية، وسير الملوك وأخبار الأنبياء، وكتب التواريخ ودواوين الشعراء، وكُتب علم الفقه على المذاهب وكُتب النحو[8]. وعند وفاته أقيم له مقام خاص ما زال الدروز يزورونه إلى يومنا هذا[9].

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص223.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص85، وحاشية للمؤلف، ابو عزالدين، **الدروز**، ص222.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص153.

(4) **المصدر نفسه**، ص214.

(5) **المصدر نفسه**، ص158، والذي سمي تاجر البيت هو حسام الدين عبد القاهر بن شهاب الدين أحمد بن جمال الدين حجي .

(6)ابو عزالدين، **الدروز**، ص223.

(7) **المرجع نفسه**، ص228.

(8) سبيتي، **الحياة الفكرية**، ص240.

(9) **المرجع نفسه**، 249.

هذا وقد برع كثير من الأمراء في الحرف مثل الصياغة والنجارة الدقيقة والحفر على الخشب والتطعيم، واشتهر كثير منهم بجودة الخط وتفننوا فيه[1]. كما مارس أميران منهم الطب وإعداد الأدوية والدهون [2]. وذكرت نجلاء أبو عز الدين أن الأمير ناصر الدين الحسين هو الأمير البحتري الوحيد الذي يشار إليه في التواريخ العامة[3].

2.4 الحياة الثقافية في ولاية بيروت:

1.2.4 دور العلم:

1- المدارس:

لم يكن المماليك على شيء من العلم والثقافة بسبب اهتمامهم بالناحية العسكرية، فسعوا لتعويض ضعفهم الثقافي بتشجيع العمران وإنشاء المدارس الدينية والجوامع وحددوا لها أوقافاً للإنفاق عليها [4]. فكانت هذه الأوقاف بمثابة قوة محركة لزيادة النشاط التعليمي الديني والدنيوي، فأدى ذلك إلى تزايد مضطرد في إنشاء المساجد والمدارس والأربطة والخانقاوات والزوايا لممارسة مختلف النشاطات العلمية والتعليمية[5]. وفي بلاد الشام كانت المدارس موجودة في المدن الكبرى التي ينزل بها الملوك والأمراء والأغنياء، فيما كانت المعلومات عن المدارس وخططها ضئيلة في بقية المدن الشامية، كما أنه من الصعب إقامة المدارس في القرى [6].

وبالنسبة لولاية بيروت فلم نجد أي ذكر لأي مدرسة خلال العهد المملوكي،

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، 173،175،184،185،190،191،205،206،211.

(2) **المصدر نفسه**، ص184، 223.

(3) ابو عزالدين، **الدروز**، ص227.

(4) مكي، **لبنان**، ص271.

(5) الجوارنة، **تاريخ الأردن**، ص40.

(6) كرد علي، **خطط الشام**، ج6، ص130-131.

سوى الإشارة لزاوية الحمرا باسم مدرسة الحمرا [1]؛ وذلك لأن الزوايا كانت تقوم بوظيفة تعليمية معينة .

وفيما يخص التعليم عند أمراء الغرب، فقد كان الأمراء في صغرهم يتلقون العلم من شيوخ ومدرسين خصوصيين وليس لدينا معلومات فيما إذا كان أبناء العامة يشتركون معهم في الدراسة، ولكن في ضوء تشديد المذهب الدرزي على واجب تعليم القراءة للغير فمن المرجح أن التقوى كانت تعني إشراك الآخرين في تلقي العلم[2].

كان التعليم عند أمراء الغرب بسيطا يتألف من علم النحو والصرف وعلم البيان والحساب والمنطق، وكان التاريخ أحب مادة عندهم بعد الشعر. ونظم الكثيرون منهم الشعر، وكان المؤرخ صالح بن يحيى مغرما بالعلوم وخاصة علم الفلك، ولديه العديد من الكتب التاريخية ودواوين الشعر كما أن الأمير ناصر الدين الحسين كان مغرماً بالكتب [3]، وغير معروف لدينا إن كان أمراء الغرب يتلقون تعليمهم هذا في مكان مخصص أو في بيوتهم لعدم توضيح المصادر لهذا الجانب باستثناء أنهم كانوا يتلقون التعليم في صغرهم على يد مدرسين خصوصيين.

2. المساجد:

بالمقارنة مع إنجازات المماليك ومساجدهم التي بنوها وتحديدا في مدينة طرابلس، فإنهم لم يبنوا في بيروت إلا عدداً قليلا من المساجد العادية، وحتى هذه المساجد فإنها في الواقع لم تكن من بناء المماليك أنفسهم، وإنما هي من العمائر التي شادها حكام بيروت المحليون وغيرهم من أعيان بيروت [4].

ومن مساجد بيروت في العهد المملوكي جامع فتوح الإسلام [5]، والجامع

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص106.

(2) ابو عزالدين، **الدروز**، ص226.

(3) **المرجع نفسه**، ص226.

(4) الوالي، **المساجد**، مجلة الفكر الإسلامي، ع12، 1970 م، ص45-46.

(5) الوالي، **بيروت**، ص176.

الذي أقامه أمراء الغرب في حارتهم [1]، ومسجد آل الحمـــرا [2]، وجـــامع شـــمس الدين[3]، وغيرها من المساجد التي يشار لها أحيانا باسم الزوايا. أما في القرى فقــد ورد لدينا المسجد الذي قام ببنائه أمراء الغرب في بلدة عبية [4]، والمسجد الذي أقيم على ضريح الإمام الأوزاعي في قرية حنتوس[5]. وهذه المـــساجد لا تعتبـــر شـــيئا مذكورا بالنسبة لما عرف عن المماليك من تحمسهم للإسلام وبناء العمائر الدينيـــة. ويعلّل طه الوالي ذلك بأن مدينة بيروت لم تكن في أيام المماليك تحتاج إلى أكثر من هذا العدد المحدود بالنسبة لعدد سكانها المسلمين الذين لا يبلغون خمسة آلاف نسمة، بالإضافة إلى أن المدينة كانت بلدة ثانوية ليس لها أي قيمة إداريـــة أو سياســـية أو عسكرية في ذلك الحين[6].

ولا بد من الإشارة إلى أن الدروز بإتّباعهم مبدأ التقية وإظهارهم المبدأ السني فقد برز منهم شخصيات دينية أمثال: السيد جمال الدين التنوخي الذي دعا إلى إقامة المساجد وخطبة صلاة الجمعة، وإبراز الدور التعليمي للمسجد من خلال الحث على تعليم الأولاد وخاصة الأيتام منهم [7].

كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن المماليك استفادوا من المساجد فـــي مجـــال آخر، حيث كانوا يضعون المراسيم الصادرة عن السلطة على مداخل المساجد ليطلع عليها المصلين ويقرؤها غالبية السكان [8].

وأخيرا فإنّ الدراسات التي تناولت مساجد بيروت أشـــارت إلـــى عمليـــات الإعمار والتحديث التي يقوم بها بعض الأمراء والأعيان، ويتم توثيق بعـــضها مـــن

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص107، شبارو، **بيروت**، ص110.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص106، الوالي، **بيروت**، ص23.

(3) الوالي، **بيروت**، ص177.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص108، الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص36.

(5) الوالي، **بيروت**، ص168.

(6) الوالي، **المساجد**، مجلة الفكر الإسلامي، ع12، 1970 م، ص46

(7) ابو عزالدين، **الدروز**، ص230؛ سبيتي، **الحياة الفكرية**، ص241.

(8) لمعي، **مساجد بيروت**، ص23-26.

خلال النقوش على الألواح والعتبات والأعمدة لتبين تاريخ الإعمار والشخص الذي قام به [1]، مما كان له أثر في استمرار هذه المساجد بالقيام بدورها الديني والتعليمي.

3. الخوانق والزوايا:

من المنشآت الدينية التي كانت تقوم بدور التعليم التكية أو الزاوية الصوفية وتعرف أيضاً بالرباط والخانقاه، وكانت بمثابة مركز اجتماعي عام لأصحاب الطرق الصوفية ومدرسة تدرس فيها تعاليم الطريقة الصوفية وأنظمتها [2].

اختلط اسم الزاوية بالمسجد لقيامها بدور ديني وتعليمي بالوقت ذاته، ومن الزوايا التي وجدت في زمن المماليك :

1. مسجد(زاوية) البدوي وهو يحمل اسم أحمد البدوي مؤسس الطريقة البدوية، ويرجع تاريخ بناء هذا المسجد إلى سنة 743هـ/ 1342م، وكانت عليه نقيشة كتب عليها أن الذي بناه هو الأمير عز الدين بن أزدم بن عبد الله الخوارزمي الناصري والي بيروت .
2. زاوية المغاربة، وهذه الزاوية قديمة العهد ليس فيها ما يدل على زمن بنائها ومن المرجَّح أنها ترجع إلى سنة 793هـ/1391م، ويقال أن بانيها رجل اسمه الشيخ محمد المغربي .
3. زاوية المجذوب وبنيت حوالي سنة 745هـ/ 1344م وهي من أعمال الشيخ أحمد ابن الحاج مختار الملقب بالمجذوب وأصله من المغرب .

---

(1) **المرجع نفسه**، ص22-23.

(2) Ziadeh, **Damascus**, p 57- 58, 84؛ حتي، **لبنان**، ص420، جيده، أحمد، **المدارس ونظام التعليم في لبنان في العصر المملوكي (648- 923هـ/ 1250- 1517م)**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2001م، ص118- 119،(وسيشار إليه تالياً: جيده، المدارس)، التصوف يعني العكوف على العبادة والزهد فيما يقبل عليه الناس من متاع الدنيا، وهي إما مأخوذة من لباسهم المصنوع من الصوف، أو من الصفاء وهو صفاء النفس.(جيده، **المدارس**، ص118).

4. زاوية رأس بيروت، وهي نفسها زاوية (مسجد) آل الحمر وينسب بناؤها لبني الحمرا البقاعيين سنة 810هـ/ 1407م.

5. زاوية الراعي، يُنسب بناء هذه الزاوية إلى رجل صالح يدعى الشيخ حسن الراعي [1].

ولأن بيروت هي رباط أهل الشام فقد تواجد فيها عدد من المرابطين: أمثال الشيخ شمس الدين بن قديدار الذي أقام في بيروت زاوية جمع فيها السلاح [2]، والشيخ شمس الدين القونوي الذي بنى برجاً على ساحل بيروت [3]، وتقي الدين بن قاضي عجلون الذي أقام برجا في بيروت وسعى لتامين السلاح والأموال للمرابطين فيه [4].

4. المزارات والمقامات:

كان للترب دور ثقافي وتعليمي فعادة ما تحتوي كل تربة على دور للقرآن وللحديث وفيها العالم والمتعلم [5]، ووجد في ولاية بيروت مقامان يزورهما الناس إلى وقتنا الحالي وهما:

أ- **مقام الإمام الاوزاعي** : ينسب هذا المقام للإمام عبد الرحمن الأوزاعي أحد كبار العلماء المسلمين في العهدين الأموي والعباسي والمتوفى سنة 157هـ/774م، ويقع هذا المقام في قرية حنتوس جنوب بيروت على مسافة قريبة منها، وكان الأوزاعي قد اتخذ من

---

(1) الوالي، **بيروت**، ص178-179.

(2) ابن حجر، **إنباء الغُمر**، ج8، ص294؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج3، ص436؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج7، ص217.

(3) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب** ، ج6، ص305.

(4) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص305؛ تدمري، **الرباط**، مجلة الفكر الإسلامي، ع11، ص89.

(5) جيده، **المدارس**، ص75.

مدينة بيروت رباطا له فأقام بها حتى وفاتـــه [1]. وأثنـــاء خـــضوع بيروت للحكم الصليبي عملوا على تغيير معالمها وهدم بعضها، ولـــم ينج من التهديم سوى مقام الإمام الأوزاعي [2]، ولا يزال قائما حتـــى يومنا هذا [3].

ب- **مقام الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنـــوخي :** يـــدعوه الـــدروز الأمير السيد أو فقط السيد ويرفقون اسمه بدعاء (قدس الله سره). ولد في ربيع الأول سنة 820هــ/ 1417م وتوفي في جمادى الآخرة سنة 884هــ/ 1479م[4]، اوجد هذا الأمير حركة علمية ودينية في الوسط الدرزي[5]، ومركزه في بلدة عبيه، وفيها يوجد ضريحه الذي يعتبـــر مزاراً للدروز حتى اليوم [6].

2.2.4 وضع النشاط العلمي في مدينة بيروت :

لم تكن المعلومات التي وصلت إلينا كافية لتغطية النشاط العلمـــي فـــي كامـــل أرجاء ولاية بيروت، فالمدينة وجزء كبير من قراها تفتقر للحـــديث عـــن الجانـــب التعليمي، بينما ازدهر النشاط العلمي عند أمراء الغرب الذين كانوا على ثقافة عالية. ومن الأمثلة على ذلك أنه أثناء محاصرة الناصر أحمد في الكرك وقد شارك أمـــراء الغرب في هذا الحصار- كما مر بنا سابقاً- فقد وصل للأمير ناصر الدين الحـــسين سهمٌ نصلُة من فضة مكفوت بالذهب أطلق من جهة الناصر أحمد مكتوب عليه بيتان من الشعر، والمراد أن الناصر أحمد هو صاحب هذين البيتين، ولكن الأمير ناصـــر الدين الحسين علّق على ذلك بأن هذين البيتين هما للخليفة العباسي الأمين بن هارون

---

(1) الوالي، **بيروت**، ص167-168.

(2) مكي، **لبنان**، ص208.

(3) زيادة، **مدن عربية**، ص، 167؛ الوالي، **بيروت**، ص168.

(4) ابو عزالدين، **الدروز**، ص228.

(5) مكي، **لبنان**، ص272، ابو عزالدين، **الدروز**، ص228-238.

(6) مكي، **لبنان**، ص272؛ جيدة، **المدارس**، ص75.

الرشيد عندما حاصره جيش أخيه المأمون في بغداد، فقد صنع الأمين نصول الأسهم من الذهب الخالص ونقش عليها هذين البيتين [1].

اشتهر من البيت البحتري عدد كبير ممن برعوا في الشعر والكتابة والطب وصناعة الأدوية، كما استقطب بلاطهم الأدباء والشعراء، منهم الشاعر محمد الغزي وله قصائد في مدحهم [2]، كذلك الشاعر إبراهيم بن إسماعيل الحسيني صاحب كتاب "رياض الجنان وروضة الجنّان"، وشرف الدين يعقوب بن عبد الحق الذي كتب لناصر الدين "مرآة الزمان والذيل عليها"، وعدة كتب مجموعها يزيد عن ثلاثين مجلدا ذات حجم كبير، والشاعر محمد بن جواد وله في الأمير ناصر الدين مديح كثير. والشاعر سلمان بن يمن، والشاعر أحمد التونسي المغربي [3]، والشاعر أحمد بن يعيش الحلبي، والشاعر أحمد الشامي، والشاعر شمس الدين محمد بن الجزري[4]، والشاعر شمس الدين محمد بن الصائغ، وله ديوان شعر في مجلدين وكان سكن قرية بوردين [5]، وهناك أيضاً أطباء تواجدوا في بلاط الأمير ناصر الدين الحسين منهم الطبيب شهاب الدين أحمد بن الصلاح البعلبكي الذي وضع كتاباً في حفظ الصحة أسماه " تعديل الأسباب الضرورية " [6]، كما عُرف في بيروت بعض الشيوخ والأولياء الذين يقيمون بها ويقرأون الحديث أمثال شمس الدين محمد

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص، 102 والبيتان هما:

ومن جودنا نرمي العداة بأسهم   من الذهب الابريز صيغت نصولها

يداوي بها المجروح منها جراحه   ويشري بها الأكفان منها قتيلها

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص83، 184، والشاعر محمد الغزي :هو شمس الدين محمد بن علي المعروف بابن أبي طرطور الشاعر الناثر، مصري المولد غزي المنشأ، وكان يتردد كثيرا إلى السواحل والثغور، (صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص184).

(3) **المصدر نفسه**، ص131، 92، 126، 128 .

(4) **المصدر نفسه**، ص129، 184، 196-197.

(5) ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص900.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص83، زياده، **مدن عربية**، ص171.

بن بادي الطيبي الذي توفي في بيروت سنة 756 هـ/ 1355م [1].

كان لتشجيع الأمير ناصر الدين الحسين الذي عرف عنه حبّه للعلم والمعرفة وجمع الكتب أثر واضح انعكس على البيت البحتري؛ فظهر منهم من برع في الشعر والبلاغة ومعرفة العلوم وإتقان الصنائع [2]، والتجويد والنحو والنثر والجبر والمقابلة والحساب [3]. وتفنّن أُمراء الغرب في الكتابة فمنهم من برع في خط الرقعة والثلث[4]، وخط النسخ [5]، وتعلموا ذلك من شيوخ بارزين؛ فالأمير عز الدين جواد بن علم الدين سليمان تعلم الكتابة وأتقنها على يد الشيخ بهاء الدين محمود بن محمد خطيب بعلبك شيخ البلاد الشامية، وأتقن كتابة المنسوب بقلم الطومار؛ وبلغت مهارته في فن الكتابة أنه كتب آية الكرسي على حبة أرز، كما كتب مصحف صغير لم يسبقه إليه أحد في الخفة واللطف [6]، كما قام الأمير علم الدين سليمان بن شهاب الدين أحمد فيما بعد بكتابة مصحف صغير بقلم الحواشي[7]؛ وتعلم الأمير فخر الدين عثمان بن سيف الدين يحيى الجبر والمقابلة والحساب على يد نجم الدين كاتب المينا في بيروت[8].

ومن أُمراء الغرب من هو حافظ للقرآن الكريم [9]؛ ومنهم من ينظم الشعر

---

(1) الصفدي، **أعيان العصر**، ج2، ص452، ابن حجر، **الدرر**، ج1، ص478.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص132، 147، 148، 172، 173، 175، 190، 204، 212، الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص302، زيادة، **مدن عربية**، ص172، البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج2، ص564.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص211، 212، الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص40، 42.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص147-148، 172، 218.

(5) **المصدر نفسه**، ص172، ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص805.

(6) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص173، الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص36.

(7) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص205.

(8) **المصدر نفسه**، ص212.

(9) **المصدر نفسه**، ص151، الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص302، ابو عزالدين، **الدروز**، ص225

في المواضيع الدينية ويحث على الزهد والورع [1]، وقد لقب الأمير جمال الدين حجي بن شهاب الدين أحمد بشاعر البيت لمعرفته وفصاحته وقوة قريحته في نظم الشعر[2]، كما برع أميران من أُمراء الغرب في الطب وصناعة الأدوية وهما : الأمير زين الدين صالح بن الأمير ناصر الدين الحسين، والأمير بهاء الدين صدقة بن عماد الدين حسن[3].

ومن الناحية التاريخية فقد برز في تلك الفترة مؤرخان هما: صالح بن يحيى الذي وضع كتاباً تناول فيه نسب آل بحتر وإنجازاتهم، وحمزة بن أحمد بن سباط من بلدة عالية الذي وضع كتاباً بعنوان " صدق الأخبار " وعرف بتاريخ ابن سباط؛ تناول فيه ما جاء عند صالح بن يحيى وأضاف إليه بعض الأحداث التي أعقبت وفاة صالح بن يحيى؛ فجاء كتابه مكملاً لما وضعه صالح [4].

ومن أعيان الدروز الذين اشتهروا وأسسوا للعقيدة الدرزية الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، الذي حفظ القرآن الكريم وجمع شروحه وتفاسيره، وكُتب اللغة العربيّة وسير الملوك وأخبار الأنبياء، وكُتب التواريخ ودواوين الشعراء، وكُتب علم الفقه على المذاهب، وكُتب النحو، كان له كرامات وأسرارٌ، وفي عهده أصبحت قرية عبيه التي يقطنها قبلة للطلاب، حتى أصبح له تلاميذ نسبوا إليه فأطلق عليهم اسم " جماعة الأمير السيد ". وأمر الأمير السيد ببناء المساجد في القرى وبتجديد الجوامع وأنشأ الأوقاف، وبعث الفقهاء يقيمون خطبة الجمعة في كل قرية، ويعلمون الأطفال، وكان يدفع من ماله الخاص أجر تعليم الأيتام، ونهى عن المسكرات وحرم عصرها وطبخها ونقلها وبيعها. وكان الأمير السيد يقتدي في كثير من شؤونه بالأمام عبد الرحمن الأوزاعي، وعرف عنه زهده رغم غناه ؛ وتجنب الاتصال بالحكام والجباة ومن يتصل بهم، رحل إلى مدينة دمشق ثم عاد إلى عبية واشترط أن

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص152-153.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص159.

(3) **المصدر نفسه**، ص184، 223.

(4) حتى، **لبنان**، ص424، البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، ج2، ص563، سبيتي، **الحياة الفكرية**، ص235-236.

يتعلم الجميع القرآن ويحفظوه وأن تتعلم البنات الكتابة والقراءة، وحث على تعليم المرأة العلوم الدينية وتعريفها بحقوقها وواجباتها[1]، وترك الأمير السيد مجموعة من المؤلفات هي [2]:

1. كتاب ترياق الذنوب ودواء العيوب : ويتضمن قصصاً وحكايات عن بعض الزهاد، ومواعظ وأشعار .
2. كتاب سياسة الأخبار : تحدث فيه الكاتب عن التوبة وشروطها، وقبول سائس المسجد للتائب وواجبات السائس نحوه، وواجبات المريد نحو نفسه ونحو إخوانه وسائسه .
3. كتاب تشريع زواج الموحدين والموحدات وطلاقهم .
4. كتاب الدرر والجواهر .
5. مسالك المريدين : جعله مؤلفه في خمسة أقسام هي : معرفة النفس وتهذيبها، الجسم وجوارحه السبع، المال، الولد، ما يملك الإنسان .
6. كتاب سبل الخيرات : وهو يتحدث عن أركان الإسلام الخمسة وشروطها، والجوارح السبع وعمل كل جارحه، والتوبة ومقوماتها، والدنيا وأحوالها، والآخرة وأعمالها، والمسالك القويمة التي يجب على العاقل الفاضل أن يسلكها بإخلاص وصفاء سريه، وعقل نيّر بالعلم والمعرفة، وشفافية روح، وصدق في القول والفعل .
7. سفينة اللغة : وهو معجم لغوي، وضعه السيد لإخوانه الموحدين ليرجعوا إليه عند طلبهم كلمة يصعب عليهم معناها .
8. مجموعة رسائل : كتبها إلى تلاميذه وأصدقائه ومريديه، مبدياً إحساسه وشعوره، وحبه وإخلاصه، وعطفه ونصحه وإرشاده، ويأسه وآلامه النفسية تجاه تلاميذه المخلصين، وأصدقائه ومحبيه، وتجاه نفسه في ثوب من الحكمة

---

(1) أبو عزالدين، **الدروز**، ص228–238، سبيتي ،**الحياة الفكرية**، ص237–243.

(2) سبيتي ،**الحياة الفكرية**، ص248–249.

والتعبير السلس، وأناقة الأسلوب .

9. مجموعة من الأدعية .

10. مجموعة شرعية إرشادية توجيهية أخلاقية .

3.4 الاحتفالات والأعياد في ولاية بيروت :

تُعطي الرحلة التي قام بها الفرنسي دي لابروكيير سنة 1432 م إلى بلاد الشرق ضوءاً على حياة البيروتيين وتكشف أوضاعهم الاجتماعية، وهو يقدم لنا وصفاً لاحتفالهم بأحد الأعياد قائلاُ " رأيت المسلمين يحتفلون بعيدهم على طريقتهم التقليدية بدأ الاحتفال مساءً عند الغروب فأخذت جماعاتهم تسير هنا وهناك فرحة بالعيد، تهزج بالأناشيد، وأخذت مدافع القلعة تطلق قذائفها، وأخذ الناس يطلقون عالياً في الفضاء صواريخ يفوق حجم الواحد منها حجم أكبر فانوس عرفته، وقد أخبرت أنهم يستعملونها أيضاً لإشعال النار في أشرعة سفن أعدائهم وهي في عرض البحر "[1].

---

(1) دي لابروكيير، برتراندون ، **رحلته إلى فلسطين ولبنان وسورية (1432م)**، ترجمة محمود زايد، مكتبة محمود علي الغول، ص315،(وسيشار إليه تالياً: دي لابروكيير، رحلته)

الفصل الخامس

الحياة الاقتصادية في ولاية بيروت

1.5 الزراعة

1.1.5 ملكية الأرض

1. الاقطاع :

تمتد جذور الاقطاع إلى أيام السلاجقة والزنكيين والأيوبيين، وكانت القاعدة أن تعطى الاقطاعات أو الأخباز أو المثلات، للأمراء والأجناد [1]، ويكون هذا مقابل واجبات إقطاعية تمثّلت في جانبين: أحدهما أدبي والآخر مادي، فمن حيث الجانب الأدبي للألتزامات يقوم المقطع بأداء يمين الولاء للسلطان؛ أمّا الجانب المادي فيتمثّل بأداء الخدمة العسكرية التي تعتبر الأساس في حيازة الإقطاع، حتى إذا عجز الأمير عن أداء هذه الخدمة أقام بديلاً عنه، كما يتوجّب على الأمير أن يقوم ضمن هذا الالتزام بأعمال حفظ الأمن وما يتعلّق بها، وتقديم خيول البريد، وأن يؤدي الالتزامات المالية المتعلّقة باقطاعه، وتلبية نداء ولي الأمر في وقت الحرب مع أتباعه من الفرسان المجهّزين في أي وقت [2]، لم يكن الاقطاع وراثياً وأراد المماليك من ذلك أن يبقى صاحب الاقطاع خاضعاً للسلطان [3].

وبالنسبة للفلاحين والعمّال في ولاية بيروت والذين كانوا يعملون في الاقطاعات؛ فلم يكونوا أقناناً (عبيد الأرض)، بل كانوا أحراراً ينتقلون من إقطاع إلى آخر، بينما كان الإقطاع في ولاية بيروت صغيراً يشمل قرية إلى عشر قرى[4].

---

(1) الطراونه، **صفد**، ص151.

(2) طرخان، **النظم الاقطاعية**، ص189؛ ريان، **الاقطاع العسكري**، مجلة الدارة، ع2، 1988، ص24-25.

(3) حتي، **لبنان**، ص408.

(4) **المرجع نفسه**، ص408-409.

والشاهد الوحيد الذي أشار إلى اقطاع أمراء المماليك في ولاية بيروت هو أن بلدة عبية كانت من جملة اقطاع الأمير صاروجا[1].

2. الأملاك :

كان الاقطاع منحة مؤقتة يمكن للسلطان أن يلغيها، ولم يكن لصاحب الاقطاع حق التملّك وإنما حق الحصول على الريع، وأمّا اقطاع أمراء الغرب البحتريين فكان مختلفاً إذ كان ملكية خاصة متوارثة من جيل إلى جيل، وتحويل هذه الملكية يعتبر مخالفاً للشريعة [2]، وعُين الأمراء البحتريون فرساناً في الحلقة الشامية وحصل بعضهم على رتبة أربعين (طبلخاناه) وأكثرهم كانوا أمراء عشرة أو خمسة[3].

كانت قوة الأمراء البحتريين وسلطتهم تفوق كثيراً الرتب التي يحملونها من السلاطين ونوابهم فبصفتهم زعماء ولاية بيروت كان أتباعهم يدينون بالولاء لهم ؛ ويسيرون عندما يدعون إلى الحرب تحت راية أمرائهم [4]، وأنيط بأمراء الغرب حراسة شواطئ ولاية بيروت وخصصوا لذلك دركاً من تسعين فارساً قُسِّموا إلى ثلاث فرق كل فرقة تقيم في حراسة الشاطئ شهراً كاملاً ثم تستبدل بفرقة أخرى.

اختلف حجم اقطاعات أمراء الغرب من قرية إلى عدة قرى، وفي أحيان كثيرة يلاحظ تقسيم الاقطاع بين أكثر من أمير على النصف أو الثلث أو الربع [5]، كما يلاحظ وجود اقطاعات لأمراء الغرب خارج ولاية بيروت [6]، وبما أن اقطاع أمراء الغرب يعد ملكية خاصة فإنه يخوّل صاحبه حق الاستغلال والتصرف

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص98 ؛

(2) **المصدر نفسه**، 71-72، 82-87؛ حتي، **لبنان**، ص408؛ ابو عزالدين، **الدروز**، ص212.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص77-157، 165، 169، 201، 218؛ ابو عزالدين، الدروز، ص212 .

(4) ابو عزالدين، **الدروز** ، ص213.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص80، 84، 89، 143، 147، 163.

(6) **المصدر نفسه**، ص174، 200 .

والملكية، فكثيراً من اقطاعات أمراء الغرب شهدت عمليات بيع وشـراء وتنـازل فانتقلت ملكيتها من شخص إلى آخر [1]، وفيما يتعلق بجباية الـضرائب وخـراج الأرض، فإن الآلية المتعارف عليها هي أن يقوم الموظفون بجبايتها، ويـتم إنفاقهـا على الأمراء المماليك وأجناد الحلقة، والزيادة تذهب إلى بيت المال ؛ أما في ولايـة بيروت فكان أصحاب الاقطاع (أمراء الغرب) غير خاضعين لهذا النظام، فكانوا إما يدفعون مبلغاً سنوياً أو يقومون بأنفسهم بخدمات معينة لقاء إعفائهم من ذلك كتعهدهم بحراسة السواحل مقابل ما بأيديهم من إقطاعات [2].

وخلال العهد المملوكي شهد اقطاع أمراء الغرب عـدة محـاولات كـادت أن تخرجه من أيديهم، ففي سنة 688 هـ/ 1289م فتح المماليك مدينة طـرابلس وتـم إخراج اقطاع أمراء الغرب ونقله لأجناد الحلقة بطرابلس، ولم يـسترجعوه إلاّ بعـد فتح صيدا وبيروت وعلى دفعتين: الأولى زمن الأشرف خليل، حيـث اسـترجعوا اقطاعاتهم عن حلقة طرابلس وجعلوه على درك بيروت، أمـا الثانيـة فـتم فيهـا استرجاع ما تبقّى من اقطاعات على عهد الناصر محمد بن قلاوون فـي سـلطنته الأولى[3]، وفي سنة 713هـ/ 1313م تمت عملية الروك في بلاد صيدا وبيـروت على يد علاء الدين بن معبد، وحصل منه تعدي على اقطـاع أمـراء الغـرب لأن الروك يقتضي تبديل الاقطاعات وانتقالها من مقطع إلى آخر، فسعى أمير الغـرب ناصر الدين الحسين إلى إبطال ذلك حتى تم له ما أراد وصـدرت الأوامـر مـن السلطان محمد بن قلاوون بأن تبقى اقطاعاتهم في أيديهم وأن الزيادة فيها تتطلب

زيادة في عدد الجند المترتب عليهم[4]، وكان هنـاك محاولـة مـن تركمـان كسروان للاستيلاء على اقطاع أمراء الغرب، مقابل تعهدهم بتجهيـز ألـف رجـل للمشاركة في فتح جزيرة قبرص إلاّ أن هذا الأمر لم يتم[5].

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص157ــ 162، 199، 201، 202، 208.

(2) عواد، "**لبنان في عهد المماليك**"، مجلة المشرق، مج40، 1942م، ص27-28.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص71-72؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص338.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص86-87؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص338.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص179.

3. الأوقاف :

توجد شواهد قليلة عن الأوقاف في ولاية بيروت، فقرية المغاربة أحدى قرى بيروت كانت من أوقاف القدس[1]، كما حددت بعض قرى غرب بيروت كوقف لكُتّاب بالمدرسة الصابونية في دمشق شمل عشرة أيتام مع شيخ يعلمهم القرآن[2]، كما كانت الأوقاف تخصص للنفقة على الأبراج[3]، وكذلك الأنفاق على الخانات[4].

2.1.5 المنتجات الزراعية :

تميزت ولاية بيروت بتربتها الخصبة وأمطارها الغزيرة ومناخها الملائم والمتنوّع الذي يتغير تدريجياً مع الارتفاع من الساحل حتى قمم سلسلة جبال لبنان الغربية على الحد الشرقي للولاية، هذه العوامل أدت إلى وجود تنوّع نباتي ومنتجات زراعية متعددة، فعلى طول الشريط الساحلي امتدت زراعة قصب السكر[5]، والحمضيات[6]، والكرمة[7]، بالإضافة إلى النخيل[8]، واللوز والخروب والتين[9]،

---

(1) النويري، **نهاية الأرب**، ج32، ص121.

(2) النعيمي، **الدارس**، ج1، ص12.

(3) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص245–246.

(4) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص180 ؛ الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج2، ص37.

(5) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ق1، ص176: سترانج، **فلسطين في العهد الإسلامي**، ص329؛ فضل الله، **لبنان**، ص42؛ عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص118.

(6) فضل الله، **لبنان**، ص42؛ ابو عزالدين، **الدروز في التاريخ**، ص22؛ إلياس، **المناخ**، ص16.

(7) ابو عزالدين، **الدروز**، ص224؛ الياس، **المناخ**، ص16، عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص108.

(8) ابن حوقل، **صورة الأرض**، ق1، ص176، سترانج، **فلسطين في العهد الإسلامي**، ص329؛ ابو عزالدين، **الدروز** ، ص224؛ الياس، **المناخ**، ص16.

(9) الياس، **المناخ**، ص16.

وفي أنحاء أخرى من ولاية بيروت انتشرت زراعة الزيتون[1]، والقطن[2]، وشجرة التوت التي كانت تزرع لتربية دودة القز المنتجة لمادة الحرير الخام[3]. وكان يزرع بعض القمح وغيره من الحبوب ولكن طبيعة الولاية الجبلية تفتقر إلى الأراضي المنبسطة التي تصلح لمثل هذه الزراعة[4].

أيضاً تم الاستفادة من الأشجار الحرجية ؛ فالغابات الموجودة في ولاية بيروت كانت مصدراً مهماً للأخشاب التي تصنع منها السفن[5]، وأسقف المنازل[6]، وغيرها من الصناعات التي تعد الأخشاب عنصراً أساسياً فيها، مع أن الغابات في دمشق وجبال لبنان كانت تعد ملكاً للسلطان[7]، وعرفت بيروت بغابة الصنوبر التي تجاورها، وقد ذكرتها المصادر الإسلامية[8]، وبيّن الأدريسي مساحتها بقوله : "سعتها اثنا عشر ميلاً في التكسير تتصل إلى تحت لبنان"[9]، والمقصود هنا أن مساحتها اثنا عشر ميلاً مربعاً[10]، والمقصود بلبنان أي جبل لبنان .

ومن الأشجار الحرجية أيضاً أشجار الأرز التي كانت تغطي أعالي سلسلة

---

(1) فضل الله، **لبنان**، ص42؛ لامنس، **تسريح الأبصار**، ص327؛ عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص108.
(2) العابدي، **أجانب في ديارنا**، ص31؛ عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص115.
(3) ارشيبالد، لويس، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 – 100 م)** ترجمة أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص65، (وسيشار إليه تالياً : ارشيبالد، القوى البحرية)، ابو عزالدين، **الدروز** ، ص224 .
(4) ابو عزالدين، **الدروز**، ص224.
(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص30–243.
(6) **المصدر نفسه**، ص198؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص122 .
(7) لابدوس، **مدن الشام**، ص117.
(8) الادريسي، **نزهة المشتاق**، مج1، ص371؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص30.
(9) الأدريسي، **نزهة المشتاق**، مج1، ص371.
(10) الوالي، **بيروت**، ص108.

جبال لبنان ومن ضمنها الحد الشرقي لولاية بيروت[1].

2.5 الصناعات والنشاط الحرفي :

عرفت ولاية بيروت وجود بعض الحرف والصناعات، فوجد فيها النجارون[2]، والحدادون[3]، وهناك أيضاً الخبّازون الذين كانوا يعانون أحياناً من فرض الضرائب عليهم، ويستدل عليهم أيضاً من وجود الأفران [4]، ومن الصناعات إن صحّ التعبير، صناعة البناء، وتتعلّق بكل ما يحتاجه البناء من زخرفة وترخيم وغيرها، ويبدو أنها كانت منتشرة لاهتمام أمراء الغرب بتزيين قصورهم وإنشاءاتهم[5].

وهناك من استفاد من مقدرته وثقافته بإتقانه لأكثر من لغة، فعمل مترجماً وسيطاً (سمساراً) بين التجّار العرب والأجانب، وكان المترجم يتقاضى ما نسبته 4% أي أربعة دراهم عن كل مئة درهم، ويُنص على هذا البند في المعاهدات التجارية التي توقعها الدولة المملوكية مع الدول والمدن الأجنبية [6]، ومن المفترض أن يوجد في بيروت مترجمون لكثرة ما فيها من التجار الأجانب، وهناك أيضاً المكارين وهم الذين ينقلون المسافرين على الدواب من بيروت إلى المدن المجاورة[7]، كما ورد ذكر لبيطار يعمل عند أحد أمراء الغرب ويدعى علي بن الحنيش [8]، ومرّ بنا وظيفة الريس في بيروت، إلاّ أننا لا نعلم ما هي، ولكن يفهم

---

(1) البستاني، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، مج1، ص81.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص175، 213.

(3) **المصدر نفسه**، ص175؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج2، ص160.

(4) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص121؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص290؛ الصفدي، **الوافي**، ج10، ص431؛ مكي، **لبنان**، ص848.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص109– 110، 193، 216.

(6) صالح، **التجارة الداخلية**، ص281.

(7) دي لابروكيير، **رحلته**، ص312؛ زيادة، **مدن عربية**، ص170.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص193.

من السياق الذي وردت فيه أن صاحبها عادة ما يكون ملازماً للبحر [1].

وقد أشرنا سابقاً إلى المرافق الصناعية الموجودة في ولاية بيروت كالمصابن[2]، والطواحين والأفران[3]، ومصانع السكّر[4]،واحتمالية وجود معاصر للزيتون بسبب وفرة زيت الزيتون ودخوله في صناعة الصابون، كذلك احتمالية صناعة الخمور المخصصة للرعايا الأجانب في مدينة بيروت وما يرتبط بها كصناعة الزبيب [5]، وكانت السلطات أحياناً تصدر الأوامر بمنع المتاجرة بالخمور وتصنيعها[6].

وارتبطت أغلب الصناعات بالمواد الخام المتوفرة، فوجدت دار لصناعة السفن بسبب توفر الأخشاب في غابة الصنوبر المجاورة لبيروت[7]، ويدخل في صناعة السفن أيضاً صناعة المسامير والرواسي والمرابط[8]. وكذلك عرفت بيروت بمعدن الحديد الذي يستخرج من جبل قربها، وكان يصدر عبر مينائها إلى مصر[9]، رغم

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص26.

(2) المصدر نفسه، ص193؛ ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص292؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص121؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج4، ص164؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص290؛ الصفدي، **الوافي**، ج10، 431.

(3)ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج9، ص121؛ الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص290؛ الصفدي، **الوافي**، ج10،ص 431؛ مكي، **لبنان**، ص248.

(4) حتى، **لبنان**، ص414؛ مكي، **لبنان**، ص248؛ بني حمد، **الأسواق الشامية**، ص178.

(5) عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص108.

(6) صالح، **التجارة الداخلية**، ص60.

(7) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج14، ص359؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص29-30، 179، 249.

(8) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص118-119.

(9) المقدسي، محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، دمشق، 1980م، ص184؛ الادريسي، **نزهة المشتاق**، ج1، ص119؛ ابن بطوطه، شمس الدين محمد بن عبدالله الطنجي، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق : عبد الهادي النازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، مج1، ص262، (وسيشار إليه تالياً: ابن بطوطه، تحفة النظار).

أن حنان قرقوتي ذكرت أن الحديد يتم استيراده من اسبانيا لأن مناجم الحديد فوق بيروت لم تكن تغطي حاجة الاستهلاك المحلي[1]. واشتهر في ولاية بيروت إنتاج الحرير وصناعته بمعامل الحرير، فقد اهتم السكان بتربية دودة القز لإنتاج الحرير الخام[2]، وورد أن إنتاج الحرير من أملاك أحد أمراء الغرب يصل في بعض السنوات إلى أربعين رطلاً [3]، كذلك وجدت صناعات أخرى كصناعة المجانيق والأقواس [4]، وسقوف المنازل [5]، واستخدام البارود وتصنيعه [6]، وصناعة النحاس[7].

ولم يترفّع أُمراء الغرب رغم مكانتهم الاجتماعية عن ممارسة بعض الحرف فبرع كثير منهم بالصياغة والخراطة، والنجارة الدقيقة والحفر على الخشب والتطعيم، وصناعة الأقلام كقلم الطومار، وقوالب الفولاذ لصناعة الفضة والسيوف وحلي النساء، وصناعة النشاب، وطبع الفضة[8]، ومارس أحد أمراء الغرب أكثر من حرفة كالصياغة وصناعة النشاب والنجارة والخياطة والحدادة والبيطرة ونقش الفولاذ والزركش، كما كان يصنع خواتيم مع نقشها وتحريرها [9]، كما عمل بعض

---

(1) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص118-119.

(2) حتى، **لبنان**، ص409؛ زيادة، **مدن الشام**، ص165؛ الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، ص291؛ أرشيبالد، **القوى البحرية**، ص165؛ لورته، لويس، **مشاهدات في لبنان: فصول عن لبنان من كتاب "سوريا اليوم"**، ترجمة كرم البستاني، دار نظير عبود، بيروت، 1995م، ص27؛ الحمود، رنا، **حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة اليرموك، 1996م، ص12، 13، (وسيشار إليه تالياً: الحمود، حرف وصناعات).

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص194.

(4) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص121-122.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص198؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص122.

(6) الوالي، **بيروت**، ص46.

(7) الحمود، **حرف وصناعات**، ص83.

(8) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص173، 191.

(9) الصفدي، **أعيان العصر**، ج1، ص302.

أمراء الغرب على صناعة الأدوية مع ممارسة مهنة الطب [1].

3.5 التجارة :

1.3.5 التجارة الداخلية :

ارتبطت بيروت بطرق تجارية برية مع المدن الشامية، ويربطها طريق بري يمتد عبر المحطات التالية (بيروت – الحصين – زبدان – خان ميسلون – دمشق)[2]، بينما كان تواصلها مع مصر عبر البحر إلى مينائي دمياط والإسكندرية في أغلب الأحيان، وساعد على رواج التجارة وجود الخانات والقيساريات في بيروت [3]، كما كانت ملتقى التجار من مختلف المناطق الشامية كدمشق وحلب وطرابلس وصور[4]، وحماة وبعلبك [5].

تبادلت بيروت البضائع مع مختلف أرجاء الدولة المملوكية فكانت تصدر الفاكهة[6]، والزيت والصابون[7]، والدبس والزبيب[8]، إلى مصر، وتمد السلطنة المملوكية بالحديد[9]، والأخشاب[10]، كما كانت تصدر الخروب إلى دمشق

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص184، 223.

(2) **المصدر نفسه**، ص35؛ بني حمد، **الأسواق الشامية**، ص185.

(3) الوالي، **بيروت**، ص23.

(4) **المرجع نفسه**، ص46.

(5) شبارو، **تاريخ بيروت**، ص108.

(6) ابن بطوطه، **تحفة النظار**، مج1، ص262.

(7) حتي، **تاريخ لبنان**، ص415؛ شبارو، **تاريخ بيروت**، ص109.

(8) ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج5، ص108.

(9) ابن بطوطه، **تحفة النظار**، مج1، ص262.

(10) سعيد، ابراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، دار المعارف، 1983م، ص208،(وسيشار إليه تالياً: سعيد: البحرية)؛ الحمود، **حرف وصناعات**، ص38؛ قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص46.

ومصر[1]. وليس لدينا معلومات عن السلع التي كانت بيروت تستوردها من بقية مدن الدولة المملوكية ؛ باستثناء مادة القمح التي كانت تجلب من مصر إلى بلاد الشام في الظروف الطارئة لا سيما أوقات القحط والغلاء التي تعرضت لها بلاد الشام [2]. وبعد خروج تيمور لنك من بلاد الشام، حصل في بيروت غلاء شديد ذهبت فيه الأنفس فتوجه الأمير شرف الدين عيسى بن شهاب الدين أحمد إلى مصر، فابتاع قمحاً ونقله في البحر إلى بيروت، فحصل له وللناس بذلك منفعة كبيرة، وكان الأمير جركس الخليلي يجهز القمح من مصر وينقله في البحر إلى بيروت ليباع له هناك[3].

2.3.5 التجارة الخارجية :

أدى الاحتلال الصليبي للمنطقة إلى فتح البحر المتوسط أمام حركة التجارة العالمية، بحيث كانت البضائع تأتي من الشرق الأدنى والأقصى، وتأخذ طريقها إلى أوروبا عبر موانئ الشام الواقعة على البحر المتوسط. وبعد طرد الفرنجة أصيب الساحل الشامي بشلل تام في حركة التجارة مع الغرب. أولاً : لأن الموانئ التي كانت تتم فيها عمليات التبادل التجاري دمرت، خوفاً من عودة الفرنج إليها مرة أخرى. وثانياً: وهو الأهم، قيام البابوية بالدعوة إلى تحريم الاتجار مع السلطنة المملوكية، مهددة بتوقع قرارات الحرمان على كل من يخالف أوامرها. وكان هدفها من هذا الأجراء حرمان السلطنة المملوكية من مصدر ثرائها وقوتها، وبالتالي إضعافها مما يسهّل القضاء عليها عسكرياً ويتيح للفرنجة أن يعودوا إلى مملكة بيت المقدس[4].

لم يتقيد التجار الأوروبيون وخاصة تجار المدن الايطالية بالقرار الذي اتخذته

(1) إلياس، **المناخ**، ص294.

(2) ابن حجي، **تاريخه**، ج1، ص525؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص196، 2087؛ المقريزي، **السلوك**، ج3، ص72؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخه**، ج4، ص259.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص208، 196.

(4) الطراونه، **صفد**، ص175–176.

البابوية، ومارسوا تجارتهم مع الدولة المملوكية. أما مدينـــة بيـــروت فعقـــب فـــتح المماليك لها لم تلبث طويلاً حتى تعافت من الشلل الذي أصاب الحركة التجارية في الساحل الشامي، فأخذت مراكب الفرنج التجارية تتردد إلى ميناء بيروت شيئاً فشيئاً، وفي هذه المرحلة لعبت جزيرة قبرص دور الوسيط التجاري بين المماليك والمـــدن والجمهوريات الأوروبية وبخاصة البندقية التي كانت تحضر إلى قبرص ومن هناك يقوم صاحب قبرص بإرسال بضائعهم على متن سفنه لتباع في بيروت (1).

استمرت وساطة قبرص التجارية حتى شن بطرس الأول ملك قبرص، حملـــة صليبية ضد الإسكندرية سنة 767هـ/1366م، ســـاءت علـــى أثرهـــا العلاقـــات المملوكية القبرصية، فحاولت البندقية منع تجارتها الشرقية فـــي البحـــر المتوســـط وسعت للتوسط بالصلح بين الدولة المملوكية وقبرص. وفي الوقت نفـــسه اغتنمـــت الفرصة وأرسلت حملتها التجارية الأولى إلى بيـــروت، وباشـــرت ســـفن البندقيـــة وكتالونيا أعمالها التجارية هناك في عام 768ه/1366م. ومع ذلك، لم يكن الوقـــت مناسباً تماماً لإيجاد نهضة تجارية كاملة. ومر عقد من الزمن قبل أن تتمكن البندقية من إقامة خدمات تجارية مع بيروت، وتبع ذلك عودة تجـــار الكـــتلان والفرنـــسيين والجنويين إلى بيروت والموانئ الشامية الأخرى (2).

توفرت في بيروت عوامل جذب لهؤلاء التجار فوجد فيهـــا خانـــات وقياســـر ووكالات(3). وخصصت الفنادق في بيروت للجاليات والتجار الأوروبيين وتتبع هذه الفنادق لإدارة الجمارك بالموانئ ويشرف على الفندق موظف يعرف باسم (الفندقي)، وعندما زاد نطاق التجارة أصبح الفندق كأنه قطعة من الوطن الأصلي، حيث يجتمع مواطنو كل بلد في فندقهم على حدة (4). كما كان هناك قناصل للجاليـــات الأجنبيـــة

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(2) لابيدوس، **مدن الشام**، ص60-61.

(3) شبارو، **تاريخ بيروت**، ص108-109؛ صالح، **التجارة الداخلية**، ص157؛ عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص132.

(4) سعيد، **البحرية**، ص205.

يشرفون على شؤون أفراد الجالية، وكان يعاون القنصل هيئة تتكـون مـن موثـق العقود وترجمان (مترجم) ووكيل القنصل [1].

يعدّ ميناء بيروت من أغنى موانئ بلاد الشام وأحفلها خلال العهد المملـوكي، وتمر به السلع التي تصل إلى دمشق من البحر الأبيض المتوسط، وكذلك التي تخرج منها إلى أوروبا، فيصدَّر منه إلى أوروبا من التوابل التي يتم جلبها مـن الهنـد[2]: البهـار، الفلفـل، الزنجبيـل[3]، الخلنجـان[4]، ومـن العطـور: عـود النـد، المسك، العنبر[5]، كمـا يـصدر منـه العـاج [6]، والنيلـة، والـشب، والخـزف والبورسلين[7]. ومن منتجات بلاد الشام كان يصدر القطـن[8]، والاشـنان (رمـاد بيروت ويدخل في صناعة الصابون)[9]، والحرير[10]، والصابون والزبيـب ومـاء

---

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص324 – 325 ؛ سعيد، **البحرية**، ص204-205.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص36؛ حتي، لبنان، ص415 .

(3) هايد، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، ترجمة أحمد رضا، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ج4،، ص169، 122 (وسيشار إليه تالياً: هايد، تـاريخ التجارة)؛ فهمي، **طرق التجارة**، ص205 ؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، 125، 385، 386؛ عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص122.

(4) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص119؛ فهمي، **طرق التجارة**، 205.

(5) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4،ص 141، 69؛ Ziadeh, **Damascus**, p 63؛ فهمي، **طرق التجارة**، ص226، 228، 229، 230 .

(6) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص133؛ حتي، **لبنان**، ص415 ؛ فهمي، **طـرق التجـارة**، ص241 .

(7) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص62، 130، 188؛ فهمي، **طرق التجارة**، ص36، 237-238، 243 .

(8) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص113؛ العلبـي، **دمـشق**، ص280 ؛ الخـادم، **الـشرق الإسلامي**، ص184، 387 – 388، 390 ؛ عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص115.

(9) العلبي، **دمشق**، ص280.

(10) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص179؛ حتي، **لبنان**، ص415؛ العلبي، **دمـشق**، ص280؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص304.

الورد والسكر[1]، واللؤلؤ والأحجار الكريمة[2]. وكان ميناء بيروت يستقبل السلع القادمة من أوروبا، كالفضة والجوخ[3]، والنحاس، والذهب، والبندق والكحل والكبريت والمرجان[4]، والأخشاب[5]، والحديد [6]. ورغم وجود الأخشاب والحديد في ولاية بيروت إلاّ أنها أحياناً لم تكن كافية لتغطية الاحتياجات المحلية . ويتم استيراد الحبوب في الحالات الطارئة من أوروبا كما حصل سنة 874هـ/1470م عندما أصاب مصر والشام قحط شديد فكانت سفن أنكونا الايطالية تنقل إليهما الحبوب[7].

وفيما يلي جدول يبين مقدار ثمن الفلفل والزنجبيل التي كانت تصدر من ميناء بيروت إلى البندقية :

السنة	نوع السلعة	مقدار الثمن
أوائل القرن 15 الميلادي	فلفل وزنجبيل	90.000 دوكات [8]
891هـ/1486 م	فلفل	72.150 دوكات
	زنجبيل	14.987 دوكات [9]
902هـ/1497 م	فلفل	32.175 دوكات
	زنجبيل	27.200 دوكات[10]

(1) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص105-106.

(2) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص154، 158؛ حتي، **لبنان**، ص415.

(3) ابن طولون، **أعلام الورى**، ص96 ؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص403.

(4) **المرجع نفسه**، ص184، 387، 386، 403.

(5) عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص129 ؛ الزيدي، مفيد، **موسوعة التاريخ الاسلامي: العصر المملوكي (648- 923هـ/ 1250- 1517م)**، دار أسامه، عمان، 2003م، ص171،(وسيشار إليه تالياً: الزيدي، **العصر المملوكي**).

(6) قرقوتي، **بيروت ودورها الجهادي**، ص119.

(7) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص410.

(8) عباس، **تاريخ بلاد الشام**، ص122.

(9) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص385.

(10) **المرجع نفسه**، ص386.

أمّا معدن النحاس الذي كانت تستورده الدولة المملوكية من أوروبا، فقد بلغت الكمية المستوردة منه سنة 901هـ/1496 م ؛ 1.500 قنطار بلغت قيمتها 9.750 دوكات[1].

وصل تجار المدن الأوروبية إلى ميناء بيروت وأقاموا علاقات تجارية في هذه المدينة وينتمون إلى البلدان التالية:

1. البندقية :

كانت تجارة البندقية مع بيروت في بداية الأمر تتم بوساطة جزيرة قبرص، وأرسلت سنة 702ه/1302م سفيراً من عندها إلى السلطان محمد بن قلاوون في مصر لتجديد الامتيازات التي منحها السلطان لرعاياها [2]، وبذلك تكون البندقية قد خالفت قرار البابوية بمنع المتاجرة مع الدولة المملوكية .

استمرت الوساطة القبرصية بين البندقية والمماليك حتى سنة 767هـ/1366م، عندما قامت قبرص بغزو ميناء الإسكندرية فساءت علاقاتها مع المماليك وقد كانت البندقية ممن شاركوا في هذه الحملة [3]. وحتى تحافظ البندقية على استمرار تجارتها مع شرق البحر المتوسط سعت إلى التوسط في الصلح بين المماليك والقبارصة، واستغلت الفرصة لتوثيق علاقاتها بالمماليك وبدون الوساطة القبرصية، وفعلاً أرسلت حملتها التجارية الأولى إلى بيروت وباشرت أعمالها التجارية فيها عام 767هـ/1366م[4]. إلاّ أنّ المماليك لم يكونوا على استعداد لاستئناف الحركة التجارية مع البندقية فقامت السلطات المملوكية في نفس السنة باعتقال ثمانية وخمسين تاجراً بندقياً كانوا قد وصلوا إلى الميناء على متن ثلاث

---

(1) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص184، 184 .

(2) سعيد، **البحرية**، ص211.

(3) لابيدوس، **مدن الشام**، ص60، زيتون، عادل، **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1980م، ص207،(وسيشار إليه تالياً: زيتون، العلاقات).

(4) لابيدوس، **مدن الشام**، ص60-61.

سفن تجارية وتمت مصادرة سلع ومتاجر هؤلاء التجار[1]، وفي عام 771هـ/1370م، تم توقيع معاهدة سلام بين المماليك والقبارصة، تبعها قيام البابا بإصدار مرسوم ألغى فيه كل المراسيم السابقة المتعلقة بتحريم المتاجرة مع المماليك، فاستأنفت البندقية نشاطها التجاري في مصر والشام، وفي عام 774هـ/ 1373م، أبرمت البندقية معاهدة مع السلطان الأشرف شعبان اشتملت على امتيازات تجارية جديدة، وتعهد فيها السلطان بحماية تجارة البنادقة في مصر والشام[2].

وبعد التوسّع العثماني في أوروبا وفتح القسطنطينية زاد تركّز تجارة البنادقة مع الدولة المملوكية لتعويض ما فقدوه من مراكز تجارية في القسطنطينية [3]؛ فخطوا خطوة إيجابية في عهد السلطان إينال لزيادة نشاطهم التجاري في مصر وبلاد الشام، وانتهز البنادقة انهيار شركة كير التجارية الفرنسية وقاموا بعقد اتفاقية مع الدولة المملوكية سنة 1461/865م لتأكيد المعاهدات السابقة والحصول على امتيازات جديدة. وبناءً على ذلك أعاد البنادقة تنظيم رحلاتهم التجارية المتوجهة إلى بيروت وصيدا والإسكندرية، كما شدّدوا الحراسة عليها[4]، غير أنّهم وجدوا أنفسهم يرزحون تحت عبء ثقيل، فاضطروا إلى تقليل نشاطهم في الساحل الشامي، واقتصر وجودهم عام 872هـ/1468م على بيروت، بعد أن كانوا يعرجون قبل ذلك على اللاذقية ويافا وعكا[5]. وكانت البندقية ترسل مراكبها باستمرار إلى بيروت ما بين الثامن والخامس والعشرين من شهر آب. واعتباراً من سنة 905هـ/1500م، أصبح موعد إبحار هذه المراكب ما بين الخامس عشر من شهر نيسان والخامس عشر من شهر أيار، يضاف إلى ذلك أنّ المراكب التجارية

---

(1) زيتون، **العلاقات**، ص207.

(2) **المرجع نفسه**، ص207-208.

(3) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص47، 309 ؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص530؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص171.

(4) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص530؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص170-171.

(5) لابيدوس، **مدن الشام**، ص85.

المخصصة لبلاد الشام تنطلق في شهر كانون الثاني وتمر بميناء بيروت[1]، وأيضاً هناك سفينة من سفن الخط التجاري مع الإسكندرية كانت تتوجّه إلى بيروت وطرابلس[2]. كما خصصت البندقية أسطولاً صغيراً لتحميل القطن الشامي من اللاذقية وبيروت وطرابلس وعكا خلال شهر حزيران. وفي سنة 902هـ/1497م كانت البندقية ترسل أربع عشرة سفينة إلى كافة البلدان تحمل البضائع إليها وتعود منها بسلع أخرى وخصصت لبيروت وطرابلس اثنتين من هذه السفن[3].

وهناك أيضاً الرحلات الموسمية التي تقوم بها البندقية إلى سواحل البحر المتوسط وتعرف بـ (المدة) وتعني استناداً إلى التعليمات التجارية الايطالية أسطولاً أو قافلة كما تعني فترة من الوقت تُحمّل خلالها المراكب، ولكن كلمة المدة استعلمت أيضاً للدلالة على الفترة الزمنية التي تُحمّل خلالها سلع معينة في أماكن محددة وعلى متن مراكب خاصة لنقلها إلى البندقية [4].

ويعد نجاح البرتغاليين في الوصول إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح من الأحداث الهامّة التي ختمت العصور الوسطى وأكثرها أثراً في مجريات السياسة والاقتصاد في مصر وبلاد الشام، فأصبحت البرتغال وسيطة التجارة بين الشرق والغرب وأغرقت أوروبا بالسلع الشرقية وبأسعار رخيصة. ففقدت الدولة المملوكية دورها كوسيط تجاري بين الشرق والغرب، وتراجعت الحركة التجارية في موانئها على البحر المتوسط ومنها ميناء بيروت [5]. فنتج عن ذلك قلّة السلع القادمة من الشرق مما جعل السلطان الغوري يؤكّد احتكاره لتجارة التوابل والسلع الشرقية وقصر شحنها على ميناء الإسكندرية دون الموانئ الأخرى، فخلا ميناء بيروت من

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص268؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص106.

(2) فهمي، **طرق التجارة**، ص179؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص16.

(3) الخادم، **الشرق الإسلامي** ، ص151، 142.

(4) فهمي، **طرق التجارية**، ص178 – 179، 267 ؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص143، 149.

(5) انظر: هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص3-15.

هذه السلعة الهامّة [1].

أمّا البندقية فقد تأثّرت هي الأخرى بالتحول في خطوط التجارة العالمية وعادت كثير من سفنها من الموانئ المملوكية في معظم الأحيان خالية أو نصف الحمولة المعهودة سابقاً. ففي سنة907هـ/ 1502م عادت سفن بيروت بأربع بالات من الفلفل، ولم تعد سفن المدة تحضر إلا مرة كل عامين، بعد أن كانت تصل للموانئ المملوكية عدة مرات في السنة[2]. وتراجعت أعداد الجالية البندقية والتجار المشرفين على الأعمال التجارية في الموانئ المملوكية كما انخفض مقدار النقود المخصصة للأعمال التجارية[3].

وحتى تواجه البندقية هذا التراجع قررت إرسال بعثة سرية إلى السلطان الغوري سنة 908هـ/1502م، برئاسة (بنديتو سانوتو) ليوضّح للسلطان الأخطار التي تهدد مصالح الطرفين من جرّاء وصول البرتغاليين للهند، وتوجّه تجّار أوروبا إلى أسواق البرتغال لرخص أسعارها وقلّة رسوم جماركها، وأن على السلطان القيام بعمل إيجابي ومقاومة البرتغاليين في الهند وخفض رسوم الجمارك حتى يتمكنون من إقناع تجّار البندقية بمواصلة ارتياد أسواق مصر والشام[4]، كما قدم المبعوث شكوى مواطنيه التجار من تعنّت حكّام دمشق وبيروت معهم، فهم يجبرون تجارهم على شراء كميات إضافية من الفلفل بأسعار مرتفعة في الوقت الذي تمتلئ فيه أسواق أوروبا بالتوابل الرخيصة والنقية من البرتغال، وغير ذلك من سوء معاملة عمّال السلطان للتجار في الجمرك[5].

وفي سنة 910 هـ / 1504م أرسل السلطان الغوري بعثة إلى ملوك وأمراء

---

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص70.

(2) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص12، 14، 38؛ فهمي، **طرق التجارة**، ص71 – 72.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص71 – 72.

(4) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص15–16؛ فهمي، **طرق التجارة**، ص76؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص173.

(5) فهمي، **طرق التجارة**، ص76؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص173.

أوروبا وإلى البابا برئاسة الأسقف (ماوروس دي سان برنادينو) رئيس دير جبل صهيون ببيت المقدس ؛ للوقوف على الأحوال السياسية بصفة عامّة، وحثّ البابا على إقناع البرتغاليين بوقف أعمالهم العدوانية ضد مصالح السلطان في الهند. وصلت البعثة للبندقية وطلبت منها مساعدات حربية للسلطان لمقاومة البرتغاليين في المياه الهندية في حالة فشل المفاوضات، وكان رد البندقية بأن الأضرار التي لحقت بالسلطان قد أصابت البندقية، واعتذرت كذلك عن تقديم المساعدات للسلطان (1).

وما أن عادت بعثة الأسقف إلى القاهرة حتى سارعت البندقية بإرسال بعثة جديدة إلى القاهرة يرأسها (فرانشسكو تلدي) سنة 910 ه/1504م، هدفها تنبيه السلطان بزيادة نشاط البرتغاليين في الهند وأنّهم يوزعون التوابل في أوروبا بأسعار تقل كثيراً عن أسعار الإسكندرية وبيروت، حتى أنّ ذلك أصبح يتم في أسواق إيطاليا وبأسعار منخفضة، مما جعل تجّار البندقية يفضّلون التعامل مع أسواق البرتغال، وإزاء ذلك فإنّه على السلطان أن يرسل مندوبيه إلى ولايات الهند وأمرائها لحثّهم على مقاطعة البرتغاليين تجارياً، بالإضافة إلى القيام بعمل حربي لردع البرتغاليين وحماية التجارة المملوكية مع الهند وتأمين توابل نقية بأسعار منخفضة في أسواق الإسكندرية وبيروت لإغراء التجّار البنادقة وغيرهم بالعودة إلى الموانئ المملوكية ومع كل الجهود التي بذلتها البندقية لم يقدر لهذه المباحثات النجاح (2).

سعى السلطان الغوري إلى تفادي الأوضاع إزاء التوسّع البرتغالي في التجارة الشرقية فأرسل وفداً إلى البندقية برئاسة الأمير تغري بردي وغادر القاهرة سنة 911هـ/1505م، وأجرى محادثات مع البنادقة تم فيها تبادل وجهات النظر ومحاولة إيجاد علاج للمشكلة، وتلخّصت وجهة نظر المماليك التي نقلها تغري بردي بتقديم البندقية مساعدة عسكرية للمماليك من أجل مواجهة الموقف في الهند،

(1) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص16-17؛ فهمي، **طرق التجارة**، ص77 – 78؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص174-175.

(2) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص18-19؛ فهمي، **طرق التجارة**، ص79-81؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص175-176.

وعودة التجار البنادقة إلى موانئ مصر والشام، فيما تلخّص طلبـات البندقيـة فـي تسهيل مهمة تجارها في الموانئ المملوكية، وإطلاق سراح السجناء، وتحديد سـعر التوابل ورفع القيود عن السوق الحرة، وتخفيف الرسوم الجمركية [1].

وتعتبر المعاهدة التي أبرمت عام 918هـ/1512م من أهم المعاهـدات التـي عقدت بين البندقية والدولة المملوكية وعرفت بـــ (المعاهـدة الـشاملة) وبعـد مفاوضات طويلة تم الاتفاق على أربعة عشر سؤالاً وأربع عشرة إجابة صيغت فيها تماماً كل المشكلات الاقتصادية بين مصر والبندقية، وتحدد فـي المعاهـدة أنـواع المتاجر الأوروبية المطلوب من البنادقة الوصول بها الى الاسـكندرية وبيـروت، وكذلك النقد المتداول، وقد ألحق بالمعاهدة ملاحق خاصة بالتعامل النقـدي والبيـع بالمقايضة، وحصلت البندقية لتجارها على أوامر وتعليمات لعمـال الـسلطان فـي الموانئ والمدن الكبرى لتسهيل معاملة تجارها، كما حصلوا على اتفاقية بالتجارة في طرابلس وحلب وبيروت ودمشق[2]، ولم يحدث بعد ذلك ما يعكر صفوا العلاقـات بين البندقية والمماليك، وكان آخر اتصال بين الطرفين في 8 ربيع أول920هـــ/3 أيار1514م عندما طلب مبعوثهم من السلطان الغـوري المزيـد مـن التـسهيلات والإعفاءات[3].

يجدر الإشارة إلى أنّ البندقية خلال العهد المملوكي اضطرت أكثر مـن مـرّة إلى إيقاف رحلاتها بسبب الخلافات مع سلاطين المماليك، وكذلك الأخطار البحريّـة وعدم الاستقرار، وارتفاع أسعار التوابل، ورغم ذلك فإنّها لم تنقطع كثيراً [4]، وكان التجّار البنادقة يدفعون رسوماً معينة للسلطات المحلية مقابل مرور تجـارتهم عبـر ميناء بيروت[5].

---

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص72-76؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص176-177.

(2) فهمي، **طرق التجارة**، ص105-106.

(3) **المرجع نفسه**، ص107 ؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص178-179.

(4) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص124،381.

(5) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص531.

كانت تجارة البندقية رائجة مع المماليك ويستدل على ذلك من مقدار مشترياتها التي بلغت في كل من بيروت والإسكندرية سنة 902هـ/1497م حوالي (298.000) دوكات، وسنة 903هـ/1498م حوالي (204.000) دوكات[1]، في حين بلغ مجموع السفن المبحرة على خط الإسكندرية وخط بيروت من سنة 818هـ/1415م ولغاية سنة 903هـ/1498 ما مجموعة (343) سفينة، قصدت 160 سفينة منها ميناء بيروت، وكانت هذه السفن المسمّاة سفن الخط تنقل مختلف السلع، وكان هناك مركبان أو ثلاثة مختصة بنقل التوابل سنوياً من مصر وبلاد الشام إلى البندقية [2]، وتوزعت مراكب البندقية التي قصدت ميناء بيروت حسب السنوات التالية: [3]

الفترة بالسنوات	عدد السفن
855هـ/1451م – 864هـ/1460م	36
865هـ/1461م – 874هـ/1470م	35
875هـ/1471م – 884هـ/1480م	32
885هـ/1481م – 895هـ/1490م	33
896هـ/1491م – 903هـ/1498م	34

2. جنوا :

لم تكن العلاقات التي تربط جنوا بدولة المماليك ودية في بادئ الأمر فقد مرّ بنا في الفصل الثالث من هذه الدراسة الغارات التي قامت بها جنوا على السواحل المملوكية التي بلغ نصيب ميناء بيروت منها ثلاث غارات، والتي يرجع سببها إلى تفوّق البنادقة الذين احتلوا المرتبة الأولى في التعامل التجاري مع المماليك، ومحاولة عرقلة هذه التجارة [4].

---

(1) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص125.

(2) **المرجع نفسه**، ص288–289.

(3)الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص289.

(4) عاشور، **العصر المماليكي**، ص278؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص151.

يبدو أنّ سياسة العداء التي اتخذتها جنوا لم تنجح في تحقيق هدفها، وفي وقت غلبت فيه المصالح التجارية، تحوّلت جنوا من سياسة العداء إلى محاولة كسب ودّ المماليك وعقد المعاهدات التجارية معهم، فسعت لعقد صلح مع السلطان فرج بن برقوق، وبعد سلسلة من المفاوضات تم عقد الصلح سنة 810ه/ 1407م، وتعهدت فيه جنوا بدفع مبلغ ثلاثين ألف دينار تعويضاً عمّا أحدثته من خسائر في السواحل المملوكية، كما نص الصلح على أنّه إذا تكررت الاعتداءات فسيتم القبض على جميع الجنوية المقيمين في مصر[1].

لم تكن علاقة جنوا مع المماليك حسنة بشكل دائم فهي تتعرّض لحالات من الركود سببها تجاوزات الجنوية وتهجمهم على المصالح المملوكية في قبرص وفي شرق البحر المتوسط [2]، وفي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي أصبحت جنوا تابعة لفرنسا، وفي سنة 876ه/1472م طلب تجارها من ملك فرنسا لويس الحادي عشر التوسط لهم لدى السلطان قايتباي ليمنحهم حق استئناف التجارة مع بلاده، وأبدى السلطان قايتباي شعوراً طيباً نحوهم متجاهلاً ما قاموا به سابقاً من أعمال عدائية، ورحب بمندوبيهم لاستئناف أعمالهم التجارية في بلاده ؛ وبعد مفاوضات ناجحة استأنف تجار جنوا أعمالهم التجارية في مصر وبلاد الشام سنة 878هـ/1474م، وفتحت الوكالة الجنوية أبوابها وأعيدت لهم فنادقهم بالإسكندرية وبيروت ودمشق، واعتمدت السلطات قناصلهم كممثلين لهم ولتجارتهم [3].

كان لجنوا أسطولان تجاريان الأول مخصص للشرق والآخر للغرب، وقد نظم الجنويون قوافلهم إلى الشرق تماماً كما فعل البنادقة فكانت مراكبهم تبحر سنوياً في الخامس عشر من تموز، وكانت هناك قافلة تجارية تنطلق من جنوا باتجاه تونس وتتجه شرقاً على محاذاة الشاطئ حتى الإسكندرية ومنها إلى المرافئ الشامية ؛ وخلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي كان يصل إلى الإسكندرية

(1) أبو عليان، **مسيرة الجهاد الإسلامي**، ص126؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص439.

(2) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص395.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص53-54؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص529-530.

أو بيروت مركبان أو ثلاثة كل سنة وفي سنة 885هـ/1480م كان مقدار استثمارات جنوا في مصر وبلاد الشام يبلغ (130.000) دوكات انخفضت مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إلى (80.000) دوكات [(1)].

3. انكونا:

كانت علاقتها التجارية مع الدولة العثمانية أوثق من علاقتها مع المماليك وتبلغ ضعف تجارتها مع المماليك ونادراً ما كانت أنكونا ترسل إلى ديار السلطنة المملوكية أكثر من مركب واحد سنوياً، وفي عام 874هـ/1470م نشطت هذه الحركة وكانت مراكب أنكونا المتجهة إلى بلاد الشام لا تزور بيروت فقط، بل كانت تتوقّف في طرابلس واللاذقية لشحن القطن والقلي[(2)]، وقد بلغ مقدار استثماراتها في السلطنة المملوكية سنوياً بحدود (25000) دوكات [(3)].

4. فلورنسا

كان الفلورنسيون يتاجرون مع مصر وبلاد الشام على متن سفن البندقية وجنوا وبيزا، كما أن اهتمامهم كان منصبّاً على أعمال الصيرفة أكثر من التجارة [(4)]، وفي عهد السلطان فرج بن برقوق أقامت فلورنسا علاقات تجارية مع الدولة المملوكية وأصبح لها فنادقها وقنصلياتها ولعملتها حق التداول في بلاد السلطان المملوكي [(5)].
وبعد سيطرة فلورنسا على بيزا أرسلت الأولى أثنين من أعيانها سنة 825هـ/1422م للتفاوض مع السلطان برسباي، وطلبا الإحسان إلى تجار فلورنسا، وأن فلورنسا أخضعت بيزا فأصبحت تابعة لها، وبعد مفاوضات بين الطرفين، تأكد لفلورنسا حق إقامة القنصليات والفنادق في البلاد المملوكية، وحماية تجارها من أية

---

(1) الخادم، **الشرق الإسلامي**، 48-49، 151، 395، 526.
(2) **المرجع نفسه** ، ص410-411.
(3) **المرجع نفسه**، ص526.
(4) **المرجع نفسه**، ص151.
(5) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص439.

مضايقات، وحرية ممارسة شعائرهم الدينية والسماح لهم بتداول عملتهم [1].

وفيما بعد قررت فلورنسا إقامة خط للتجارة الشرقية ترتاده سفنها بصورة منتظمة، وأصدرت مرسوماً في 4 جمادى الأولى 848هـ/ 18 آب 1444م لاتخاذ التدابير بإرسال سفينتين تجاريتين كل سنة إلى الموانئ المملوكية، وقد حدد موعد الإقلاع في المرة الأولى في شهر ذي الحجة 848هـ/ آذار 1445م، وفي فصل الربيع للسنوات التالية، واعتباراً من سنة 851هـ/1447م حُدد برنامج الرحلات التجارية ونقاط التوقف في الذهاب والإياب للسفن المتوجهة إلى الإسكندرية وبيروت ويافا [2].

وبعد سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين سنة 857هـ/1453 م، أصبحت فلورنسا من أكثر الجمهوريات الإيطالية اتصالاً بشرق البحر المتوسط، وسعت أسرة ميديتشي الحاكمة في فلورنسا إلى توثيق صلاتها التجارية بالسلطات المملوكية، وذلك رغم تحريمات البابوية بمنع المتاجرة في المواد الحربية مع المماليك [3].

استمرت فلورنسا خلال العهد المملوكي بعقد الاتفاقيات لتحسين أوضاعهم والحصول على المزيد من التسهيلات والامتيازات التجارية. وفي سنة 886هـ/1481م شكلت فلورنسا بعثة رسمية أرسلتها إلى مصر. وفي سنة 889هـ/1484م، جرت في فلورنسا مفاوضات جديدة تم استئنافها في القاهرة سنة 892هـ/1487م، أظهر فيها السلطان قايتباي كل الود والتقدير، وأوفد مبعوثاً خاصاً إلى فلورنسا ليعرض على حكومتها أهمية وايجابية التجارة الفلورنسية [4].

وفي سنة 894هـ/1489م عقدت اتفاقية بين السفير الفلورنسي دي لاستوفا والسلطان قايتباي، وجاء في البند الثالث عشر من الاتفاقية أن تجار فلورنسا إذا

---

(1) الزيدي، **العصر المملوكي**، ص179.

(2) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص151-152 ؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص179-180.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص20.

(4) **المرجع نفسه**، ص60-61؛ الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص402؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص180.

قدموا إلى بيروت وغيرها وقصدوا البيع والشراء لا يعارضهم أحد ويجري علــيهم ما يجري على تجار البندقية في بيعهم وشرائهم وإن كان تجار فلورنــسا يــشترون القلي من بيروت فإنهم يقومون بما يقوم به التجّار البنادقة من غيــر زيــادة علــى ذلك[1]، وفي سنة 901هـ/1496م وصلت إلى القــاهرة بعثــة فلورنــسية أكــدت الامتيازات السابقة، فأرسل السلطان رسالة إلى حاكم فلورنسا تتضمن حماية مصالح فلورنسا في البلاد المملوكية[2].

وفي سنة 912هـ/1506م وصل إلى القاهرة مبعوث من فلورنسا للحــصول على تأكيدات بضمان استمرار الامتيازات الممنوحة لهم في المعاهدات السابقة، وأكد السلطان الغوري على رعاية مصالح فلورنسا، وأصدر مرسوماً تــضمن تعليمــات للمسؤولين فــي بــلاد الــسلطنة المملوكيــة بهــذا الخــصوص[3]. وفــي ســنة 914هـ/1508م أصد السلطان قراراً يقضي بالسماح للفلورنسيين بــدخول مــوانئ الدولة المملوكية ومنحهم الحماية والرعاية [4].

وبعد اكتشاف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولها إلــى مــصادر التجارة الشرقية في الهند وتعدياتها على السفن التجارية، خــشيت فلورنــسا علــى مصالحها وأرسلت سفارة إلى القاهرة منحوا فيها امتيــازات جديــدة وتــم تأكيــد الامتيازات القديمة[5].

أمّا عن خطوط التجارة الفلورنسية مع المماليك، ففي ســنة 849هـــ/1445م خصّصت مركبان يتجهان من فلورنــسا إلــى المــوانئ المملوكيــة، وفــي ســنة 851هـ/1447م حُدّد خط سير المراكب التجارية الفلورنسية ومحطاتها التي كــان

(1) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص231، 237، 403.

(2) فهمي، **طرق التجارة**، ص63-64؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص180.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص87؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص180-181.

(4) فهمي، **طرق التجارة**، ص91؛ الزيدي، **العصر المملوكي**، ص181.

(5) فهمي، **طرق التجارة**، ص92؛ طقوش، **تــاريخ المماليــك**، ص545؛ الزيــدي، **العــصر المملوكي**، ص181.

من بينها الإسكندرية وبيروت ويافا[1]. وبشكل عام فإنّ حجم التداول التجاري بـين فلورنسا وبين المماليك لم يكن كبيراً ولم تتعدَّ قيمة البضائع التـي كانـت تـشتريها فلورنسا من مصر وبلاد الشام سنوياً مبلغ (20.000) دوكات تقريباً ويرجـع ذلـك إلى استمرارها بالمتاجرة مع القسطنطينية حتّى بعد سقوطها بيد العثمانيين؛ الأمـر الذي كان سبباً أيضاً في عدم انتظام تجارتها مـع المماليـك [2]، وطـوال العهـد المملوكي عومل تجّار ورعايا فلورنسا معاملة حسنة، ويرجع ذلك إلى ابتعادهم عن المشاكل السياسية وعدم معارضتهم لتعليمات السلطان[3].

5. فرنسا :

بعد أن مالت الجمهوريات الإيطالية وخصوصاً جنوا إلى مهادنـة الـسلطات المملوكية بغية الحصول على امتيازات تجارية، سعت فرنسا هي الأخرى للخـروج من خمولها السابق لتنشيط علاقاتها مع المماليك بعد أن أدركـت أهميـة التعامـل التجاري للدخول إلى الشرق وتحقيق مكاسب سياسية أيضاً [4]. وقد أسـهم التـاجر الفرنسي (جاك كير) في تنشيط العلاقات التجارية بين السلطنة المملوكية وفرنـسا، واستفاد من وضعه كصاحب شركة تجارية تربطه بحكّام المماليك علاقـات متينـة استغلّها لصالح بلاده [5].

وفي سنة 851 هـ/1447م كلّف الملك الفرنسي شارل السابع أحد رجالاتـه ويدعى (جان دوفيلاج) بمهمّة لدى السلطان المملوكي جقمق، هدفها توصيته علـى التجّار الفرنسيين وإحاطته علماً بتعيين قنصل جديد، وأجابه السلطان بمـا أراد، إلاّ أنّ هذا الانتعاش في العلاقات كان قصيراً بسبب عزل (جاك كيـر) مـن منـصبه

---

(1) الخادم، **الشرق الإسلامي**، ص401.

(2) **المرجع نفسه**، ص526، 402.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص88؛ طقوش، **تـاريخ المماليـك**، ص545؛ الزيـدي، **العـصر المملوكي**، ص181.

(4) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص439.

(5) **المرجع نفسه**، ص545.

فأهملت مشاريعه التجارية، ومع ذلك بقيت سفن تجارية مجهّزة على نفقة الدولة تبحر من وقت لآخر إلى مصر. وفي سنة 860هـ/1456م تم عقد اتفاقية جديدة، واستأنف وكلاء شركة كير وموظفوها – بعد تملّك حكومة فرنسا لها – أعمالهم في السلطنة المملوكية في ظل الإدارة الجديدة، وكانت الشركة تعمل على نقل وتسويق البضائع الشرقية من الإسكندرية وبيروت إلى فرنسا وسائر الدول الأوروبية[1].

وفي سنة 874هـ/1470 م أرسل الملك لويس الحادي عشر بعثة إلى القاهرة لتهنئة السلطان قايتباي بمناسبة توليه السلطنة، وتجديد الاتفاقيات السابقة، وتم في سنة 876هـ/1472م عقد اتفاقية نصّت على : معاملة تجّار فرنسا في سائر الأراضي التابعة للدولة المملوكية معاملة جيدة، وعدم التشدد معهم أو التعرّض لهم بالأذى، وتم فيها التوسّط لتجّار جنوا لمزاولة أعمالهم التجارية في الدولة المملوكية، وجددت هذه المعاهدة سنة 890هـ/1485 م وأضيف إليها امتيازات جديدة [2].

لم تكن العلاقات المملوكية الفرنسية جيدة باستمرار، من ذلك ما حصل سنة 915هـ/1509م من اتهام الفرنسيين باشتراكهم مع فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس بمؤامرة ضد مصالح السلطنة المملوكية، فقُبض على قنصل فرنسا والرعايا الفرنسيين وسجنوا وصودرت أموالهم وممتلكاتهم، وقد استغل السلطان الغوري هذا الموقف لتحاشي خطر فرسان يوحنا في جزيرة رودس وتهديدهم للتجارة المملوكية، فسعى لتوسيط فرنسا صاحبة الهيمنة عليهم، مقابل الإفراج عن رعايا فرنسا وإعطائهم امتيازات في التجارة الشرقية وتسهيلا ت جمركية، والسماح للحجاج بالوصول إلى الأماكن النصرانية المقدسة، فرحّب لويس الثاني عشر بذلك وأرسل سفيراً إلى القاهرة لإتمام الاتفاقية [3].

هذا التقدّم في العلاقات بين فرنسا والمماليك لم يكن ليرضي البندقية خوفاً على

---

(1) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص545-546.

(2) فهمي، **طرق التجارة**، ص52؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص546.

(3) هايد، **تاريخ التجارة**، ج14، ص33، 35؛ فهمي، **طرق التجارة**، ص52؛ طقوش، تاريخ المماليك، ص546-547.

مصالحها، لكن السلطان الغوري وبحكم علاقاته الطيبة مع البندقية لم يلح في توثيق علاقاته التجارية مع فرنسا وإن رغب في توثيق العلاقات السياسية تفادياً لخطر قراصنة فرسان رودس في شرقي البحر المتوسط، ولم يستطع الفرنسيون الاستمرار في التجارة الشرقية على نطاق واسع خاصّة بعد أن أغرق البرتغاليون أوروبا بالتوابل بأسعار منخفضة[1]. وبقيت مصر وبلاد الشام طوال الفترة الأولى من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي على اتصال مع المدن الفرنسية [2]، واستمر خط مرسيليا التجاري يقوم بأعماله التجارية مع شرق البحر المتوسط ولها في مصر وبلاد الشام وكلاء وفنادق [3].

6. كتالونيا :

سلكت كتالونيا مسلكاً عدائياً في بداية الأمر تجاه الدولة المملوكية مثلها مثل جنوا، وبرزت تعديات القراصنة الكتلان على السواحل الشامية – وبدعم من الفونسو الخامس [4]؛ ورغم ذلك فقد ورد وجود سفن وتجّار كتالونيين في ميناء بيروت[5]، وكان لهم فندقٌ ومستودعٌ فيها [6].

ازدهرت تجارة كتالونيا في بلاد السلطنة المملوكية اعتباراً من سنة 817هـ/1414م وقد عانى تجّارها من الإجراءات التأديبية ومبدأ المسؤولية الجماعية[7]. وبسبب احتكار السلاطين لتجارة التوابل وتحكّمهم في أسعارها قام ملك آراغون بإرسال قراصنة إلى موانئ مصر وبلاد الشام إستولوا على خمس سفن للمسلمين في ميناء بيروت [8]، وثماني عشرة سفينة في موانئ بلاد الشام، فكان رد

---

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص107؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص547-548.

(2) لابيدوس، **مدن الشام**، ص84.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص184.

(4) دراج، أحمد، **المماليك والفرنج**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961م، ص26.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص97.

(6) صالح، **التجارة الداخلية**، ص129.

(7) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص548.

(8) المقريزي، **السلوك**، ج7، ص267؛ ابن شاهين، **نيل الأمل**، ج4، ص355.

السلطان برسباي بأنه قبض على الكتالونيين والجنويين الموجودين في بـــلاد الـــشام وتضرر تجار كتالونيا وطلبوا من الملك الفونسوا الخامس أن يعين قنصلاً للتفاوض مع السلطان[1].

وفي عهد السلطان جقمق كانت معاملته أفضل للتجار الكـــتلان، وفـــي ســـنة 842هــ/1438م قام بمقابلة القنصل الذي عينته برشلونه، وقدّم دعوة إلى الكـــتلان بالعودة إلى المتاجرة مع بلاده، لكن هذه المصالحة لم تدم طويلاً بسبب كثرة تعديات قراصنتهم [2].

وفي عهد السلطان قايتباي بدأت العلاقات تزداد حدّة رغم ما تمتّع به الكـــتلان من رعاية على عهد السلاطين اينال وأحمد وخشقدم، وذلك بسبب خطف قراصنتهم لبعض البحّارة والتجّار المسلمين في سنة 875هـــ/1470م من السواحل المصرية، وكان من بينهم بعض وكلاء السلطان التجاريين، فما كان من السلطان قايتباي إلاّ أن أصدر أوامره باعتقال كل التجّار الأجانب فـــي الإســـكندرية، وأبلـــغ قناصـــلهم أنّ حريتهم مرهونة بإعادة المخطوفين بدون فدية مع دفع تعـــويض مناســـب، فأرســـل التجّار مندوبين عنهم لحكوماتهم للسعي لدى ملـــك كتالونيـــا للاســـتجابة لمطالـــب السلطان، وقام ملك كتالونيا بأخذ فدية كبيرة من التجّار المـــسلمين مقابـــل إطـــلاق سراحهم، وأتبع السلطان قايتباي مبدأ المعاملة بالمثل فأخذ مـــن التجّـــار الأجانـــب المحتجزين نفس المقدار الذي دفعه التجّار المسلمون للكتلان، ونتج عن هذه الحادثة إبعاد تجّار كتالونيا عن مصر وبلاد الشام وأوقف التعامـــل معهـــم، ونهـــج تجّـــار الجاليات الأجنبية النهج نفسه، فقاطعوا تجّار كتالونيا وسفنها [3].

أدّى الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس إلى فشل الكتلان فـــي إعـــادة العلاقات الوديّة مع الماليك، وإصرار الملك فرديناند الخامس ملك آراغـــون وزوج

---

(1) طقوش، **تاريخ المماليك**، ص548.

(2) **المرجع نفسه**، ص548-549.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص64-65؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص549.

إيزابيلا ملكة قشتالة على إنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس(1)، واستمر التوتر في العلاقات بين السلطنة المملوكية وكتالونيا حتّى تولّى السلطان الغوري الحكم سنة 906هـ/1501م، ووصل إلى القاهرة وفد من أمراء مراكش وتونس وحكّام الولايات العربيّة في شمال إفريقيا والمهاجرون من الأندلس بعد سقوط غرناطة، وطلبوا مساعدة المماليك الحربيّة والمالية ضد نصارى اسبانيا لاستعادة غرناطة ورد هجمات الأسبان على شمال أفريقيا، وطلبوا من السلطان منع حجّاج النصارى من القدوم لأراضي السلطنة المملوكية، ومنع تجارهم من ورود مصر والشام(2).

ما أن وصلت هذه الأخبار إلى الملك فرديناند حتّى قرّر أن يسلك مسلكاً طيباً مع السلطان وأرسل سفارة إلى القاهرة سنة 907هـ/1501م برئاسة الإيطالي (بيير مارتير دانجييرا) الذي أرسل فور وصوله القنصل الكتالوني (فيليب دي بيردز) والذي يمثّل فرنسا في الوقت نفسه إلى القاهرة لأخذ الأذن بمقابلة السلطان. وافق السلطان الغوري على مقابلة المبعوث الذي بيّن سياسة الملك فرديناند، وأنّه سيحيط المسلمين في دولته بعنايته، وأدّت السفارة لإصلاح العلاقة بين البلدين، وتضمّنت محادثات تجارية بتسهيل قدوم تجّار كتالونيا إلى بلاد السلطان، وتمتعهم بإعفاءات وتسهيلات أسوة ببقية تجّار أوروبا، وعدم فرض رسوم أو ضرائب جديدة عليهم، أمّا الملك فردينان فقد سعى إلى تشجيع التجارة الخارجية مع المماليك وأوفد القناصل ووكلائهم إلى موانئ مصر والشام(3).

جرت الأمور على هذا النحو حتّى وصلت أخبار نجاح البرتغاليين في الوصول إلى الهند، وأنهم ثبتوا أقدامهم في موانئ ساحل الهند الغربي، فأصبحت البرتغال وسيطة التجارة بين الشرق والغرب وأغرقت أوروبا بالسلع الشرقية بأسعار رخيصة، فوجد تجّار كتالونيا سهولة ويسراً في ارتياد أسواق البرتغال وأهملوا اتصالهم بموانئ مصر والشام، ولم يعد الملك فرديناند بحاجة إلى احترام ما

---

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص65؛ طقوش، **تاريخ المماليك**، ص549.

(2) فهمي، **طرق التجارة**، ص67، طقوش، **تاريخ المماليك**، ص549-550.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص67-69.

تعهد به للسلطان الغوري، ولم تعد سفنه ترد إلى الموانئ المملوكية [1].

7. جزر البحر الأبيض المتوسط (قبرص، رودس، كريت):

كما أشرنا سابقاً فقد لعبت قبرص أول الأمر دور الوسيط التجاري بين ميناء بيروت وأوروبا، حيث كانت سفن البندقية تصل إلى جزيرة قبرص ومن هناك يتم نقل بضائعها على متن السفن القبرصية إلى ميناء بيروت[2]، ثم انتهت هذه الوساطة بسبب تعديات القبارصة على الموانئ المملوكية، وتَمكُّن السفن الأوروبية من الوصول إلى ميناء بيروت مباشرة، وبعد ذلك أصبحت قبرص محطة بحرية على الطرق التجارية بين الشرق والغرب، واستمرت تتاجر مع ميناء بيروت والموانئ الشامية الأخرى، ومع أنّ الجزيرة خضعت للسلطات المملوكية سياسياً وتجارياً؛ إلاّ أنّ الإدارة المالية فيها كانت تخضع لبنك سان جورج الجنوي مما جعل لجنوا شبه إشراف مالي على الجزيرة وبخاصة على ميناء الماغوصة (فماجوستا) [3].

أمّا جزيرة رودس فقد ظلّت مصدر إزعاج للسلطات المملوكية للصفة الصليبية المتأصّلة في نفوس حكّامها من تنظيم فرسان القديس يوحنا، وقيامهم بأعمال القرصنة في المياه الشرقية للبحر المتوسط، فسلك المماليك مسلك الاعتدال معهم لحماية مصالحهم التجارية، فسمحوا لهم بالحج إلى مقدساتهم النصرانية بشروط معتدلة، وكان لهم أحياناً قناصل تجاريون وسياسيون مؤقتون في الموانئ المملوكية، ولم يسلم قناصلهم وتجّارهم من الإجراءات التأديبية التي اتبعها سلاطين المماليك مع التجّار الأجانب في حال ساءت العلاقات السياسية [4].

أمّا جزيرة كريت فتقع على الطريق التجاري البحري إلى شرق البحر المتوسط، كما أنّها محطة للسفن الكبيرة [5]، وكانت سفنها على اتصال بالموانئ

---

(1) فهمي، **طرق التجارة**، ص69-70.

(2) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص50.

(4) **المرجع نفسه**، ص51.

(5) **المرجع نفسه**، ص181.

المملوكية على البحر المتوسط خاصّة الإسكندرية وبيروت[1].

3.3.5 العوامل المؤثِّرة على الحركة التجارية :

من خلال الأحداث العامّة والظروف السياسية التي عصفت بالمنطقة خلال العهد المملوكي فإن التجارة المملوكية الخارجية عانت من بعض المشاكل والعقبات التي أثّرت فيها وفي مقدار تعامل الجهات الأخرى معها وهذه العقبات تمثّلت فيما يلي:

1. قرار التحريم الذي أصدرته البابوية بعد فتح المسلمين لعكا وطرد الصليبيين من الساحل الشامي الأمر الذي دعا البابوية إلى اتخاذ قرار بحرمان أي جهة من رعاياها تتعامل مع الدولة المملوكية تجارياً وهذا شمل جميع المدن والجمهوريات الأوروبية وسعت البابوية من وراء ذلك إلى تضييق الخناق على المماليك وإضعافهم حتّى تتمكن من تحقيق أحلامها في الرجوع إلى بيت المقدس .

   وبالنسبة للمدن والجمهوريات التي ارتأت تقديم مصالحها التجارية فإنها لم تلتزم بقرار البابوية، فهي مدن تجارية والتجارة عصبها الرئيس، واستمرار نجاحها مرهون بحفاظها على علاقاتها التجارية مع المماليك المموّل الرئيس لأوروبا بكل ما تحتاجه من السلع الشرقية في جنوب أسيا؛ وأمام هذا الوضع نجد البابوية تقصر التحريم على سلع معينة اعتبرتها إستراتيجية في تقوية المماليك عسكرياً، ومع ذلك كله يبدو أنّ هذا القرار كان حبراً على روق ورغم استمرار المناداة به لم يجد آذاناً صاغية مما دعا البابوية إلى التراجع عن هذا القرار لاحقاً .

2. الغارات الإفرنجية المتكرّرة على الساحل الشامي وعلى ميناء بيروت والتي بغض النظر عن أهدافها أربكت عملية التجارة، وهددت الخطوط

(1) صالح، **التجارة الداخلية**، ص129.

التجارية التي تربط الدولة المملوكية بجنوب أوروبا.

3. القرصنة البحرية في البحر المتوسط من قبل قراصـنة جنـوا وكتالونيـا وقبرص وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس، هذه أيضاً أثّرت علـى الحركة التجارية والتي تعرّضت لها بالدرجة الأولى السفن الأوروبية، لأن المماليك ينتهي دورهم بإيصال السلع الشرقية إلى مـوانئهم علـى البحـر الأبيض المتوسّط، ومن هناك يتولّى التجّار الأوروبيون نقله إلى بلـدانهم، أيضاً أثّرت عمليات القرصنة على العلاقات السياسية وأدّت إلـى قطعهـا أحياناً، وإلى تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية بحق جميع الرعايا الأوروبيين المقيمين في بلاد السلطنة المملوكية .

4. الاكتشافات الجغرافية التي عدت نهاية للعصور الوسطى وبداية للعـصور الحديثة، وأودت إلى اكتشاف البرتغـال لطريـق رأس الرجـاء الـصالح والوصول إلى الهند عبر الالتفاف حول قارة إفريقيا، وما تبعه مـن تغيّـر على طرق التجارة العالمية، وبروز بلدان معينة يقابله خفوت بلدان أخـرى من ضمنها السلطنة المملوكية التي بقيت ردحاً طويلاً الوسيط والمتحكّم في التجارة العالمية بين الشرق والغرب، ومع وصول البرتغـال إلـى الهنـد عملت على توسيع تجارتها ونشرها؛ ففي أوروبا تواصلت مع كافة البلدان الأوروبية وأمّنتها بالتوابل النقيّة والرخيصة، مما جعل هذه البلدان تهجـر الموانئ المملوكية بحثاً عن الجودة والربح، كما عملـت البرتغـال علـى توسيع علاقاتها في الهند وتعدت ذلك إلى الاعتداء على الـسفن التجاريـة المملوكية القادمة إلى الهند، وبذلك تكون البرتغال قـد ضـربت التجـارة المملوكية في منبعها ومصبّها بحيث حرمتها من تأمين حاجاتها التجاريـة من الهند، وأخذت منها زبائنها الأوروبيين.

5. الفتح العثماني للقسطنطينية عام 857هـ/1453م؛ وهو العامـل الإيجـابي الوحيد من ضمن العوامل التي أثّرت على التجارة المملوكيـة الخارجيـة، وهذا العامل جعل جميع التجّار الأوروبيين الذين فقـدوا مراكـزهم فـي

القسطنطينية يتوجهون إلى الموانئ المملوكية لتعويض ما فقدوه .

4.5 الضرائب :

1. الخراج : وهي ضريبة سنوية تدفع مقابل أستغلال الأرض، ويدفعها الفلاح لصاحب الأقطاع ليؤديها إلى خزانة الدولة[1]، وفي ولاية بيروت كان يتم استيفاؤها بأخذ حصة من المحصول، وهو ما يعرف بالمقاسمة فيدفع الثلث أو الربع إذا كانت بعلاً، أمّا إذا كانت مروية فيدفع نصف غلتها، وإذا كانت الأرض مستغلّة حديثاً فيدفع خمسها أو سدسها، أمّا الأراضي الواقعة على الساحل والمعرّضة لغزوات الفرنج فلا يدفع من غلتها إلاّ السبع أو الثمن، ولتسهيل معاملات استيفاء هذه الضريبة، فإن الأرض المزروعة بالحبوب يؤخذ الخراج من حبوبها، والأرض المشجّرة يدفع خراجها نقداً، وبساتين الزيتون زيتاً، وأشجار التوت حريراً، وهكذا، وطريقة الاستيفاء هذه لم تتخذ شكلها إلاّ بعد سنة 713هـ/1313م[2].
2. العشر: وهي في الشريعة الإسلامية زكاة أو صدقة المحاصيل والثمار.
3. الجوالي : وتسمّى في الشريعة الإسلامية بالجزية ؛ وهي ضريبة شخصية تفرض على الرجال من أهل الذمة دون النساء والأطفال ؛ وكان يتم إقطاعها أحياناً [3].
4. عشور التجارة : ضريبة تفرض على التجار غير المسلمين الداخلين على ديار الإسلام بمقدار العشر من بضاعتهم، وكانت تؤخذ من التجار الأجانب في ميناء بيروت، وكان سلاطين المماليك يجبون العشر من المراكب التجارية التي تصل إلى الموانئ الشامية، وكان قنصل كل جالية مسؤول عن الرسوم المتوجبة على جاليته، وأحياناً تنزل قيمة هذه

(1) النويري، نهاية الأرب، ج8، ص180.

(2) بولياك، **الاقطاعية**، ص177-178.

(3) أنظر : النويري ، **نهاية الأرب**، ج8، ص172-179؛ بولياك، **الاقطاعية**، ص185.

الضريبة إلى الخمس بحسب الاتفاقيات ومعاهدات الصلح[1]. ولم تسلم هذه الضريبة من عسف النواب والأمراء ؛ ففي سنة 904هـ/1499م كان نائب الشام يتسلّط على ميناء بيروت ويصادر الفضة والجوخ من تجّار الفرنج، ويختم على بضائعهم لتقدر وتباع بأضعاف ثمنها لتزيد بذلك ضريبة العشر ويستولي عليها [2].

5. موجب باب ميناء بيروت: وهي الرسوم والجمارك التي تؤخذ عند باب الميناء على الصادرات والواردات، وميناء بيروت من أغنى الموانئ الشامية، ومتحصل الجمارك فيه مرتفع ومنه يتم دفع الرواتب والمصروفات لشادية الميناء، وما يزيد عن ذلك ينقل إلى دمشق، وأحياناً يتم إقطاع هذا المتوفر لبعض الأمراء، وكثيراً ما كان يتم التجاوز عليه من الولاة والعمال. وكان الميناء يضمن أحياناً، وقد تضمنه أحد أمراء الغرب وهو الأمير عز الدين جواد بن علم الدين سليمان[3].

6. الضرائب الهلالية : سميت هلالية نسبة إلى الهلال وتجبى شهرياً حسب التقويم القمري، وكانت مفروضة على الأملاك المسقفة من الدور والحوانيت والحمامات والأفران وارحية الطواحين ومعاصر قصب السكر[4]، وفي بيروت كانت هناك ضريبة خاصّة على معاصر قصب السكر، وتؤخذ بعد أن يحسب الموظف المختص كل الكميات المعتصرة[5]، وذكر بولياك وجود طواحين الماء في المناطق اللبنانية[6].

---

(1) صالح، **التجارة الداخلية**، ص61، 164، 253.

(2) ابن طولون، **مفاكهة**، ق1، ص214.

(3) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص35-36، 174.

(4) النويري، **نهاية الأرب**، ج8، ص168؛ الطراونه، **صفد**، ص180-181.

(5) العلبي، **دمشق**، ص233.

(6) بولياك، **الإقطاعية**، ص183.

7. ضريبة فطرة صيام شهر رمضان: أقطعت ضريبة الفطرة سنة 775هـ/ 1356م للأمير سيف الدين طبطق الرماح معلم الخاصكية السلطانية الإشرافية، وأفتى الأئمة بجواز ذلك، فسعى الأمير زين الدين صالح بن ناصر الدين الحسين لإبطالها بعد تعب وغرامة دفعها من ماله الخاص ؛ وجرى إقطاعها مرة أخرى في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق وسعى الأمير شرف الدين عيسى بن شهاب الدين أحمد بن زين الدين صالح لإبطالها اقتداءً بجده وغرم عليها من ماله الخاص[1].

8. الضريبة المفروضة على الخبّازين، استحدثها نائب الحسبة الشريفة على الخبّازين ببيروت، ففرضت خمسة أمداد على كل فرن سنوياً، وفي سنة 806هـ/1403م أبطلت هذه الضريبة وأنه لا يجب على المحتسب أن يأخذ شيئاً غير راتبه [2].

9. ضريبة الأرضية : وهي ضريبة تفرض على بضائع التجّار الأجانب التي تبقى في الموانئ المملوكية، وقد وجدت البندقية حلاً حتى لا تقوم بدفع هذه الضريبة من خلال تخصيص سفن تسمى سفن فائض المدة؛ مهمتها نقل هذه البضائع التي كانت تزيد عن حمولة السفن التجارية البندقية [3].

10. رسم الأعياد والخميس: وهو عبارة عن هدايا تدفع نقداً في أوقات معينة من السنة[4].

11. الفروض الإضافية : ضرائب غير منتظمة يفرضها سلاطين المماليك لمواجهة بعض الطوارئ وإعداد الحملات العسكرية، وقد شملت هذه الضرائب ولاية بيروت، فكانت تفرض عليها الضرائب لتغطية نفقات

---

(1) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص178، 208.

(2) لمعي، **مساجد بيروت**، ص23.

(3) فهمي، **طرق التجارة**، ص270.

(4) بولياك، **الإقطاعية**، ص183.

الحملات العسكرية [1]، وقد ورد قيام السلاطين بإبطال المكـــوس فـــي بلاد الشام والسواحل [2]، كما كان لأمراء الغرب دور في إلغـــاء هـــذه الضرائب ورفع الظلم عن الرعية [3].

5.5 النقود :

بالإضافة إلى النقود المملوكية التي كانت متداولة في أنحاء السلطنة (الـــدنانير والدراهم والفلوس) [4]، فقد عرفت مدينة بيروت التعامل بعملات أجنبية أخرى، ومرّ بنا أثناء الحديث عن التجارة الخارجية تعامل التجار فيها بالدينار الأفرنتـــي نـــسبة لفلورنسا والدوكات نسبة للبندقية، كما أن بعض المعاهدات التـــي أقامتهـــا الدولـــة المملوكية مع الدول والمدن التجارية تضمن امتياز حرية التعامل بعملتها كما حصل مع فلورنسا والسماح لتجّارها بالتعامل بعملتهم (الدينار الأفرنتي) .

6.5 الأسعار

لا يوجد لدينا إشارات عن مستوى أسعار السلع في ولاية بيروت ولكن هنـــاك بعض الحالات التي كانت تشهد ارتفاعاً ملموساً في الأسعار ويعاني منها الناس شدة الغلاء من ذلك أنه في شهر صفر سنة 744هـــ/1343م، عند عودة أمراء الغـــرب من حصار الكرك، كانت الولاية تعاني من ارتفاع الأسعار ووصف الأمير ناصـــر الدين الحسين هذا الغلاء بقوله : " كان الشيء غالي الكيل، الـــدقيق بثمـــان عـــشر، والخبز ثماني أواق دمشقية بدرهم، والشعير الكيل بعشرة دراهم، والبـــصل والخـــل الرطل بأربعة، والزيت بستة، والدبس وغير ذلك من الأصـــناف متعـــذر الوجـــود، والحب رمان الرطل بأربعة، وكذلك الجبن" [5].

---

(1) الياس، **المناخ**، ص344.

(2) الذهبي، **دول الإسلام**، ج1، ص232؛ ابن الوردي، **المختصر**، ج2، ص379.

(3) ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص799.

(4) Ziadeh, **Damascus**, p 88.

(5) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص102-103.

7.5 الأوزان والمكاييل والمقاييس.

كجزء من نيابة دمشق استخدمت ولاية بيروت المكاييل والأوزان المستخدمة في نيابة دمشق.

بشكل عام فإن وحدة الوزن المعروفة في بلاد الشام هي الدرهم ومضاعفاته كالأوقية والرطل والقنطار، وكان الدرهم كوحدة وزن يعادل (60) حبة شعير، ويعادل في النظام المتري، (3.0898) غم، والأوقية تعادل (12) درهماً، والرطل يعادل (12) أوقية، والقنطار يعادل (100) رطل [1]، وقد ذكر سعيد صالح أن رطل بيروت يعادل (2250)غم، واستخدم لوزن البهارات والقطن والبضائع الثقيلة[2]، وفي منطقة الغرب من ولاية بيروت عرف الرطل الجبلي ويعادل (3) أرطال دمشقية [3].

أمّا بالنسبة للمكاييل فقد استخدمت الغرارة الدمشقية، وكانت تساوي(12) كيلاً أو قفيزاً ونصف، وتساوي بالنظام المتري حوالي (204.5 كغم، فيكون بذلك وزن الكيل حوالي (17) كغم، والقفيز (136) كغم، وقد كان القفيز يساوي أربع ويبات، وبذلك يكون وزن وبية (34) كغم، وكان المكوك يتألف من ثلاث كيالج، فيكون وزن الكيلجة (5.6) كغم، والكيلجة تعادل صاع ونصف، فيكون وزن الصاع (3.8) كغم تقريباً [4]، وذكر سعيد صالح أن غرارة بيروت كانت تساوي (178.35) كغم[5]، ومن المكاييل التي عرفت في ولاية بيروت الجوال أو الجولق والذي كان يستخدم كعبوة للقطن الخام والمغزول، ويساوي خمسين رطلاً دمشقياً، ويعادل (91)

---

(1) هنتس، **المكاييل والأوزان الإسلامية**، ص11، 13، 19، 20، 33؛ الطراونه، **صفد**، ص187.

(2) صالح، **التجارة الداخلية**، ص193.

(3) ابن سباط، **تاريخه**، ج2، ص739.

(4) هنتس، **المكاييل والأوزان الإسلامية**، ص64، 68، 70، 71، 79، 80 ؛ الطراونة، **صفد**، ص187 .

(5) صالح، **التجارة الداخلية**، ص198.

كغم[1]، أيضاً استخدم في ولاية بيروت البالات والتي يبدو أنها كانت تستخدم لكيـــل الفلفل[2].

أمّا المقاييس فكان هناك الفدان والقــصبة والــذراع، وكــان الفــدان يعــادل (6368)م^2، والقصبة (3.99 م)، بينما يعادل الذراع نحو 50.3 سم[3].

---

(1) صالح، **التجارة الداخلية** ، ص200.

(2) هايد، **تاريخ التجارة**، ج4، ص14.

(3) هنتس، **المكاييل والأوزان الإسلامية**، ص83، 92، 94، 96- 98 ؛ الطراونـــه، **صـــفد**، ص188.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج لعل من أهمها :

1. أعتنت الدراسة ببيان موقع مدينة بيروت مركز الولاية جغرافياً وفلكياً، وتعيين الحدود الإدارية للولاية ومدى مساهمة التضاريس في تشكيلها، وبيان المرافق العسكرية والتجارية والدينية والحارات والمحلات في المدينة، وبيان ماأحتوت الولاية من القرى، وزودت الدراسة بخريطة تبين موقع هذه القرى. أمّا النواحي الجغرافية في الولاية فقد اقتصرت على السهول الساحلية والخلجان والرؤوس البحرية والمرتفعات الجبلية في الجهة الشرقية من الولاية. كذلك تم توضيح طبيعة المناخ في ولاية بيروت من حيث الحرارة والرياح والأمطار والأقاليم المناخية ومصادر المياه في الولاية من أنهارٍ وينابيع.
2. خضعت ولاية بيروت للنظام الإداري المملوكي وأُلحقت بنيابة دمشق وشكّلت إحدى الولايات الخمس التي ضمتها الصفقة الثالثة (الشمالية) من صفات نيابة دمشق الأربع . ووجد فيها عددٌ من الوظائف العسكرية والديوانية والدينية ، وتم وضع قائمة لولاة بيروت وقضاتها في العهد المملوكي .
3. تأثّرت ولاية بيروت في الأحداث العامة (الداخلية والخارجية) التي عانت منها دولة المماليك، وكانت غارات الفرنج على ولاية بيروت والساحل الشامي أبرز تلك الأحداث، وقد تم تناول هذه الغارات مع بيان دوافعها ونتائجها. كذلك الدور الذي لعبته الولاية في فتح جزيرة قبرص، يضاف إلى ذلك مدى تأثّر الولاية بالهجمة المغولية على بلاد الشام سنة 803 هـ/1401 م ودورها في التصدي لها. وفيما يتعلق بالأحداث الداخلية فقد عانت ولاية بيروت من صراع أُمراء المماليك على السلطة وانقساماتهم وتمرّدهم.
4. توصلت الدراسة كذلك إلى أنّ السكان في ولاية بيروت كانوا ينقسمون من الناحية العرقية إلى التركمان، والأتراك والجراكسة، والعرب، والأقليات

الأجنبية؛ ومن الناحية الدينية إلى أهـل الذمـة (اليهـود والنـصارى)، والمسلمين (الشيعة والدروز والسنة)، أمّا من ناحية نمط المعيـشة فقـد غلب على سكانها الطابع الحضري. كما أظهرت الدراسة تفوّق آل بحتـر التنوخيين وتزعّمهم للولاية طيلة العهد المملوكي. ووضّحت الوضع الثقافي في ولاية بيروت والنشاط العلمي فيها خلال العهد المملوكي.

5. عالجت الدراسة الوضع الاقتصادي لولاية بيروت في العهد المملوكي مـن زراعة وما يتبعها من ملكية الأرض واستغلالها والمنتجات الزراعية فـي الولاية. كذلك بينت النشاط الحرفي والصناعات التي عرفتها الولاية، أمّـا التجارة بشقيها الداخلي والخارجي فقد شكّلت الركيزة الأساسـية للنـشاط الاقتصادي في ولاية بيروت، وكان ميناؤها حافلاً بالتجّـار مـن مختلـف المناطق، ووجد في الميناء هيئة إدارية لتنظيم الحركة فيه وإدارته، ومنـه يتم استيراد وتصدير سلع عديدة أبرزها التوابل التي كانت تُجلب من الهند وجنوب آسيا وتصدر إلى أوروبا، وارتبطت ولاية بيروت بعلاقاتٍ تجارية مع المدن الأوروبية وأبرزها مدينة البندقية، لكن هـذه العلاقـات كانـت مرهونة بالحالة السياسية والمعاهدات التي تربط الدولة المملوكية بأوروبا .

المراجع

أ. المراجع باللغة العربية .

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت 630هـ/ 1232م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، م، ط1، 2002م .

ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت 729هـ/ 1329م) ، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، نقل وتصحيح روبن ليوى، مطبعة دار الفنون، كيمبرج، 1937م.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت 1089هـ/ 1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق : عبد القادر ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق،(1406 هـ/ 1986م).

ابن الوردي، زين الدين عمر (ت 749هـ/ 1348م)، **تاريخ ابن الوردي**، دار الكتب العلمية، 1996م .

ابن بطوطه، شمس الدين محمد بن عبدالله الطنجي (ت 779هـ/ 1377م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق : عبد الهادي النازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997.

أبن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م)، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق محمد أمين واخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أبن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ط1.

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م)، **حوادث الدهور في مدى الايام والشهور**، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، القاهرة، 1990م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م)، **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، تحقيق نبيل محمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 853هـ/ 1449م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1966م، ط2.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 853هـ/ 1449م)، **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986 م، ط2.

ابن حجي، شهاب الدين أحمد (ت 816هـ/ 1413م)، **تاريخ ابن حجي**، دار ابن حزم، بيروت، 2003م.

ابن حوقل، أبو القاسم (ت بعد 367هـ/ 977م)، **صورة الأرض**، مطبعة بريل، مدينة ليدن 1938 م، ط2.

ابن زنبل، أحمد بن علي بن أحمد (ت 980هـ/ 1572م)، **تاريخ غزوة السلطان سليم مع قانصوه الغوري**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت بعد 927هـ/ 1521م)، **صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط** ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، منشورات جروس بروس، طرابلس، 1993م.

ابن شاهين، عبد الباسط بن خليل (ت 920هـ/ 1514م)، **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت،2002م،ط1.

ابن شاهين، غرس الدين خليل (ت 873هـ/ 1468م)، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت 953هـ/ 1546م)، **إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق محمد دهمان، دار الفكر، دمشق، 1984م، ط2.

ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت 953هـ/ 1546م)، **اللمعات البرقيـــة**، مكتبة القدسي والبدير، دمشق، 1929م

ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت 953هـ/ 1546م)، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1962م.

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 742هـ/ 1341م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: محمد خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الأمارات العربية المتحدة، 2001.

ابن قاضي شهبة، تقي الدين ابو بكر أحمد (ت 851هـ/ 1448م)، **تاريخ أبن قاضي شهبة**، تحقيق عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، 1977م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت 744هـ/ 1372م)، **البداية والنهاية**، تحقيق : أحمد ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1988م.

أبو العينين، حسن، **دراسات في جغرافية لبنان**، دار النهضة العربية، بيروت، 1968م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت 732هـ/ 1330م)، **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت 732هـ/ 1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

أبو صالح، عباس، **تاريخ الموحدين الدروز في المشرق العربي**، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء.

أبو عز الدين، نجلاء، **الدروز في التاريخ**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م.

أبو عليان، عزمي، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك "648-923/ 1250-1517 م"**، دار النفائس، ط1، عمان، 1995م.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله(ت 560هـ/ 1166م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، 1989، ط1.

ارشيبالد، لويس، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 – 100 م)** ترجمة أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

آشتور، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى**، ترجمة عبد الهادي عبله، دار قتيبة، دمشق، 1985م.

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت 346هـ/ 957م)، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد الحسيني، دار القلم، القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة، 1961 م.

ألياس، فادي، **المناخ والأسعار والإمراض في بلاد الشام في عصر المماليك (648-922هـ/1250-1516م)**، بيروت، 1998م.

البتاني، أبو عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحراني (ت 317هـ/ 929م)، **كتاب الزيج الصابئ**، طبعه وصححه الدكتور كرلو نالينو، روما، 1899م.

البستاني، بطرس، "**بيروت**"، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت.

البستاني، فؤاد، **لبنان مباحث علمية واجتماعية**، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية 18، بيروت، 1969.

البصروي، علي بن يوسف بن أحمد (ت 905هـ/ 1500م)، **تاريخ البصروي: صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك من سنة 871هـ ولغاية 904هـ**، تحقيق أكرم العلبي، دار المأمون للتراث، دمشق، 1988م.

بطليموس القلوذي(القرن الثاني للميلاد)، **كتاب صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار**، استخرجه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، نسخ وتصحيح هانس فون مزيك، مطبعة آدولف هولز هوزن، فينا، 1926م.

البغدادي، صفي الدين مؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ/ 1338م)، **مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م، ط1.

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 279هـ/ 892م)، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبدالله وعمر الطباع، دار النشر للجامعيين، 1957 م.

بني حمد، فيصل، **الأسواق الشامية في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك 1992م.

بولياك، **الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان**، ترجمة عاطف كرم، منشورات دار المكشوف، بيروت، 1948م.

تدمري، عمر، "الرباط في ثغور الشام"، **مجلة الفكر الإسلامي**، ع11، سنة11 تشرين الثاني 1987، ص83-91.

الجوارنة، أحمد، **تاريخ الأردن في العصر المملوكي**، مؤسسة آل البيت، عمان، 1999م.

جيده، أحمد، **المدارس ونظام التعليم في لبنان في العصر المملوكي (648-923هـ/ 1250- 1517م)**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2001م.

حتى، فيليب، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، 1959م.

حتى، فيليب، **لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر**، ترجمة أنيس فريحه، دار الثقافة، بيروت، 1959م.

حطيط، أحمد، **تاريخ لبنان الوسيط**، منشورات دار البحار، بيروت، 1986م.

الحمود، رنا، **حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 1996م.

الحموي، ياقوت (ت 626هـ/ 1228م)، **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت.

الحميري، محمد بن عبد المنعم ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984، ط2.

الخادم، سمير علي، **الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الايطالية وشرقي البحر المتوسط، 1450-1517م**، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ط1، 1989م.

الخرابشة، سليمان، **نيابة طرابلس في العصر المملوكي**، لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، 1985م.

خوري، رنا يوسف، **بيروت في المصادر العربية**، مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1995.

دراج، أحمد، **المماليك والفرنج**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961م.

دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1990م.

دو بويسون، دومنيل، "استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة"، **مجلة المشرق**، ع9، السنة 20، أيلول 1922م، ص752-772.

الدواداري، ابن أيبك (ت 734هـ/ 1334م)، **كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)**، تحقيق: هانس روبرت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960.

الدويهي، اسطفان ، **تاريخ الأزمنة**، تعليق بطرس فهد، 1976.

دي لابروكيير، برتراندون، **رحلته إلى فلسطين ولبنان وسورية (1432م)**، ترجمة محمود زايد، مكتبة محمود علي الغول.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ/ 1347م)، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ/ 1347م)، **دول الإسلام**، إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، 1988م.

رحلة بارتيما إلى الحجاز واليمن والهند، **مجلة المقتطف**، ج6، مج 37، 1 كانون أول 1910م، ص1174-1180.

ريان، محمد رجائي، "الإقطاع العسكري في العهدين المملوكي والعثماني"، **مجلة الدارة**، ع2، 1988م، ص21-27.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الأعلام**، دار العلــم للملايــين، 2002م، ط15

زيادة، نقولا، **مدن عربية**، منشورات دار الطليعة، ط1، بيروت، 1965 م.

زياده، نقولا، **رواد الشرق العربي في العصور الوسطى**، منشورات مجلة المقتطف، ط1، 1943م.

زيتون، عادل، **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوســطى**، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1980م.

الزيدي، مفيد، **موسوعة التاريخ الاسلامي: العصر المملوكي (648- 923هــــ/ 1250- 1517م)**، دار أسامه، عمان، 2003م.

سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي**، مؤســسة شــباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1986م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت 771هــ/ 1369م)، **معيد النعم ومبيــد الــنقم**، تحقيق : محمد النجار وآخرون، دار الكتــاب العربــي، ط1، القــاهرة، 1948 م.

سبيتي، مصطفى محمود، **الحياة الفكرية للأقليات المذهبية في لبنــان فــي العهــد المملوكي: الشيعة، الدروز، المورنة**، دار المواسم ، بيروت، 2007م.

سترانج، لي، **فلسطين في العهد الإســلامي**، ترجمة محمود عميره؛ منــشورات دار الثقافة والإعلام، ط1، 1970م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هــ/ 1497م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هــ/ 1497م)، **وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام**، تحقيق بــشار عــواد وآخــرين، مؤســسة الرسالة، بيروت، 1995م.

سعيد، إبراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، دار المعارف، 1983م.

السيد، محمود، **تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي**، مؤسسة شــباب الجامعــة، الاسكندرية 1997م.

شبارو، عصام، **تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين**، دار مصباح الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.

الشدياق، طنوس بن يوسف ، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، تحقيق : مارون رعد، دار نظير عبود، 1995 م، 2ج.

الشوكاني، محمد بن علي (ت 1255هـ/ 1839م)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

شيخو، لويس، "بيروت أخبارها وآثارها"، **مجلة المشرق**، مج24، 1962م، ص 114-119.

الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، **المهذب في فقه الامام الشافعي**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

صالح بن يحيى (ت 840هـ/ 1436م)، **تاريخ بيروت**، تحقيق : فرنسيس اليسوعي وكمال الصليبي، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986م.

صالح، سعيد، **التجارة الداخلية في دولة المماليك الثانية (784- 922هـ/ 1382- 1516م)**، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الاردنية، 1992.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/ 1363م)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تصدير فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية، فرانكفورت، المانيا، 1990م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/ 1363م)، **الوافي بالوفيات**، أعتناء أيمن فؤاد سيد، 1988م.

الصيرفي، نور الدين جوهري علي بن داود (ت 900هـ/ 1494م)، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق : حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970م.

الطراونة، ثروة، **السياسة الخارجية للسلطنة المملوكية في عهد الأشرف برسباي (825- 841هـ/ 1422- 1438م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 1999م.

الطراونه، طه، "الناصر محمد بن قلاوون وسيف الدين تنكز من الأنسجام إلى التناقض"، **مجلة مؤته للبحوث والدراسات**، مج22، ع5، 2007م، ص241-282.

الطراونه، طه، **مملكة صفد في عهد المماليك**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982م.

طرخان، ابراهيم، **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ،1968م.

طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام 648-923هـ / 1250-1517 م**، دار النفائس، ط1، بيروت 1997م.

العابدي، محمود، **أجانب في ديارنا**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1974م.

عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1962م.

عباس، إحسان، **تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك 648-923 هـ / 1250-1517 م**، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 1998 م.

العصامي، عبد الملك بن حسين (ت 1111هـ/ 1699م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط1.

العلبي، أكرم، **دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين**، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 1982م.

العملة، عبد الجبار، **نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز الحسامي الناصري**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2000م.

عواد، ابراهيم، "لبنان في عهد المماليك"، **مجلة المـشرق**، ع40، 1942م، ص 3-29.

العيني، بدر الدين محمود (ت 855هـ/ 1451م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان حوادث وتراجم 689-698هـ/ 1290- 1298م**، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م.

الغامدي، عبدالله سعيد، **جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري**؛ معهد البحوث الإسلامية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكّرمة.

غوانمه، يوسف، **تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى (القسم السياسي)**، وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1979م.

فضل الله، عبد الرؤوف، **لبنان دراسة جغرافية**، مكتب كريديه أخوان، بيروت، 1983م.

فهمي، نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

قرقوتي، حنان، **بيروت ودورها الجهادي منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية؛ دار الفكر، بيروت، 1987- 1989م، ط1.

الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ/ 1363م)، **فوات الوفيات**، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط1.

كرد علي، محمد، **خطط الشام**، المطبعة الحديثة، ج1، ج2، 1925م، مطبعة الترقي، ج3، ج4، ج5، 1926م، مطبعة المصيدر، ج6، 1927م، دمشق.

لابيدوس، ايرا مارفين، **مدن الشام في العصر المملوكي**، ترجمة سهيل زكار، دار احسان للطباعة والنشر ، دمشق ،ط1، 1985م.

لامنس، هنري، "الأخ غريفون وجبل لبنان في القرن الخامس عشر"، **مجلة المشرق**، ع1، السنة الأولى، 1898م، ص 69-77.

لامنس، هنري، "غابة الصنوبر في بيروت"، **مجلة المشرق**، ع20، السنة الأولى، 15 تشرين أول 1898م، ص914-939.

لامنس، هنري، **تسريح الإبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار**، دار نظير عبود، بيروت، 1992.

لمعي، صالح، **مساجد بيروت**، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1978م.

لورته، لويس، **مشاهدات في لبنان: فصول عن لبنان من كتاب "سوريا اليوم"**، ترجمة كرم البستاني، دار نظير عبود، بيروت، 1995م.

مارسيه، جورج، **الرباط**، دائرة المعارف الأسلامية، إعداد وتحرير أحمد الشنتاوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة، ج10، ص 19- 24.

مرهج، عفيف بطرس، **اعرف لبنان- موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، المطابع الأهلية اللبنانية، بيروت، 1971-1972م.

المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/ 1286م)، **الجغرافيا**، تحقيق : إسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970 م.

المقدسي، محمد بن أحمد (ت 375هـ/ 985م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، دمشق، 1980م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية؛ بيروت، ط1، 1997.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م)، **درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة**، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1995.

مكرزل، بيار، "التجار البنادقة في بيروت في العهد المملوكي"، **جريدة النهار اللبنانية**، ع 23868، 7 تشرين الثاني 2009م، ص19.

مكرزل، بيار، "الفرنسيسكان ودورهم في لبنان منذ القرن الثالث عشر"، **جريدة النهار اللبنانية**، ع23628، 27 شباط 2009م، ص 17.

مكي، محمد علي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني 635-1516 م**، دار النهار للنشر، بيروت، 1979م.

المنصوري، بيبرس الدودار (ت 725هـ/ 1325م)، **مختار الأخبار**، تحقيق: عبد الحميد حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م.

موسوعة لبنان- دليل المدن والقرى وعائلاتها، الناشر: EDITO CREPS INTERNATIONAL، بيروت، 1998م.

النعيمي، عبد القادر بن أحمد (ت 927هـ/ 1521م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، فهرسة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

النويري، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب (ت 832هـ/ 1331م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق مفيد قميحه وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

هايد، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، ترجمة أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

هنتس، فالتر، **المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها بالنظام المتري**، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، 1970م.

الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر (207هـ/ 822م)، **فتوح الشام**، منشورات مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1954، ط3.

الوالي، طه، "المساجد"، **مجلة الفكر الأسلامي**، ع12، 1970م، ص38-47.

الوالي، طه، "بيروت القديمة تاريخها وتطورها"، **مجلة الفكر الإسلامي**، ع1، السنة العاشرة، كانون الثاني 1981م، ص94-101.

الوالي، طه، "تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت"، **مجلة الفكر الإسلامي**، ع12، السنة الأولى، 1970م.

الوالي، طه، **بيروت، التاريخ والحضارة والعمران**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

ب. المراجع باللغة الانجليزية:

G. Wiet, **Beybars I**, The Encyclopaedia Of Islam, E. J. Brill, Leiden, 1979, Vol. 1, pp 1124- 1126.

Holt, Peter Malcolm, **The Age Of The Crusades**, Produced by Longman Singapore Publishers, Printed in Singapore, 1986.

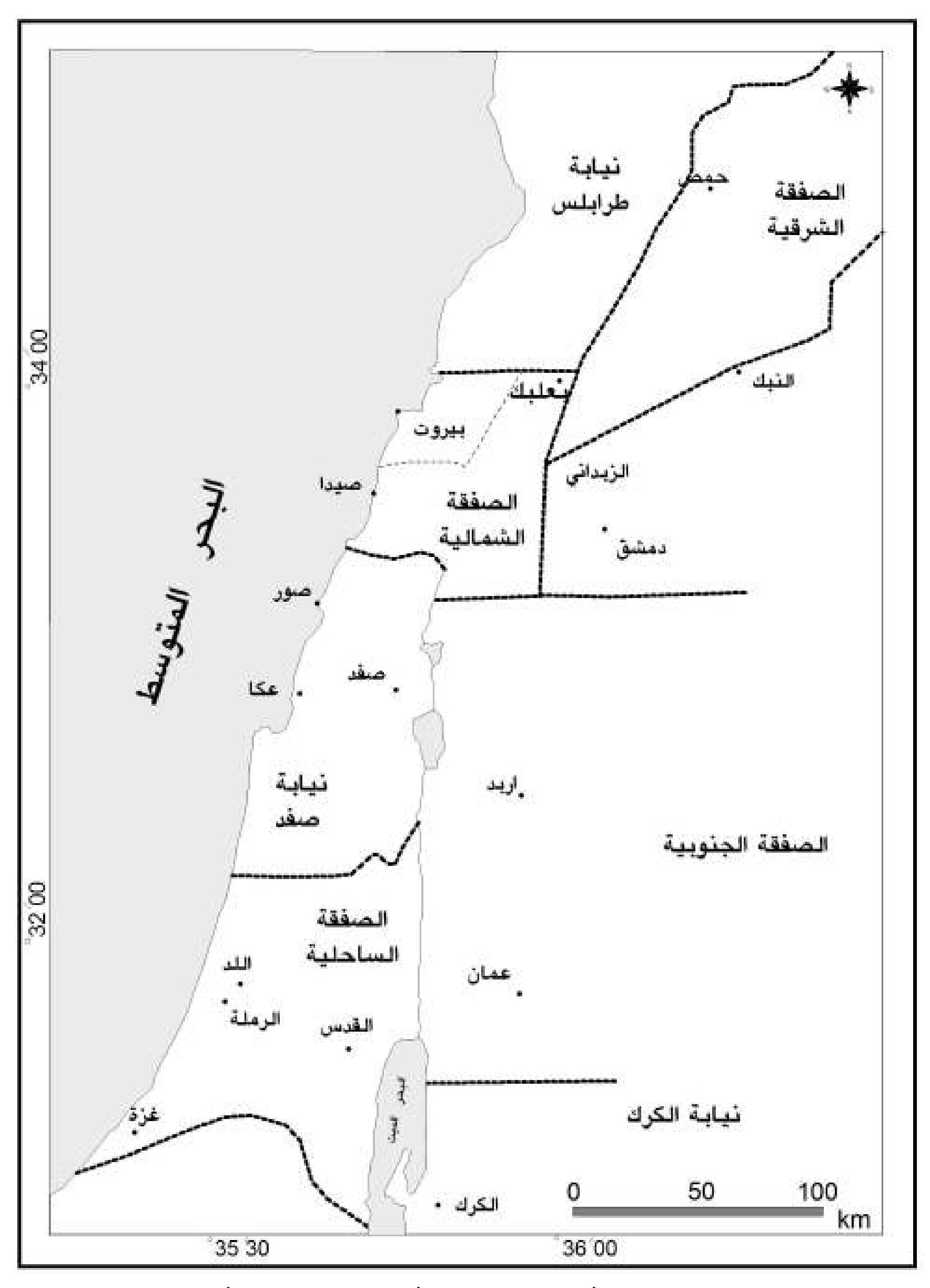
N. Elisseeff, **Bayrut**, The Encyclopaedia Of Islam, E. J. Brill, Leiden, 1979, Vol. 1, p 1137.

Tarawneh, Taha, **The Province Of Damascus During The Second Mamluk Period (784- 922 /1382- 1516)**, Mutah University,1994.

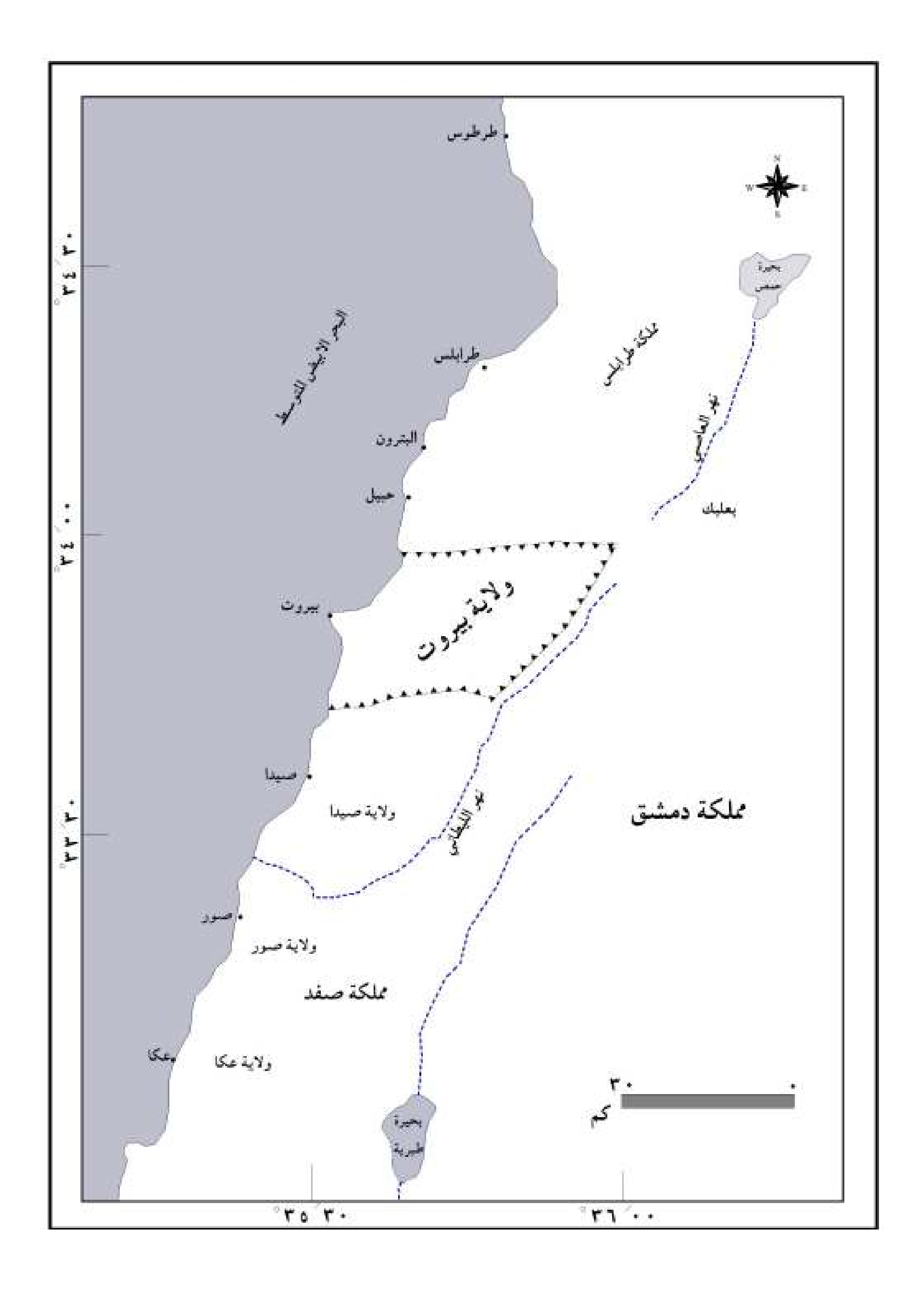
Ziadeh, Nicola., **Damascus Under The Mamluks**, University Of Oklahoma Press, 1964

الملحق (أ)

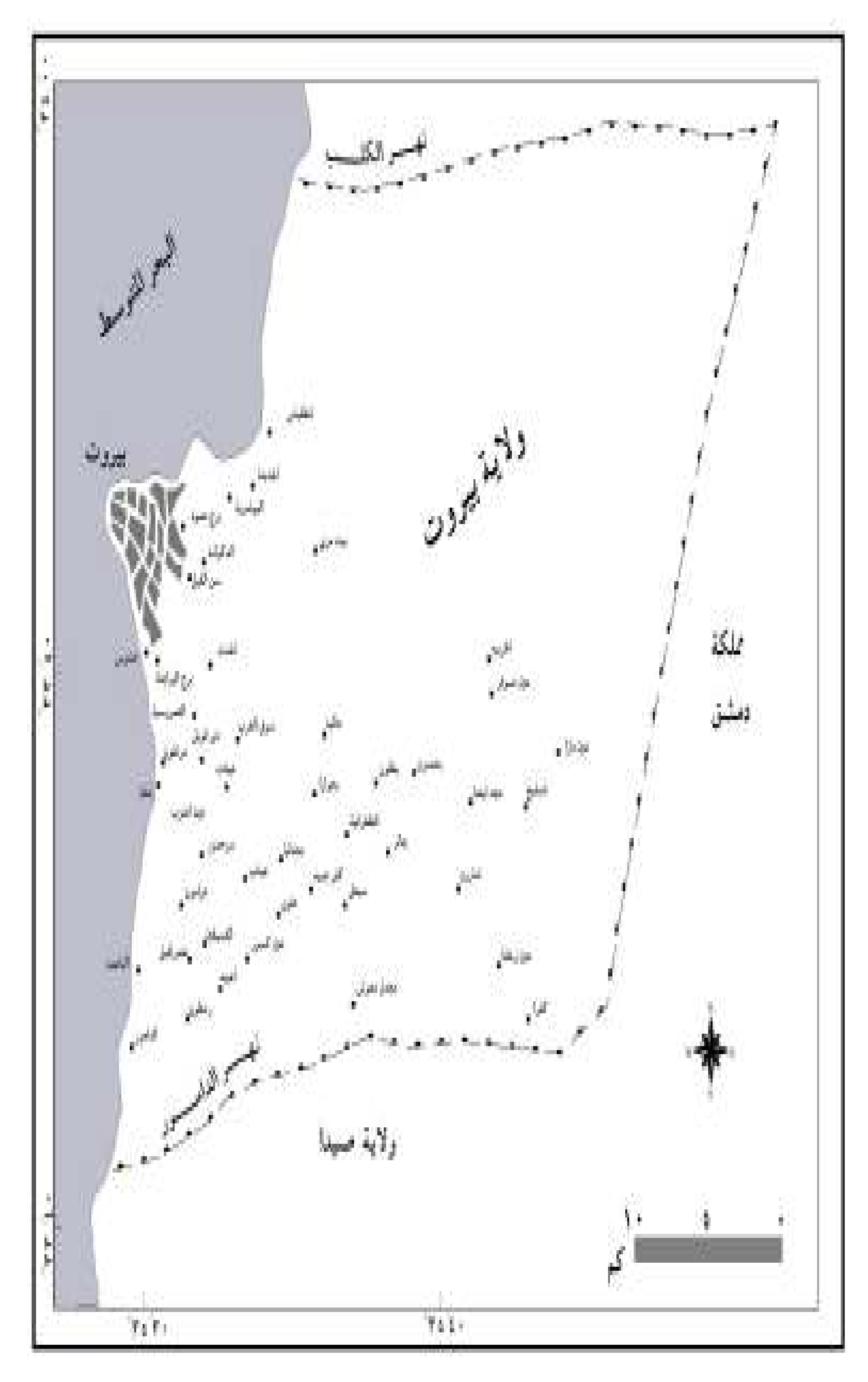
ملحق الخرائط



موقع ولاية بيروت بالنسبة للنيابات الشامية



حدود ولاية بيروت



القرى في ولاية بيروت

الاسم : ممدوح منوخ ذياب النيف

الكلية : العلوم الاجتماعية

التخصص : تاريخ

السنة : 2013

الهاتف النقال : 0788630211 / 0796230804

البريد الالكتروني : mamdohm1983@yahoo.com